الجـامـعة الإسـلامية:غـزة
عمـادة الـدراسـات العليـا
كـلـيـة أصـول الـديـن
قسم التفسير وعلوم القـرآن

المدح والثناء

" دراسة قرآنية موضوعية "

إعداد الطالب
أحمد طلال السموني

إشراف الدكتور
محمود هاشم عنبر

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

1433هـ /2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

{آل عمران/18}

الإهداء

أهدي هذه الرسالة :

- إلى روح والديَّ الغاليين، اللذين أولياني رعايتهما، وتفضَّلا عليَّ بحبهما وحنانهما، فقد كان لهما الدور الأكبر في تنشئتي، وتشجيعي على إكمال الدراسات العليا، فجزاهما الله عني خير الجزاء، وأحتسبهما عنده من الشهداء.
- إلى زوجتي الغالية، التي وفَّرت لي سبل الراحة؛ لإتمام هذه الرسالة، وكانت تسهر الليالي لمساعدتي.
- إلى ابنتيّ الغاليتين/ رؤى وبيسان، وابني الحبيب/ حمزة.
- إلى أهلي وإخوتي وأخواتي في الله.
- إلى كل الشهداء، والأسرى، والجرحى، والمرابطين، الذين خدموا هذا الدين؛ لتكون كلمة الله تعالى هي العليا.
- إلى جامعتي الإسلامية، سائلاً المولى ﷻ أن يديمها منارةً للعلم والعلماء.

شكر وتقدير

أحمد الله ﷻ، وأثني عليه أن منَّ عليَّ بإتمام هذه الرسالة، قال تعالى: ﴿...وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾{البقرة/152}

وانطلاقاً من قول الرسول ﷺ: "**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**"[1] فإنني أتقدَّم بجزيل الشكر والعرفان والتقدير للمربي الفاضل الدكتور/ **محمود هاشم عنبر** – حفظه الله – الذي تفضَّل بالإشراف على هذه الرسالة، حيث إنه لم يألُ جهداً لإخراجها بأبهى حُلَّةٍ، وأجمل صورةٍ؛ فلم يبخل علي بوقته ولا بنصائحه ولا بإرشاداته، فكان بحراً من العطاء، فجزاه الله عني خير الجزاء، ونفع الإسلامَ بعلمه.

كما وأتقدَّم بجزيل الشكر والتقدير للأستاذين الفاضلين:

الأستاذ الدكتور/ عبد السلام حمدان اللوح. **والأستاذ الدكتور/ يوسف شحدة الكحلوت.**

اللذين وافقا مشكورين على مناقشة هذه الرسالة؛ لإثراء البحث بمعلوماتهما القيمة، فجزاهما الله خيرا، وأبقاهما نبراساً منيراً لطلبة العلم، وفخراً للجامعة الإسلامية.

ولا يفوتُني أن أشكر جامعتي/ الجامعةَ الإسلاميةَ، التي أتاحت لي فرصة إكمال الدراسة، وأشكر كلية أصول الدين بالجامعة، ممثَّلةً بأساتذتها الأفاضل، وأخصُّ بالشكر أساتذة قسم التفسير وعلوم القرآن؛ الذين يبذلون أوقاتهم لخدمة طلاب العلم، والشكر موصول أيضاً لعمادةَ الدراسات العليا الذين وافقوا على قبول هذه الأطروحة.

كما وأتقدم بخالص شكري لرئيس مجلس أمناء الجامعة الإسلامية الأخ الفاضل المهندس **جمال ناجي الخضري** لما قدم من مساعدة لهذا البحث العلمي.

ولا أنسى شكرَ أهلي وزوجتي، وكل من أعان في إعداد هذه الرسالة، سواء بالمساعدة، أو بالدعاء في ظهر الغيب، فلهم مني كل احترام، وتقدير، ودعاءٍ بأن يوفقهم الله، ويسدد خطاهم.

---

[1] سنن أبي داود – كتاب الأدب – باب في شكر المعروف – ج4/ص274/ح4811، قال الإمام الألباني: صحيح.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام علي أشرف الأنبياء وإمام المرسلين محمد بن عبد الله عليه أفضل سلام وأتم تسليم...أما بعد:

إن القرآن الكريم بحر لاشواطئ له، فهو كتاب عظيم، يحمل كل وجوه الخير والعطاء والمنفعة لجميع المخلوقات مما علمنا وما لم نعلم، في الدنيا والآخرة، وهو لايحرم أي شخص من الغوص والتعمق في أعماقه، وكلما تعمقت أكثر كلما تعرفت ووجدت الأكثر، لذا أحمدُ الله تبارك وتعالى أن هداني وأرشدني إلي التعرف على جوهرة عظيمة من هذه الجواهر المكنونة بين طيات هذا الكتاب الكريم المعطاء ألا وهي (المدح والثناء).

إن الثناء من الموضوعات الهامة التي حازت على مساحة واسعة في القرآن الكريم حيث تعددت مجالاته، واتسعت ميادينه، وتفرعت روافده، وكثرت بين بطون سور القرآن آياته، فهي تزيد عن مائة وخمسين آية.

فقد مدح الله سبحانه وتعالى نفسه وأثنى عليها بما هو أهله، ومجد ذاته ليعلمنا كيف نقدره حق قدره، كما أثنى على ملائكته مبيناً أنهم عباد مكرمون لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، كما أثنى على أنبيائه ورسله، وخص منهم نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بأنه على خلق عظيم، وأثنى على عباده المؤمنين، وخص منهم المهاجرين والأنصار (رضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين)

كما جاءت بعض آيات القرآن الكريم تبين ثناء المؤمنين على بعضهم البعض، وثناء غير المؤمنين على المؤمنين.

ولم ترد لفظة المدح والثناء في القرآن الكريم بشكل صريح في كل المواضع السابقة بل وردت بمعناها، وهذا ما دفع الباحث إلى اختيار موضوع البحث بعنوان:

"**المدح والثناء – دراسة قرآنية موضوعية**"

حيث سيبذل الباحث قصارى جهده في البحث عن المواضع التي وردت بمعنى الثناء في السياق القرآني، ودراستها دراسة تفسيرية موضوعية محكمة.

أولا:أهمية الموضوع:

تبرز أهمية الموضوع في نقاط عديدة أذكر منها:

1- تعلق الدراسة بأشرف كتاب ألا وهو القرآن الكريم.

2- حاجة المسلمين إلى التعرف على مواطن المدح والثناء في السياق القرآني بغرض الارتقاء بإيمانهم، خاصة أن المدح والثناء قد ورد بمعناه، ولم يرد بلفظه.

ثانيا:أسباب اختيار الموضوع:

1- الرغبة في التأمل والتدبر في كتاب الله تعالى، وتتبع مواطن المدح والثناء في السياق القرآني.

2- بيان أهمية معرفة آيات المدح والثناء لتوجيه المؤمنين إليها، وحثهم على التزامها خاصة آيات الثناء على الله عزَّ وجلَّ.

3- كثرة الآيات التي تفيد معنى المدح والثناء بكل ميادينه ومجالاته.

4- إرشاد وتشجيع مشرفي الدكتور محمود هاشم عنبر على الكتابة في هذا الموضوع.

5- افتقار المكتبة الإسلامية إلي موضوع تفسيري قرآني مُحَكم يتناول موضوع (المدح والثناء) في إطار دراسة قرآنية تفسيرية موضوعية.

ثالثا:أهداف البحث وغاياته:

للبحث أهداف عديدة وسامية أذكر أهمها:

1- ابتغاء مرضات الله تعالى أهم هدف وأسمى غاية أرجوها من كتابة هذا البحث.

2- خدمة القرآن الكريم، وذلك من خلال البحث في موضوع من موضوعاته.

3- إثراء المكتبة الإسلامية ببحث قرآني، يتحدث عن المدح والثناء في إطار دراسة موضوعية محكمة.

4- حث المسلمين على الثناء على الله تبارك وتعالى وعلى عباده الصالحين.

5- بيان وجوه ثناء الله تعالى على نفسه وعلى ملائكته ورسله وعباده.

6- إبراز بعض النماذج البشرية المتميزة ممن أثنى الله تعالى عليهم في كتابه، والاقتداء بهم، والسير على دربهم.

رابعا:الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع حول ما كتب في الموضوع، تبين أنه لم يكتب فيه رسالة علمية محكّمة، وبعد المراسلة لمركز الملك فيصل في المملكة العربية السعودية، أفاد بأنه لا يوجد دراسات قرآنية محكمة في هذا الموضوع في قاعدة معلومات الرسائل الجامعية.

خامسا:منهج البحث:

سيتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي وحسب منهجية التفسير الموضوعي، وذلك من خلال النقاط التالية:

1- جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن المدح والثناء، ودراستها دراسة تفسيرية موضوعية.
2- وضع العناوين المناسبة للفصول والمباحث والمطالب مستخدماً الألفاظ القرآنية ما أمكن.
3- تفسير الآيات القرآنية تفسيراً إجمالياً وفقا لطبيعة البحث في التفسير الموضوعي.
4- الاستدلال بأقوال العلماء والمفسرين مع التوثيق في الحاشية حسب الأصول، مع الاستعانة بمصادر ومراجع عامة مما له علاقة بالبحث.
5- كتابة الآيات القرآنية المذكورة بالرسم العثماني وعزوها إلى سورها مع ذكر رقم الآية، وتوثيق ذلك في متن البحث تجنباً لإثقال الحواشي.
6- الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة والآثار التي تخدم البحث، وعزوها لمظانها الأصلية، ونقل حكم العلماء عليها ما أمكن.
7- توضيح معاني المفردات الغريبة التي تحتاج إلي بيان في الحاشية وتوثيقها من مصادرها اللغوية.
8- الترجمة للأعلام والبلدان والقبائل غير المعروفة التي سترد في البحث.
9- الوقوف على اللطائف والإشارات والعبر والعظات، واستنباط الأحكام التي تخدم موضوع البحث، مع ربط الموضوع بواقعنا المعاصر بما فيه من مستجدات.
10- مراعاة الأمانة العلمية في النقل والتوثيق، وذكر المصادر والمراجع في الحاشية، مبتدءاً بذكر الكتاب، ثم المؤلف، ثم الجزء والصفحة، مع مراعاة عدم ذكر اسم المؤلف في الحاشية إن ذكر في متن الرسالة وترك مواصفات الكتاب إلي فهرس المراجع.

11- التركيز على منهج البحث في التفسير الموضوعي، والالتزام بكل قواعده وأصوله.

12- عمل الفهارس اللازمة التي تخدم البحث وتسهل الوصول للمعلومات.

سادسا: خطة البحث:

وتحقيقاً لهدف البحث وغايته فقد جعلت الدراسة من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، ومجموعة فهارس، وذلك كما يلي.

المقدمة:

وتشمل أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، وأهدافه وغاياته ، والدراسات السابقة ، ومنهج البحث ، وخطة البحث.

التمهيد:

المدح والثناء بين المعاني اللغوية والاصطلاحية

وفيه:

أولا: معنى المدح والثناء لغة واصطلاحاً.

ثانيا: نماذج المدح والثناء في السياق القرآني.

ثالثا: العلاقة بين المدح والثناء.

الفصل الأول

وجوه مدح الله وثنائه في السياق القرآني

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: ثناء الله على نفسه.

وفيه أحد عشر مطلبا:

المطلب الأول: بيان وحدانيته وقيوميته.

المطلب الثاني: إظهار سعة رحمته.

المطلب الثالث: التنبيه على عظيم عفوه ومغفرته وقدرته.

المطلب الرابع: بيان أن العزة والقوة له جميعاً.

المطلب الخامس: التأكيد على أن لله غيب السماوات والأرض ومقاليدهما.

المطلب السادس: بيان أن وعد الله حق.

المطلب السابع: إثبات أنه سبحانه أحسن الحاكمين.

المطلب الثامن: التنبيه على أن الله تعالى هو القاهر فوق عباده.

المطلب التاسع: إبراز أنه سبحانه لطيف بعباده خبير بأحوالهم وأعمالهم.

المطلب العاشر: التأكيد على أن سنة الله لا تتبدل ولا تتحول.

المطلب الحادي عشر: بيان أنه سبحانه خير الرازقين.

المبحث الثاني: ثناء الله على ملائكته.

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: إقرار شهادتهم بالوحدانية مرتبطة بشهادة الله وأولي العلم.

المطلب الثاني: سجودهم لآدم عليه السلام.

المطلب الثالث: سلامهم على المؤمنين وتبشيرهم بالجنة.

المطلب الرابع: اصطفاء الرسل منهم.

المطلب الخامس: تسبيحهم بحمد ربهم من حول العرش.

المطلب السادس: أنهم غلاظ شداد لايعصون الله.

المطلب السابع: صلاتهم على النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث: ثناء الله تعالى على كتبه.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ثناء الله تعالى على القرآن.

المطلب الثاني: ثناء الله تعالى على التوراة.

المطلب الثالث: ثناء الله تعالى على الإنجيل.

المبحث الرابع: ثناء الله على عباده المؤمنين.

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: ثناء الله على أصحاب النبي ﷺ عامة.

المطلب الثاني: ثناء الله على المهاجرين.

المطلب الثالث: ثناء الله على الأنصار.

المطلب الرابع: ثناء الله على أهل العقبة.

المطلب الخامس: ثناء الله على أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

المطلب السادس: ثناء الله على امرأة فرعون.

المطلب السابع: ثناء الله على مريم ابنة عمران.

الفصل الثاني

نماذج من المدح والثناء في السياق القرآني

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ثناء الله على أولي العزم من الرسل.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: ثناء الله على نوح عليه السلام.

المطلب الثاني: ثناء الله على إبراهيم عليه السلام.

المطلب الثالث: ثناء الله على موسى عليه السلام.

المطلب الرابع: ثناء الله على عيسى عليه السلام.

المطلب الخامس: ثناء الله على محمد عليه السلام.

المبحث الثاني:أمثلة ثناء الله على رسله من غير أولي العزم.

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: ثناء الله على أدم عليه السلام.

المطلب الثاني: ثناء الله على إدريس عليه السلام.

المطلب الثالث: ثناء الله على إسماعيل عليه السلام.

المطلب الرابع: ثناء الله على إسحق ويعقوب عليهما السلام.

المطلب الخامس: ثناء الله على يوسف عليه السلام.

المطلب السادس: ثناء الله على أيوب عليه السلام.

المطلب السابع: ثناء الله على يونس عليه السلام.

المطلب الثامن: ثناء الله على داوود عليه السلام.

المطلب التاسع: ثناء الله على سليمان عليه السلام.

المبحث الثالث: ثناء العباد على بعضهم.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ثناء صاحبي يوسف عليه في السجن.

المطلب الثاني: ثناء النسوة على يوسف عليه السلام قبل دخوله السجن وخروجه منه.

المطلب الثالث: ثناء امرأة العزيز على يوسف وهو في السجن.

المطلب الرابع: ثناء ابنة شعيب عليه السلام على موسى عليه السلام.

الفصل الثالث

ثمرات الثناء في الدنيا والآخرة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ثمرات الثناء الدنيوية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: استجابة الدعاء وتفريج الكربات.

المطلب الثاني: الشعور بفضل الله تعالى ودوام شكره.

المطلب الثالث: سعة الرزق.

المبحث الثاني: ثمرات الثناء الأخروية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: طمأنة الملائكة للمؤمنين وبشارتهم بالجنة.

المطلب الثاني: نزع الغل من صدور المؤمنين ووراثتهم للجنة.

الخاتمة: وستشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس:

ويشتمل على:

1- فهرس الآيات القرآنية.

2- فهرس الأحاديث النبوية.

3- فهرس الأعلام المترجم لهم.

4- فهرس المصادر والمراجع.

5- فهرس الموضوعات.

التمهيد:

المدح والثناء بين المعاني اللغوية والاصطلاحية

وفيه:

أولا: معنى المدح والثناء لغة واصطلاحاً.

ثانيا: نماذج المدح والثناء في السياق القرآني.

ثالثا: العلاقة بين المدح والثناء.

أولا: معنى المدح والثناء لغة واصطلاحاً

أولاً: معنى المدح لغةً واصطلاحاً:

1 – معنى المدح لغةً:

"المَدْحُ: الثناء الحسن، وقد مَدَحَهُ وامتدَحه بمعنى واحد، وكذلك المِدْحَةُ، والمَديحُ، والأمْدوحَةُ... وتَمَدَّحَ الرجل: تكلف أن يمدح، ورجلٌ مُمَدَّحٌ، أي ممدوح جداً، وامدَحَّ بطنُه: لغةٌ في انْدَحَّ، إذا اتَّسع، وتَمَدَّحَت خواصر الماشية، أي اتَّسعت شبعا."[1]

ويقول الإمام أحمد بن فارس الرازي: "جذر الفعل (م ، د، ح) يدل على وصف محاسن بكلام جميل، وَمَدَحَهُ يَمْدَحُهُ مَدْحاً: أحسن عليه الثناء، والأمدوحة: المدح، ويقال المنقبة أمدوحة..."[2]

ويقول الإمام ابن منظور: "المَدحُ: نقيض الهجاء وهو حسن الثناء..." والصحيح – عند ابن منظور – أن المدح المصدر، والمِدحة الاسم، والجمع مِدَح، وهو المديح والجمع المدائح والأماديح...[3]

ويقول الإمام أحمد الفيومي: "مَدَحْتُهُ مَدْحاً من باب نَفَعَ أثنيت عليه بما فيه من الصفات الجميلة خلقية كانت أو اختيارية ولهذا كان المدح أعم من الحمد..."[4]

2– معنى المدح اصطلاحاً:

تقاربت أقوال العلماء في تحديد المعنى الاصطلاحي للمدح وذلك على النحو التالي:

1– عرف الإمام الجرجاني[5] المدح بقوله: "هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصداً."[6]

---

[1] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – للجوهري – ج1/ص403

[2] معجم مقاييس اللغة – ج5/ص308

[3] لسان العرب – ج2/ص589

[4] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير – ج2/ص566

[5] علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني المعروف بالشريف الجرجاني، ولد سنة 740هـ فيلسوف من كبار العلماء بالعربية، تنقل بين بلاد العرب والعجم، ودرس في شيراز، ولما دخلها تيمور سنة789هـ فر إلى سمرقند، ثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمور، فأقام إلى أن توفي عام816هـ. انظر: (البدر الطالع – محمد بن علي الشوكاني – ج1/ص488)

[6] كتاب التعريفات ص297

2- أما الإمام الكفوي[1] فقد عرفه بقوله: هو الثناء باللسان على الجميل مطلقا سواء أكان من الفواضل أم من الفضائل، وسواء أكان اختياريا أم غير اختياري، ولا يكون إلا قبل النعمة، ولهذا لا يقال مدحت الله ﷻ، إذ لا يتصور تقدم وصف الإنسان على نعمة الله ﷻ بوجه من الوجوه؛ لأن نفس الوجود نعمة من الله تعالى...ويبين الإمام الكفوي أن المدح إذا كان بمعنى عد المآثر والمناقب فيقابله الهجو، بينما إذا كان المدح بمعنى الوصف الجميل يقابله الذم، والمدح زيادة على الرضا وقد يرضى المرء عن الشيء وإن لم يمدحه.[2]

فمن خلال التعريفين السابقين تبين للباحث أن كلاً من تعريف الإمام الجرجاني والكفوي يعتبر أن المدح هو: الثناء الجميل على الممدوح، إلا أن تعريف الإمام الكفوي أعمُّ وأشمل.

ثانياً: معنى الثناء لغةً واصطلاحاً:

1 - معنى الثناء لغةً:

الثَّنَاء مأخوذ من الثني، وهو العطف وردُّ الشيء بعضه على بعض، ومنه ثنيت الثوب: إذا جعلته اثنين بالتكرار، فأطلق اسم الثناء على تكرار ذكر الشيء لشيئين، ومنه التثنية في الاسم؛ فالمثنى مكرر لمحاسن من يُثنى عليه مرة بعد أخرى.

والثناء أيضاً هو الكلام الجميل، وقيل: هو الذكر بالخير، وقيل: يستعمل في الخير والشر على سبيل الحقيقة، وعند الجمهور حقيقة في الخير ومجاز في الشر على ضرب من التأويل والمشاكلة والاستعارة التهكمية.

وقيل: (الثناء هو الإتيان بما يشعر التعظيم مطلقاً، سواء أكان باللسان أم بالجنان أم بالأركان؛ وسواء أكان في مقابلة شيء أم لا) فيشمل الحمد والشكر والمدح، وهو المشهور بين الجمهور... فعلى هذا فقد قيَّد باللسان لدفع احتمال التجوز، أعني إطلاق الثناء على ما ليس باللسان مجازا.

---

[1] الإمام الكفوي: هو أيوب بن موسى الحسيني، الكوفي، الحنفي (أبو البقاء) ولد في كفا بالقرم، من قضاة الأحناف، عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد، وعاد إلى إستانبول فتوفي بها، ودفن في تربة خالد، من آثاره: الكليات، وله كتب أخرى بالتركية. انظر: (الأعلام – للزركلي – ج2/ص38 ، معجم المؤلفين- عمر بن رضا كحالة – ج3/ص31)

[2] انظر: (الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية الكليات) – ص857

والثَّنَاءُ: ما اتصف به الإنسان من مدح، يقال أثنيت عليه أي مدحته، وأثنى عليه خيرا، أي مدحه به.[1]

والثُّنْوَى والثَّنَاء: ما يذكر في محامد الناس، يقال: أثني عليه أي ذكر محامده، وتَثَنَّى في مشيته نحو: تبختر، وسميت سور القرآن مثاني في قوله عزّ وجلّ:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾{الحجر/87} لأنها تثنى على مرور الأوقات وتكرّر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ ...﴾{الزمر/23} ويصح أنه قيل للقرآن: مثاني، لما يثنى ويتجدّد حالا فحالا من فوائده، ويصح أن يكون ذلك من الثناء، تنبيها على أنه بدا يظهر منه ما يدعو إلى الثناء عليه وعلى من يتلوه، ويعلمه ويعمل به، وعلى هذا الوجه وصفه بالكرم في قوله تعالى:﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾{الواقعة/77} وبالمجد في قوله:﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴾{البروج/ 21}[2]

من خلال ما تقدم تبين للباحث أن الثناء في اللغة يأتي بمعنى ردُّ الشيء بعضه علي بعض وجعله اثنين، وعلى تكرار محاسن المثنى عليه مرة بعد أخرى، كما يطلق الثناء ويراد به ذكر محامد المثنى عليه وتعظيمه والتنبيه على محاسنه.

2 – معنى الثناء اصطلاحاً:

نظراً لعدم ورود لفظة الثناء صريحة في القرآن الكريم فقد اجتهد الباحث في استقصاء أقوال المفسرين حول معنى الثناء في المواضع التي أثنى الله ﷻ فيها على نفسه، ووصف نفسه بصفات الكمال، وقد خرج الباحث من خلال تلك الأقوال بمفهوم الثناء عند علماء التفسير وهو: (ذكر المحمود ووصفه بالصفات اللازمة له، وحمده على الجميل الاختياري من نعمة وغيرها، فعلاً كان أم صفة)[3]

ويرى الباحث أنه من خلال التعريف يمكن القياس عليه ــ ولله ﷻ المثل الأعلى ــ والقول بأن الثناء عموماً، سواء ثناء الله على خلقه، أم ثناء الخلق على بعضهم البعض هو بمعنى وصفهم بمحامد الصفات ومكارم الأخلاق.

---

[1] انظر: (لسان العرب) – لابن منظور – ج14/ص124، (الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) – للكفوي – ص324–325

[2] انظر: (المفردات في غريب القرآن) – للراغب الأصفهانى – ص179

[3] انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) – للطبري ج1/ص135 ، (تفسير القرآن العظيم) – لابن كثير – ج1/ص128 ، (الجامع لأحكام القرآن) – للقرطبي – ج1/ص133 ، (التحرير والتنوير) – لابن عاشور – ج1/ص154–155

وبالنظر في المعاني اللغوية والاصطلاحية للثناء، تبين للباحث أن المعاني اللغوية أعمُّ وأشمل من المعاني الاصطلاحية، وأن المعنى الاصطلاحي هو جزء من المعاني اللغوية.

ثانيا: نماذج المدح والثناء في السياق القرآني:

تعددت الآيات القرآنية الكريمة المتضمنة لمعنى (المدح والثناء) واتسعت ميادينها وموضوعاتها، ولم ترد أي من اللفظتين صريحة في القرآن الكريم، بل وردت كل منها بمعناها، مما جعل الباحث يتتبع هذه المعاني في سياقاتها القرآنية ويختار بعض النماذج على سبيل الأمثلة لا الحصر، كما قام بتوزيع هذه الآيات على جدولين يمثل أحدهما الآيات المكية ويمثل ثانيها الآيات المدنية.

أولاً: الآيات المكية:

م	الآيات القرآنية	السورة	رقم الآية
1	﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾	الأنعام	18
2	﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ...﴾	الأنعام	61
3	﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا ...﴾	الأنعام	84
4	﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾	الأنعام	103
5	﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ ...﴾	الأنعام	147
6	﴿...تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ...﴾	الأعراف	43
7	﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ...﴾	الأعراف	144
8	﴿...وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ...﴾	الأعراف	156
9	﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾	يونس	109
10	﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ ...﴾	هود	123
11	﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ...﴾	يوسف	22
12	﴿...إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾	يوسف	24

13	﴿ ...نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾	يوسف	36
14	﴿ ...مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾	يوسف	38
15	﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا ... ﴾	يوسف	46
16	﴿ ...قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	يوسف	51
17	﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ... ﴾	إبراهيم	7
18	﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾	النحل	32
19	﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ... ﴾	النحل	77
20	﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴾	الإسراء	3-1
21	﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ... ﴾	الإسراء	61
22	﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾	الإسراء	88
23	﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا ... ﴾	مريم	31-30
24	﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾	مريم	51
25	﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾	مريم	54
26	﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا ﴾	مريم	57-56

27	﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴾	مريم	61
28	﴿ .... وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴾	طه	121- 122
29	﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ﴾	الأنبياء	71-72
30	﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖ ... ﴾	الأنبياء	83-84
31	﴿ ... وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	النمل	19
32	﴿ ... فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي ... ﴾	النمل	40
33	﴿ ... يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ... ﴾	القصص	26
34	﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ﴾	سبأ	2
35	﴿ ... وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾	سبأ	39
36	﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا ... ﴾	فاطر	10
37	﴿ ... فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا ﴾	فاطر	43
38	﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾	يس	26-27
39	﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	الصافات	79
40	﴿ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴾	الصافات	101
41	﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٩ ... فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴾	الصافات	139- 143
42	﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾	ص	17

43	﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾	ص	30
44	﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ ... إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾	ص	44-41
45	﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	الزمر	53
46	﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾	الزمر	73
47	﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ... ﴾	الزمر	74
48	﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ... ﴾	الزمر	75
49	﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ ... ﴾	غافر	7
50	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾	فصلت	30
51	﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ ... ﴾	الأحقاف	15
52	﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾	الملك	14
53	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	القلم	4
54	﴿ ... وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ ... فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	القلم	50-48

ثانياً: الآيات المدنية:

م	الآيـــات الـقـرآنـيـــة	السورة	رقم الآية
1	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ ... ﴾	البقرة	34
2	﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ... ﴾	البقرة	251
3	﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ... ﴾	البقرة	225
4	﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾	آل عمران	2
5	﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	آل عمران	18
6	﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ..... ﴾	آل عمران	31
7	﴿ ... يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	آل عمران	42
8	﴿ ... ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾	آل عمران	45
9	﴿ ... فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾	آل عمران	195
10	﴿ ... وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾	النساء	125
11	﴿ ... فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾	النساء	139
12	﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ... ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ... ﴾	المائدة	44-43
13	﴿ ... بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	المائدة	46

14	﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾	المائدة	50
15	﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾	المائدة	119
16	﴿ ... فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾	الأنفال	9
17	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ ... ﴾	التوبة	21-20
18	﴿ ... إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ... ﴾	التوبة	40
19	﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ... ﴾	التوبة	61
20	﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾	التوبة	100
21	﴿ ... إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾	التوبة	114
22	﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ... ﴾	الحج	75
23	﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ ... وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	النور	38-37
24	﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾	النور	51
25	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾	الأحزاب	56
26	﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾	الأحزاب	62

27	﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾	الفتح	18
28	﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ﴾	الفتح	29
29	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾	الحجرات	3
30	﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾	الحشر	8
31	﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾	الحشر	9
32	﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	الحشر	21
33	﴿ ... قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾	الجمعة	11
34	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾	التحريم	6
35	﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ... ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾	التحريم	12-11
36	﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾	البينة	8

فمن خلال النماذج السابقة المتضمنة لمعنى (المدح والثناء) ومن خلال معرفة زمن نزول تلك الآيات الكريمة، يمكن الوقوف على عدة ملاحظات:

أولاً: أن الله ﷻ أثنى على نفسه في السور المكية أكثر من السور المدنية؛ وذلك ليبين لأهل مكة أنه هو الإله الحق القاهر فوق عباده، وأن تلك الآلهة الباطلة التي كانوا يعبدونها من دونه لا تستحق العبادة، كما أثنى على أنبيائه السابقين، ونبيه محمد ﷺ؛ لأن أهل مكة كانوا يؤمنون بالأنبياء السابقين وخاصة إبراهيم عليه السلام الذي كانوا يَسِيرون على ملته الحنيفية السمحة، فهي رسالة لأهل مكة بأن هذا الرسول الذي تكذبونه وتصدون دعوته هو امتداد للرسل السابقين ورسالته امتداد للرسالات السابقة.

ثانياً: أن الله ﷻ أثنى على الملائكة في السور المكية أكثر من السور المدنية؛ ولعل السبب في ذلك هو أن الله ﷻ أراد أن يصحح لمشركي قريش عقيدتهم الفاسدة القبيحة الزاعمة أن الملائكة إناث وأنهم بنات الله ﷻ.

ثالثاً: أن الله ﷻ أثنى على المؤمنين في السور المدنية أكثر من السور المكية؛ لقلة عدد المسلمين في مكة المكرمة وذلك بسبب التكذيب والتعذيب والقتل، ولتثبيت قلوب كلٍ من المهاجرين والأنصار، فجميعهم ضحى لأجل الإسلام العظيم، فالمهاجرون تركوا الأموال والأولاد والبيوت لنصرة الإسلام، والأنصار آووا ونصروا إخوانهم المهاجرين فكانت هذه الآيات الكريمة إيذاناً بضرورة توحيد هذه القلوب المضحية في سبيل الله ﷻ، وبيان أن هؤلاء يستحقون المدح والثناء من الله ﷻ.

رابعاً: أن ثناء الأنبياء على الله ﷻ في كلٍ من السور المكية والمدنية متساوٍ؛ ولعل السبب في ذلك هو أن كلاً من الرسل والأنبياء من العارفين بالله ﷻ، ويعلمون أنه تبارك وتعالى مستحق للمدح والثناء في كل وقت وحين، دون تمييز بين مكان وآخر أو زمان وآخر.

خامساً: أن ثناء المؤمنين على الله ﷻ في السور المدنية أكثر من السور المكية؛ ولعل السبب في ذلك هو كثرة عدد المسلمين في المدينة المنورة وإقامة المجتمع الإيماني الذي يعرف لله قدره.

ثالثا: العلاقة بين المدح والثناء:

تتبع الباحث المعاني اللغوية للمدح والثناء فلاحظ قواسم مشتركة بين معاني المصطلحين، فالمدح في اللغة بمعنى: الثناء، في حين أن المدح يعد أحد المعاني اللغوية للثناء، حيث إن الثناء في اللغة يأتي بمعنى: مدح المثنى عليه بمحامد الصفات، بالإضافة إلى معاني أخرى وهي الكلام الجميل، والذكر بالخير، والإتيان بما يشعر التعظيم، كما ويطلق على تكرار ذكر الشيء لشيئين.

ومن هنا يتبين للباحث أن المعاني اللغوية للثناء أشمل وأعم من المعاني اللغوية للمدح، أما بالنسبة للمعاني الاصطلاحية فلم يجد الباحث فرقاً بينهما، فالثناء بمعنى: المدح بمحامد الصفات، والمدح بمعنى: الثناء، فهما قريب من قريب.

رابعا: علاقة الحمد بالمدح والثناء والشكر:

الحمد والمدح

إنّ كلاً من المدح والحمد يتضمّن العلم بما يحمد به غيره ويمدحه به، فالحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبّه وإجلاله وتعظيمه، ولهذا كان خبرا يتضمّن الإنشاء، بخلاف المدح فإنّه إخبار عن محاسن الممدوح مجرداً من الحبّ والإجلال والتعظيم، فهو خبر مجرّد، فالقائل إذا قال: الحمد لله أو قال ربّنا لك الحمد؛ تضمّن كلامه الخبر عن كلّ ما يحمد عليه تعالى باسم جامع محيط متضمّن لكلّ فرد من أفراد الحمد المحقّقة والمقدّرة، وعليه فالحمد أخصّ من المدح.[1]

الحمد والثّناء

"يعتبر الثناء أخصّ من الحمد"[2] وهذا ما تؤكده السنة النبوية حيث روي عن ابن عباسٍ ﷺ أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿...فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ {التوبة/108} بعثَ رسول الله ﷺ إلى عُوَيْمِ بْنِ سَاعِدَةَ[3]، فَقَالَ: "**مَا هَذَا الطُّهُورُ الَّذِي أَثْنَى اللَّهُ**

---

[1] انظر: (المفردات) – للراغب الأصفهانى – ص131 ، (بدائع الفوائد) – لابن القيم – ج2/ص 93 ، (بصائر ذوي التمييز) – للفيروزآبادى – ج2/ص499

[2] انظر: (بدائع الفوائد) – لابن القيم – ج2/ص 93

[3] عويم بن ساعدة (بن عابس وقيل ابن عائش) بن قيس بن النعمان الأنصاري، أبو عبد الرحمن المدني، صاحب رسول الله ﷺ. تهذيب الكمال في أسماء الرجال – للمزي – ج22/ص466

عَلَيْكُمْ بِهِ" فقالوا: يا نبي الله، ما خرج منا رجلٌ، ولا امرأةٌ من الْغَائِطِ إِلَّا غَسَلَ دُبُرَهُ – أَوْ قَالَ: مَقْعَدَهُ – فقال النبيﷺ: "**فَفِي هَذَا**"[1]

الحمد والشكر

الحمد هو الثّناء باللّسان على صفات المحمود من غير سبق إحسان، وأما الشكر إنما يكون بالقلب واللّسان والجوارح على المشكور بما أولى من الإحسان، وعلى هذا فبين الحمد والشّكر عموم وخصوص، حيث يجتمعان في الثّناء باللّسان على النّعمة، وينفرد الحمد في الثّناء باللّسان على النّعمة، وعلى ما ليس بنعمة فنقول حمدته لفروسيته وحمدته لكرمه، وينفرد الشّكر بالثّناء بالقلب والجوارح على خصوص النّعمة، فنقول شكرته على كرمه وإحسانه، فالحمد أعمّ متعلّقا حيث متعلقه النعمة، وأخصّ آلة حيث آلته اللسان، والشّكر بالعكس، والحمد نقيضه الذمّ، والشكر نقيضه الكفران.[2]

---

[1] المستدرك على الصحيحين – للنيسابوري – كتاب الطهارة – باب وأما حديث عائشة – ج1/ص299ح672 – يقول الإمام الذهبي صحيح على شرط مسلم.

[2] انظر:(الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية) – للجوهري – ج2/ص466– (الكشاف) –للزمخشري – ج1/ص8–9 ، (المحرر الوجيز) –لابن عطية –ج1/ص66 ، (الجامع لأحكام القرآن) – للقرطبي – ج1/ص134 ، (فتح القدير) – للشوكاني – ج1/ص23 ، (التفسير المنير) – للزحيلي – ج1/ص56 ، (تفسير القرآن العظيم) – لابن كثير – ج1/ص128 ،(أيسر التفاسير) – للجزائري – ج1/ص12

الفصل الأول

وجوه مدح الله وثنائه في السياق القرآني

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: ثناء الله على نفسه.

المبحث الثاني: ثناء الله على ملائكته.

المبحث الثالث: ثناء الله تعالى على كتبه.

المبحث الرابع: ثناء الله على عباده المؤمنين.

المبحث الأول: ثناء الله على نفسه

وفيه أحد عشر مطلبا:

المطلب الأول: بيان وحدانيته وقيوميته.

المطلب الثاني: إظهار سعة رحمته.

المطلب الثالث: التنبيه على عظيم عفوه ومغفرته وقدرته.

المطلب الرابع: بيان أن العزة والقوة له جميعاً.

المطلب الخامس: التأكيد على أن لله غيب السماوات والأرض ومقاليدهما.

المطلب السادس: بيان أن وعد الله حق.

المطلب السابع: إثبات أنه سبحانه أحسن الحاكمين.

المطلب الثامن: التنبيه على أن الله تعالى هو القاهر فوق عباده.

المطلب التاسع: إبراز أنه سبحانه لطيف بعباده خبير بأحوالهم وأعمالهم.

المطلب العاشر: التأكيد على أن سنة الله لا تتبدل ولا تتحول.

المطلب الحادي عشر: بيان أنه سبحانه خير الرازقين.

المبحث الأول

ثناء الله على نفسه

أثنى الله ﷻ على نفسه ثناءً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، حيث أثنى على نفسه بالأسماء الحسنى والصفات العُلى.

وإن أحب ما يحب تبارك وتعالى المدح، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**لا أحد أغيرُ من الله، ولذلكَ حرم الفواحشَ ما ظهر منها وما بطنَ، ولا شيءَ أحبُ إليه المَدْحُ من الله، ولذلك مَدَحَ نفسه**"[1]

فالله ﷻ مدح نفسه وذاته المقدسة لكونه تعالى محب للمدح وفي هذا دلالة على أن الله ﷻ يحب من يمدحه ويثني عليه.

بل إن الله ﷻ أمرنا أن نعظمه تبارك وتعالى ونمجده، وذلك حينما أمر نبينا ﷺ فقال ﷻ: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ {المدثر/3}

وسوف يتحدث الباحث في هذا المبحث عن بعض الأسماء والصفات الدالة على ثناء الله ﷻ على نفسه وتتمثل في أحد عشر مطلباً.

المطلب الأول: بيان وحدانيته وقيوميته:

أثنى الله ﷻ على نفسه وذلك لبيان وحدانيته وقيوميته حيث انفرد ﷻ بهذه الحياة والقيومية عن سائر خلقه جميعاً، فلا يموت ولا يفنى ولا يحتاج لأحد من خلقه، أما خلقه فيموتون ويحتاجون له ﷻ، ولقد بيَّنَ ذلك في كتابه الكريم بثلاثة مواضع، أولها قوله تعالى:﴿ **اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ** ... ﴾{البقرة/255}

---

[1] صحيح البخاري – كتاب تفسير القرآن – باب قوله﴿...وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ...﴾ الأنعام:151 – ج6/ص57/ح4634

وثانيها قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ ... ﴾{آل عمران/2-3}

وأما الموضع الثالث ففي قوله تعالى:﴿ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ﴾ {طه/111}

فهذه الآيات الكريمة تبين أن الله ﷻ سمى نفسه (بالحي القيوم)، وهذان الاسمان العظيمان يدلان على صفتين لله ﷻ.

فأسمه تعالى (الحي): يدل على صفة الحياة الدالة على الحياة الكاملة لله ﷻ ليست مسبوقة بعدم، ولا يلحقه زوال ولا فساد ولا نقص.

ويبين الإمام الطبري معنى الحي بأنه الدائم دون انتهاء، والباقي دون ابتداء، والآخر دون انتهاء، وكل ما سواه تعالى فهو ذو بداية ونهاية وسيفنى حينما يقدر له الحي القيوم ذلك.[1]
كما ويؤكد على هذا المعنى الإمام أبو السعود حيث يقول: "الحي هو الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء "[2]

وأما أسمه تعالى (القيوم): فيدل على صفة القيومية الدالة على كمال غنى الله ﷻ عن جميع مخلوقاته فهو تبارك وتعالى القائم بنفسه دون الحاجة لأحد من خلقه، كما وتدل على كمال قدرته تعالى وتدبيره لجميع المخلوقات فجميعها فقير إلى الله ﷻ حيث قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ {فاطر/15}

ولقد ذهب عامةُ المفسرين إلى أن معنى القيوم هو أن الله ﷻ هو القائم بذاته مقيم لغيره برزق ما خلق من عباده على الدوام دون انقطاع ويحافظ عليهم.[3]
ويرى الباحث أن الآيات الثلاث المتضمنة لهذين الاسمين العظيمين(الحي والقيوم) جاءت لتعالج قضايا عقائدية عظيمة ومتعددة، وذلك على النحو التالي:

أولاً: في سورة البقرة جاءت الآية الكريمة لتبين أن الله ﷻ ينهى الإنسان عن عبادة أي شيء غيره تعالى فهو المستحق للعبادة فقط ؛ لأنه الحي الذي لا يموت، الغني عن مخلوقاته القائم بشؤونهم جميعهاً الذي لا تأخذه سنةٌ (أي نُعَاس) ولا نوم.

---

[1] انظر: (جامع البيان) – ج5/ص386

[2] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم – ج1/ 247

[3] انظر: (جامع البيان) – للطبري – ج5/ص386 ، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) – لأبي السعود – ج1/ 247 ، (التحرير والتنوير) – لابن عاشور – ج3/ 18

ويؤكد الإمام الطاهر بن عاشور على هذا المعنى حيث ذهب إلى أن في هذه الآية إبطال لعقيدة المشركين القائمة على ألوهية أصنامهم المصنوعة من الجمادات، فلا يصح أن يكون مدبرُ هذا الكون جماداً.[1]

ثانياً: أما في آية آل عمران ففيها رد على العقيدة الفاسدة التي يعتقد بها نصارى نجران حيث يزعمون بأن عيسى عليه السلام هو الله تعالى وتارة يزعمون أنه ابن الله ﷻ وقد رد عليهم النبي ﷺ بقوله: "**ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه؟** قالوا: بلى، قال: **ألستم تعلمون أن رَبَّنَا حَيٌّ لا يموت، وأن عيسى أتى عليه الفناء؟** قالوا: بلى، قال: **ألستم تعلمون أن ربنا قَيَّمٌ على كلَّ شيءٍ يَحْفَظَهُ وَيَرْزُقَهُ؟** قالوا: بلى، قال: "**فهل يملك عيسى من ذلك شيئا؟** قالوا: لا...."[2]

ثالثاً: بينما في سورة طه فهذه الآية الكريمة فيها إثبات لعقيدة الحشر والحساب يوم القيامة، حيث ستذل وتخضع وجوه الخلائق للواحد القهار جبار السماوات والأرض الذي لا يموت وفيها بيان لحال من أشرك بالله ﷻ بأنه خسر ولم ينجح.[3]

ويخلص الباحث إلى أن هذين الاسمين الجليلين (الحي والقيوم) لم يقتصرا على أنهما اسمان فقط لله ﷻ بل أفادا عدة فوائد وهي كالآتي:

1. أنهما أبرزا صفتين لله ﷻ وهما (الحياة والقيومية).
2. أنهما ذكرا لبيان و معالجة بعض الأمور العقائدية الهامة.
3. بين هذان الاسمان الجليلان أنَّ (الحي والقيوم) فقط هو الذي يستحق العبادة، أما الحي الذي يموت، أو الجماد الذي ليس به حياة أصلاً، فلا يستحق العبادة، حيث قال الله ﷻ:

﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ {غافر/65}

المطلب الثاني: إظهار سعة رحمته:

اتسعت رحمته تبارك وتعالى، لجميع خلقه دون استثناء، فالإنسان المسلم والكافر يتقلب برحمته تعالى في هذه الدنيا، أما في الآخرة فهي خاصة بعباده المؤمنين.

---

[1] التحرير والتنوير – ج3/ 18"بتصرف"

[2] جامع البيان – للطبري – ج6/ص154/ح6544، هذا الحديث لم أجده في كتب تخريج الحديث فذكرته من عند الإمام الطبري، ولا ضير في ذلك لكونه يروي بالمأثور، أما درجة الحديث فلم يحكم عليه الإمام أحمد شاكر.

[3] صفوة التفاسير – للصابوني – ج2/ 227"بتصرف"

ومن رحمته تبارك وتعالى أنه يمهل المشركين المكذبين، ولا يعجل لهم العذاب في الدنيا حيث قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ {الأنعام/147}

ففي هذه الآية الكريمة يخاطب الله ﷻ رسوله الكريم محمداً ﷺ بأنه إذا كذبك اليهود والمشركون فيما أخبرتهم به مما أحل الله تعالى وحرم عليهم، فأخبرهم بأن رحمته تعالى واسعة؛ بأن حَلُمَ عنكم فلم يعاقبكم في الدنيا، لكن هذا العقاب والعذاب سيكون في الآخرة، وقد يكون في الدنيا إن أراد تبارك وتعالى ذلك.[1]

ويؤكد على هذا المعنى كلٌّ من الإمام ابن كثير والإمام سيد قطب ثم يضيفان أن في هذه الآية الكريمة ترغيباً لليهود والمشركين في ابتغاء رحمة الله ﷻ الواسعة، واتباع رسوله الكريم محمد ﷺ وترهيباً لليهود والمشركين من مخالفتهم للرسول محمد ﷺ.[2]

إن هذه الصفة الكريمة التي اتصف بها الله ﷻ تشمل جميع البشر البالغ والصبي، المسلم والكافر هذا في الدنيا أما في الآخرة فهي خاصة بالمسلمين حيث قال تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ {الأعراف/156}

فهذه الآية الكريمة تبين بعض المطالب التي طلبها موسى عليه السلام من الله ﷻ حيث دعا ربه بأن يجعله وبني إسرائيل ممن كتبتْ لهم الصالحات من الأعمال في الدنيا وفي الآخرة، كما وأعلن أنهم راجعون تائبون لله ﷻ فقال له تبارك وتعالى: بأن عذابي أصيب به من أشاء ممن لم يتب، ورحمتي وسعت جميع خلقي، فهذه الرحمة عامة في الدنيا، لتشمل البرَّ والفاجر، فللكافر أن يُرزق ويُدفع عنه، كقوله تعالى في حقّ قارون: ﴿...وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ...﴾ {القصص/77} أما في الآخرة فهي للمتقين خاصة.[3]

وقد قام كلٌّ من الإمام الألوسي والأستاذ محمد رشيد رضا، بالحديث عن عذاب الله ﷻ ورحمته الواسعة وهو أنَّ: **عذاب الله ﷻ**: للمشركين والعصاه، وهو في الآخرة وقد يقع في الدنيا، وهو من الأفعال المترتبة على صفة العدل؛ لذلك عبر عن التعذيب بالفعل المضارع الدال على

---

[1] الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي ج7/ 128"بتصرف"

[2] انظر: (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير – ج3/ 357 ، (في ظلال القرآن) لسيد قطب – ج3/ 1226

[3] زاد المسير– لابن الجوزي ج2/ 160"بتصرف"

التجدد والاستمرار ،**أما رحمة الله ﷻ**: فهي واسعة وسعت كلَّ شيء، فعمَّت وشملت جميع خلقه، وهي في الدنيا والآخرة، وهي صفة من صفاته لذلك عبر عنها بالفعل الماضي.[1]

ويضيف الأستاذ محمد رضا قائلاً:"وهذه هي الرحمة العامة المبذولة لكل مخلوق، ولولاها لهلك كل كافر وعاص عقب كفره وفجوره قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ {فاطر/45}"[2]

فالله ﷻ رحيم بجميع خلقه بل ومن رحمته تعالى أن فرض على نفسه الرحمة فضلاً وإحساناً منه تبارك وتعالى، وفي هذا لطف منه في الدعوة إلى الإيمان والإنابة إلى الرحمن حيث قال تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ {الأنعام/12}

كما ويبين لنا النبي ﷺ مدى رحمته تعالى وأنه أرحم من الأم بوليدها فعن عمر بن الخطاب، أنه قال: قدِمَ عَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بِسَبْي فإذا امرأة من السَّبْي، تبتغي، إذا وجدت صبيا في السبي، أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله ﷺ: "**أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟**" قلنا: لا، والله وهي تقدِرُ على أن لا تَطْرَحَهُ، فقال رسول الله ﷺ: "**للهُ أرحمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**"[3]

فكل ما في هذا الكون من محبة ورحمة وخير ومنفعة هو من رحمته تبارك وتعالى فقد سمَّى نفسه بالرحمن الرحيم، فهو رحمن متصف بصفة الرحمة، رحيم بعباده حيث قال سبحانه: ﴿...وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ {الأحزاب/43} فما يصيب الإنسان من خير و شر فهو برحمة منه تبارك وتعالى، اللهم إنا نسألك أن تتغمدنا برحمة واسعة من عندك يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما.

---

[1] انظر: (روح المعاني) – ج5/ص73 ، (تفسير المنار) ج9/ص192

[2] تفسير المنار ج9/ص192

[3] صحيح مسلم – كتاب التوبة – باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه – ج4/ص2109/ح2754

المطلب الثالث: التنبيه على عظيم عفوه ومغفرته وقدرته:

وصف تبارك وتعالى نفسه بأنه عفوٌ غفور، يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي، فعفوه ومغفرته وسعت جميع الذنوب والمعاصي فيعفو ويتجاوز ويصفح حيث قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا غَفُورًا ﴾{النساء/43}

جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة "عن علي رضي الله عنه، قال: دعانا رجل من الأنصار قبل تحريم الخمر، فحضرت صلاة المغرب، فتقدم رجل فقرأ قل يا أيها الكافرون فالتبس عليه فنزلت:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ... ﴾"[1]

فنُهوا عن الصَّلاة وعن دخول المسجد في الحالات التالية:

1- **في حال السُّكْر:** وكان هذا قبل نزول تحريم الخمر وكان المسلمون بعد نزول هذه الآية يجتنبون السُّكْر والمُسكر أوقات الصَّلاة، فالسَّكران: المُختلط العقل الذي يهذي ولا يستمرُّ كلامه، حيث قال الله تعالى: ﴿...حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ...﴾ فإذا علم ما يقول لم يكن سكراناً ويجوز له الصَّلاة ودخول المسجد.

2- **في حال الجنابة:** فلا تقربوها وأنتم جنبٌ إلاَّ إذا عبرتم المسجد فدخلتموه من غير إقامةٍ فيه حتى تغتسلوا من الجنابة.

أما إنْ كنتم مرضى بمرض يضرُّه الماء كالقروح والجُدّري والجراحات، أو مسافرين، أو جاء أحدكم من المكان المعد لقضاء الحاجة، أي أحدث، أو لامستم النساء باليد أو بالجماع، فلم تجدوا ماءً تتطهرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش فمسِّحوا بترابٍ طيِّبٍ مُنبتٍ.[2]

"ففي هذه الآية الكريمة مظهر من مظاهر التسامح والتيسير في أداء الصلاة، ودليل على أن الإسلام يدفع الحرج والمشقة عن الناس، لذا ختم الله تعالى الآية بقوله: إِنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوًّا غَفُوراً يعفو حيث سهّل الصلاة للمعذور من دون وضوء ولا غسل، والله يقبل العفو أي

---

[1] المستدرك على الصحيحين – للحاكم النيسابوري – ج2/ص336 رقم3199، يقول الإمام الذهبي: صحيح.

[2] انظر: (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) – للواحدي – ص/265

السهل، ويغفر الذنب أي يستر عقوبته، فلا يعاقب المصلحين التائبين، ومن كان عفوا غفورا آثر التسهيل، ولم يشدد لأن الله رؤوف رحيم بعباده".[1]

ومن الآيات المظهرة لعظيم عفوه ومغفرته ورحمته تعالى وأنه يقبل التوبة الصادقة الخالصة له قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾{الزمر/53}

فتبشر هذه الآية الكريمة الذين أسرفوا على أنفسهم، وجنوا عليها بكثرة المعاصي والذنوب وتجاوزوا حدود الله ﷻ، فارتكبوا محارمه وتركوا أوامره: لا تيأسوا من رحمة الله ﷻ فهو يغفر الذنوب جميعا الكبائر، وغير الكبائر إذا تبتم، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ بستر عظائم الذنوب لمن تاب، الرَّحِيمُ بكشف فظائع الكروب لمن تاب إليه ولجأ إليه تعالى، وإن كثرت وكانت كزبد البحر.[2]

"ويقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود: أرجى آية في كتاب الله هذه الآية. وهكذا قال عبد الله بن عمرو بن العاص. وروي عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال: فيها عظة".[3]

لكن ذهب الإمام المراغي إلى استثناء الشرك بالله ﷻ حيث يقول: "إن الله يغفر كل ذنب، كائنا ما كان إلا ما أخرجه النص القرآني، وهو الشرك بقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾{النساء/116}"[4]

"فالشرك لا يغفره الله تعالى لتضمنه القدح في رب العالمين وفي وحدانيته وتسوية المخلوق الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً بمن هو مالك النفع والضر، الذي ما من نعمةٍ إلا منه، ولا يدفع النقم إلا هو... وأما ما دون الشرك من الذنوب والمعاصي فهو تحت المشيئة، إن شاء الله ﷻ غفره برحمته وحكمته، وإن شاء عذب عليه وعاقب بعدله وحكمته".[5]

فالله ﷻ يعلم جميع أعمال الإنسان جهراً كانت أم سراً، بل ويعلم ما هو أعظم من ذلك لكنه تعالى رحيم بعباده غفور لذنوبهم حيث قال ﷻ:﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ {سبأ/2}

---

[1] التفسير الوسيط – للزحيلي – ج1/ص325

[2] انظر: (بحر العلوم) للسمرقندي – ج3/ص190 ، (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للنسفي – ج3/ص187

[3] بحر العلوم – للسمرقندي – ج3/ص191

[4] تفسير المراغي – ج24/ص23

[5] تيسير الكريم الرحمن – للسعدي – ص: 202

فالعفو لا يكون إلا مع كمال العلم والقدرة، هذا ما بينته الآية الكريمة، فالله ﷻ يعلم ما يدخل في الأرض من ماء وأموال وأموات، ويعلم ما يخرج منها من ماء ومعادن ونبات، كما ويعلم ما ينزل من السماء من حرارة وبرودة وماء وملك و ثلج، وصواعق، وبركات، و ما ينزل تعالى من ملائكته وكتبه إلى أنبيائه وما يعرج فيها من الملائكة، وأعمال العباد.

فجميع أعمال العباد يعلمها الله ﷻ فهو الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو رحيم بعباده، فلا يعاجل عصيانهم بالعقوبة، غفور لذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه.[1]

المطلب الرابع: بيان أن العزة والقوة له جميعاً:

فالله ﷻ هو المتفرد بالقوة الكاملة والقدرة التامة في الدنيا والآخرة، لذا يجب على المسلم أن يكون ذليلاً له، فلا يلتجئ إلا إليه ولا يحتمي إلا بحماه، ولا يطلب العزة إلا منه تعالى، أما من اعتز بغيره ﷻ من مشركين ومنافقين فقد ذلَّ، حيث يقول الله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾{النساء/139}

تبين هذه الآية الكريمة سبب استحقاق المنافقين للعذاب الأليم؛ بأنهم يتخذون الكافرين أولياء وأنصاراً أحباباً وبطانة من دون المؤمنين، ثم ينكر الله ﷻ عليهم هذا الفعل بأنهم يبتغون عند الكافرين العزة و المنعة والمعونة والظهور على محمد ﷺ وأصحابه، ثم يجيبهم الله ﷻ بأن العزة لله جميعاً أي القدرة لله جميعاً وهو سيد الأرباب.[2]

"وسبب موالاة المنافقين للكافرين؛ أنه كان الكفار قبل ظهور الإسلام لهم الصولة والجاه، فطلب المنافقون أن ينالوا بولايتهم ومصادقتهم العزّ منهم، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ ﴾ بولايتهم؟ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ولرسوله ولأوليائه، ولا عزة لغيره..."[3]

كما و يبين الإمام السعدي سبباً آخر لموالاة المنافقين للكافرين وهو"سوء ظنهم بالله وضعف يقينهم بنصر الله ﷻ لعباده المؤمنين، ولاحظوا بعض الأسباب التي عند الكافرين، وقصر نظرهم عمّا وراء ذلك، فاتخذوا الكافرين أولياء يتعززون بهم ويستنصرون.

---

[1] انظر: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) – للبقاعي – ج15/ ص442 ، (فتح القدير) – للشوكاني ج4/ ص358 ، (التفسير المنير) – للزحيلي ج22/ ص135.

[2] انظر: (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) – للثعلبي ج3/ص403

[3] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد – لأحمد ابن عجيبة – ج1/ ص576

ثم يضيف الإمام أن: "في هذه الآية الترهيب العظيم من موالاة الكافرين وترك موالاة المؤمنين، وأن ذلك من صفات المنافقين، وأن الإيمان يقتضي محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين وعداوتهم."[1]

ومن الآيات المشيرة إلى مصدر العزة وكيفية الحصول عليها هي قوله تعالى:﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾{فاطر/10}

إن طلب العزة يكون من الله ﷻ فمن أراد أن يكون عزيزاً في الدنيا والآخرة فليلزم طاعة الله تعالى كي ينال ذلك؛ لأن الله تعالى مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعا أما من يتعزز بالأصنام والمشركين فله الذل والهوان، وهذا ما ذهب إليه الإمام الطبري حيث يقول: "من كان يريد العزة فبالله فليتعزز، فلله العزة جميعًا، دون كل ما دونه من الآلهة والأوثان".[2]

بينما يقول الإمام الزمخشري: "كان الكافرون يتعززون بالأصنام، كما قال سبحانه وتعالى:﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴾ {مريم/81} والمنافقون كانوا يتعززون بالمشركين، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ {النساء/139} فبين أن لا عزة إلا لله ولأوليائه وقال: ﴿ ...وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ {المنافقين/8} "[3]

فيبين الإمام الزمخشري أن الكافرين تعززوا بالأصنام، والمنافقين تعززوا بالمشركين، أما المؤمنين فأمرهم الله ﷻ بأن يتعززوا به تعالى، فالمؤمن لا يطلب العزة إلا من الله ﷻ فقط.

وذهب الإمام الشنقيطي إلى هذا المعنى حيث يقول: "من كان يريد العزة فإنها جميعها لله وحده، فليطلبها منه وليتسبب لنيلها بطاعته جلَّ وعلا، فإن من أطاعه أعطاه العزة في الدنيا والآخرة، أما الذين يعبدون الأصنام لينالوا العزة بعبادتها، والذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، يبتغون عندهم العزة، فإنهم في ضلال وعمى عن الحق؛ لأنهم يطلبون العزة من محل الذل".[4]

---

[1] تيسير الكريم الرحمن – ص: 209

[2] جامع البيان – ج20/ص444

[3] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل – ج3/ص602

[4] أضواء البيان – ج6/ص280

فعلى الإنسان المسلم أن يطلب العزة من الله ﷻ فقط، وإلا فسيكون حاله كحال الكفار والمنافقين الأذلاء في الدنيا والآخرة.

المطلب الخامس: التأكيد على أن لله غيب السماوات والأرض ومقاليدهما:

تفرد تبارك وتعالى بعلم الغيب فقد أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالعالم العلوي والسفلي، بالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء، علم ما كان وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

ولقد تعددت الآيات الكريمة المبينة لإحاطته تبارك وتعالى بعلم السماوات والأرض فمنها قولـــــــه: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ {هود/123}

ختم الله ﷻ سورة هود بهذه الآية الكريمة الدالّة على انفراد الخالق بالعظمة وبما لا يمكن للبشر معرفته، وهو علم الغيب، فالخير والشّر وجليل الأشياء وحقيرها يعلمهﷻ، فهو المتفرد بعلم الغيب في كل زمان ومكان، ومرجع جميع الخلائق والكائنات إليه؛ لأنه مصدر ومبدأ الكل، وصاحب القدرة الشاملة، والمشيئة النافذة.

فهو المستحق للعبادة وحده، فاعبده يا محمد ﷺ ومن معك من المؤمنين، وفوّض أمرك كله له، وثق به تمام الثقة في كل شيء، فلا يخفى على الله ﷻ ما يفعله المكذّبون والمصدقون، وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء في الدنيا والآخرة، وفي ذلك تسلية للنبي ﷺ وتهديد للكفار.[1]

وذكر سبحانه وتعالى علمه بما في السماوات والأرض في موطن آخر حيث قال: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ {النحل/77}

فالله ﷻ يعلم ما غاب في السموات والأرض مما لا اطلاع لأحد عليه، والمتأمل يلحظ أن في هذه الآية الكريمة رد من الله ﷻ على عبَّاد الأصنام وغيرها، فالله ﷻ يعلم كل شيء، في حين أن هذه المعبودات الزائفة لا تعلم شيئا، حيث شبه تعالى الأصنام – في الآيات السابقة لهذه

---

[1] انظر: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لابن عطية – ج3/ص217 ، (محاسن التأويل) للقاسمي – ج6/ص143 ، (التفسير الوسيط) للزحيلي – ج2/ص1087

الآية – برجل مملوكٍ عاجزٍ عن التصرف لا يملك شيئًا، كما وشبهها برجل أخرس أصم لا يَفْهَم ولا يُفْهِم، لا يقدر على منفعة نفسه أو غيره، وهو عبء ثقيل على مَن يَلي أمره ويعوله، إذا أرسله لأمر يقضيه لا ينجح، ولا يعود عليه بخير.

ثم يدلل الله تعالى على عظيم علمه وقدرته تعالى فيذكر أن قيام الساعة التي ينتشر فيها الخلق للوقوف في موقف الحساب كنظرة من البصر، وطرفة من العين في السرعة، وخص قيام الساعة من بين الغيوب؛ لأنه قد كثرت فيه المماراة في جميع الأزمنة والعصور، ولدى كثير من الأمم، بل وبرهن على إمكان وسرعة حدوثها ووقوعها في أقرب من لمح البصر فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ فالله قادر على كل ما يشاء، لا يمتنع عليه شيء أراده، فقدرته تعالى مطلقة غير مقيدة.[1]

وكذلك علمه تبارك وتعالى مطلق غير مقيد فهو يعلم ما تختلسه وتسرقه العيون من نظرات، وما يضمره الإنسان في نفسه من خير أو شر مما لم يبينه لغيره حيث قال:﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ {غافر/19}فالذي يعلم ذلك الخفي، فمن باب أولى وأحرى أن يكون عالماً بجميع الأمور الظاهرة والخفية.

وفي هذا المقام يبين الإمام الشعراوي فائدة انفراده تعالى بعلم الغيب دون خلقه حيث يقول:"هذا الغيب الذي لا نعرفه يَعُدّه بعض الناس نَقْصاً فينا، وهو في الحقيقة نوع من الكمال في النفس البشرية؛ لأنك إنْ أردتَ أنْ تعلمَ غيْبَ الناس فاسمح لهم أنْ يعلموا غَيْبك، ولو خُيّرت في هذه القضية لاخترتَ أنْ يحتفظ كلٌّ منكم بغَيْبه لا يطلع عليه أحد..."[2]

فعلم الغيب خاص بالله تعالى لا يعلمه أحد من خلقه إلا بإذنه تعالى، وفي ذلك خير لنا؛ لأن الإنسان لو علم غيب أخيه – والعكس صحيح – لفسد وتناحر جميع البشر.

المطلب السادس: بيان أن وعد الله حق:

إن الوفاء بالوعد خصيصة حسنة يحرص عليها الإنسان المؤمن بالله ﷻ، لكنه لا يستطيع أن يفي بوعده في بعض الأحيان: إما لعدم القدرة أو النسيان أو غير ذلك، لكن وعد الله ﷻ حق، ولا يخلف الميعاد مطلقاً مهما كان مهيَّة وزمان هذا الوعد، وهذا يظهر في وفائه تعالى

---

[1] انظر: (بحر العلوم) – للسمرقندي ج2/ص284 ، (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) – للزمخشري ج2/ص623 ، (تفسير المراغي) – للمراغي – ج14/ص117– 118

[2] تفسير الشعراوي – ج13/ص8103

لعباده بأن أدخلهم الجنة، حيث قال: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴾ {مريم/61}

فوعده تبارك وتعالى آتٍ لا يُخلَف حيث وعد عباده التائبين من ذنوبهم بأن يدخلهم الجنة الغائبة عنهم التي آمنوا بها ولم يشاهدوها، ووفى بوعده بأن أدخلهم الجنان الدائمة، فوعده تعالى متحقق لا محالة وإن كان بأمر غائب عن عباده فهو بالنسبة إليه مشاهد، بل وأكد تعالى على ذلك بأنهم سيأتون وينالون هذا الوعد وسيدخلون الجنة.[1]

يقول الإمام البقاعي: "ولما كان من شأن الوعود الغائبة – على ما يتعارفه الناس بينهم – احتمال عدم الوقوع، بين أن وعده ليس كذلك بقوله:﴿...إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴾"[2]

فوعده تعالى لا بد من وقوعه؛ لأنه حق وهو مختلف عن وعود جميع خلقه، فهو لا يخلف الميعاد.

ومن الآيات الكريمة المبينة أن وعده تبارك وتعالى حق وأنه لا يخلف الميعاد قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾ {الزمر/74}

يوم القيامة يفي الله ﷻ بوعده فيدخل عباده الصالحين الجنة، فتبين هذه الآية الكريمة كيف يثني أهل الجنة على الله ﷻ الذي أنجزهم ما وعدهم به في الدنيا من نعيم العُقبى على لسان الرسل والأنبياء، وأن جعلهم مُلاكاً للجنة مستقرين متصرفين فيها، تصرف المالك في ملكه أينما وكيفما يشاء، باختيار المنازل في الجنة، الموصوفة بالسعة والزيادة على الحاجة، فنعم الأجر أجرنا على عملنا بالطاعات في الدنيا.[3]

---

[1] انظر: (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير ج5/ص246 ، (التفسير الكبير) للرازي ج21/ص552-553

[2] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – ج12/ص226

[3] انظر: (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) – للنسفي – ج3/ص195 ، (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) – لابن عجيبة – ج5/ص106

يقول الإمام الخازن: "فإن قلت فما معنى قوله﴿حَيْثُ نَشَآءُ﴾ وهل يتبوأ أحدهم مكان غيره. قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وحسناً وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج إلى غيره".[1]

فالله تعالى أثنى على نفسه بأنه حق، ووعده حق، ولقاؤه حق، وأنه لا يخلف الميعاد، فالحق أحق أن يتبع، لذلك فعلى الإنسان المؤمن في كل وقت وحين أن يكون لسان حاله قائلًا: ﴿...إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ {آل عمران/9}

فالكفار وصفهم الله تعالى بأنهم جهلة لا يعلمون بقدرته تعالى على تحقيق وعده حيث قال تعالى:﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾{الروم/6}

المطلب السابع: إثبات أنه سبحانه أحسن الحاكمين:

يختلف الحكم من شخص لآخر ومن بلد لآخر، فتارة يكون عادلاً وأخرى غير ذلك، أما حكم الله ﷻ فيتصف بالكمال في العدل والمساواة بين عباده في الدنيا والآخرة، فلا رادَّ لحكمه ولا معقب لقضائه، ولا يراجعه مراجع، لذلك فالحكم له تعالى فقط دون سواه من أتباع الهوى حيث أنكر تبارك وتعالى عليهم احتكامهم للجاهلية فقال: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ {المائدة/50}

ففي هذه الآية إنكارٌ وتوبيخ وتعجب من حال هؤلاء اليهود الذين يرفضون حكم النبي محمد ﷺ ويريدون حكم الجاهلية، حيث قدم في هذه الآية المفعول به: ﴿أَفَحُكْمَ﴾ على الفعل: ﴿يَبْغُونَ﴾ تأكيداً على الإنكار والتعجب؛ لأن التولِّيَ عن حكمه صلى الله عليه وسلم وطلبَ حكمٍ آخرَ منكرٌ عجيب، وطلبُ حكم الجاهلية أقبح وأعجب.[2]

ويذكر الإمام مُقْبلُ الهَمْدَاني سبب نزول هذه الآية الكريمة بما روي عن ابن عباس ﷺ قال: كانت قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ، وكان النضير أشرف من قريظة، فكان إذا قَتَلَ رجل من قريظة رجلاً من النضير قُتِلَ به، وإذا قَتَلَ رجلٌ من النضير رجلاً من قريظة فودي بمائة وَسْقٍ من التمر، فلما بعثَ النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قَتَلَ رجلٌ من النضير رجلاً من قريظة، فقالوا: ادفعوه

---

[1] لباب التأويل في معاني التنزيل – ج4/ص66

[2] إرشاد العقل السليم – لأبي السعود – ج3/ص47"بتصرف"

إلينا نَقْتُلُهُ فقالوا: بيننا وبينكم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فأتوه فنزلت:﴿...وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ...﴾{المائدة/42} والقسط النفس بالنفس ثم نزلت:﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ...﴾{المائدة/50} [1]

فالمتأمل في سبب النزول يلحظ أن الجاهلية التي كان عليها اليهود هي التفاضل في الحكم فيما بين القتلى، حيث رفض بنو النضير أن يكونوا مثل بني قريظة في الحكم فهم يريدون حكم الجاهلية القائم على الهوى، وترجيح القوي على الضعيف!؟.

يقول الأستاذ محمد رضا: "لا أحد أحسن حكماً من حكم الله تعالى لقوم يوقنون بدينه، ويذعنون لشرعه؛ لأن هذا الحكم يجمع الحسنيين؛ منتهى العدل والتزام الحق من الحاكم، ومنتهى القبول والإذعان من المحكوم له والمحكوم عليه، وهذا مما تفضل به الشريعة الإلهية القوانين البشرية...فحكمه تعالى أحسن الأحكام عند الموقنين، وفي نظرهم، وإن جهل ذلك غيرهم.

فمضمون الآية أن مما ينبغي التعجب منه من منكراتهم أنهم يطلبون حكم الجاهلية الجائر، ويؤثرونه على حكم الله العادل، والحال أن حكمه تعالى أحسن الأحكام لأهل الإيمان والإسلام؛ لأن حكمه هو العدل، الذي يستقيم به أمر الخلق، وأما حكم الجاهلية فهو تفضيل القوي على الضعيف، الذي يمكن الظالمين الأقوياء من استذلال أو استئصال الضعفاء، وهو شر الأحكام المخرب للعمران، المفسد للنظام.

ومن المؤسف والمحزن أن يوجد بين المسلمين في هذا العصر من هم أشد فسادا في دينهم وأخلاقهم من أولئك الذين نزلت فيهم هذه الآيات، ومن ذلك أنهم يرغبون عن حكم الله إلى حكم غيره، ويرون أن استقلال البشر بوضع الشرائع خير من شرع الله تعالى، فهم لا يعرفون أصول شرع الله ولا قواعده، بل يظنون أنه محصور في هذه الكتب الفقهية التي أكثر ما فيها من آراء أفراد من المجتهدين والمقلدين، فهم ينتقدون كثيراً منها بعدم موافقتها لمصالح الناس تارة، ولأهوائهم تارة أخرى، يحتجون بضرب من الجهل على ضرب آخر."[2]

---

[1] الصحيح المسند من أسباب النزول – ص/85 – 86 ، كما وأخرجه الإمام أبي داود في سننه – كتاب الديات – باب النفس بالنفس – ج4/ص168/ح4494، يقول الإمام الألباني: صحيح.

[2] تفسير المنار – ج6/ص349

ومن الآيات الكريمة المبينة أن الله ﷻ هو خير الحاكمين وأفضلهم وأعدلهم قوله تعالى:

﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ {يونس/109}

تبين هذه الآية الكريمة ما أمر به النبي ﷺ أن اتبع يا محمد وحي الله الذي يوحيه إليك، وتنزيله الذي ينزله عليك، فاعمل به، واصبر على ما أصابك في الله من مشاق التبليغ ومن مشركي قومك من الأذى والمكاره، وعلى ما نالك منهم، حتى يقضي الله فيهم وفيك أمره بفعلٍ فاصلٍ، فالله ﷻ هو خير القاضين وأعدل الفاصلين، فحكم جل ثناؤه بينه وبينهم يوم بَدر وقتلهم بالسيف، وأمر نبيه ﷺ فيمن بقي منهم أن يسلك بهم سبيل من أهلك منهم، أو يتوبوا ويُنيبوا إلى طاعته.[1]

يقول الإمام الألوسي: "فالله ﷻ هو خير الحاكمين إذ لا يمكن الخطأ في حكمه تعالى لاطلاعه على السرائر كاطلاعه على الظواهر، وغيره جل شأنه من الحاكمين إنما يطلع على الظواهر فيقع الخطأ في حكمه، ولا يخفى ما في هذه الآيات من الموعظة الحسنة وتسلية النبي صلّى الله عليه وسلم ووعد المؤمنين والوعيد للكافرين".[2]

فالله ﷻ خير وأحسن الحاكمين، فالحكم له تبارك وتعالى وحده فقط دون سواه، لذا فعلى الإنسان العبادة والخضوع والانقياد له وحده تبارك وتعالى حيث قال: ﴿... إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾{يوسف/40}
لذا لا يحق لأحد أن يراجع الله ﷻ في حكمه كما يراجع الناس بعضهم بعضا في أحكامهم؛ لأنه سبحانه وتعالى يحكم ولا معقِّب لحكمه وقضائه، حيث قال تعالى:﴿...وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ {الرعد/41}

المطلب الثامن: التنبيه على أن الله تعالى هو القاهر فوق عباده:

فالله ﷻ هو القاهر لخلقه بسلطانه وقدرته ويصرفهم إلى ما أراد طوعاً وكرها فلا يرد انتقامه، مذل الجبارين المعاندين، فلا يكون إلا ما أراد ﷻ فهو الغالب لهم جميعا حيث قال سبحانه:﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ {الأنعام/18}

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن – للطبري – ج15/ص221 "بتصرف يسير"

[2] روح المعاني – ج6/ص188

فالله ﷻ هو القادر الغالب الذي لا يعجزه شيء مستعليا، فهو فوق عباده بالاستعلاء والقهر والغلبة عليهم، لا فوقية المكان.[1]

يقول الإمام ابن كثير: "هو الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، وقهر كل شيء ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت حكمه وقهره".[2]

فهو الحكيم في جميع ما يفعله يضع الأشياء مواضعها وفْق حكمته، الخبير الذي لا يخفى عليه شيء.

ومن الأدلة الجلية على قدرته تعالى لقهره لعباده أيضاً قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ {الأنعام/61}

ففي هذه الآية الكريمة يبين الله ﷻ مظهراً من مظاهر قهره لعباده وهو الموت، فالميت يقهر بموته؛ لأنه تنزع منه روحه من غير رضاه.

"فالقهر: هو الغلبة والأخذ من فوق، والقهار: من صفات الله عزَّ وجل... وقهره يقهره قهرا: غلبه، وتقول: أخذتهم قهرا أي من غير رضاهم."[3]

فالله ﷻ هو الأعلى على جميع عباده بالقهر والغلبة، ويرسل عليكم ملائكة حفظة تحفظ أعمالكم، وهم الكرام الكاتبون، موكلين ببني آدم، ملكين بالليل، وملكين بالنهار، ويكتب أحدهما الخير، والآخر الشر، وفي ذلك قهر وزجر للإنسان كي يبتعد عن المعاصي، ثم لا تزال الملائكة تكتب عليه أعماله حتى إذا جاء أحدكم الموت توفاه ملك الموت وأعوانه، وهم لا يفرطون بالتواني والتأخير، ولا يجاوزون ما حد لهم بالتقديم والتأخير.[4]

يقول الإمام سيد قطب: "فهو صاحب السلطان القاهر وهم تحت سيطرته وقهره، هم ضعاف في قبضة هذا السلطان لا قوة لهم ولا ناصر، هم عباد والقهر فوقهم، وهم خاضعون له

---

[1] انظر: (فتح القدير) – للشوكاني – ج2/ص120

[2] تفسير القرآن العظيم – ج3/ص244

[3] لسان العرب – لابن منظور – ج5/ص120

[4] انظر: (بحر العلوم) – للسمرقندي – ج1/ص455 ، (البحر المديد) –لابن عجيبة – ج2/ص128

مقهورون، وهذه هي العبودية المطلقة للألوهية القاهرة، وهذه هي الحقيقة التي ينطق بها واقع الناس...إن كلَّ نفس من أنفاسهم بقدر وكل حركة في كيانهم خاضعة لسلطان الله بما أودعه في كيانهم من ناموس لا يملكون أن يخالفوه."[1]

يقول الشيخ عبد الحميد كشك: "ونلاحظ أن اسم القهار في القرآن الكريم يقترن في الذكر باسم الواحد، فما الحكمة في ذلك؟.

ثم يجيب بقوله: إن شرط القهار أن لا يقهره أحد سواه وأن يكون هو قهاراً لكل ما سواه، وهذا يقتضي أن يكون الإله واحداً إذ لو كان في الوجود اثنان لما كان قاهراً لكل ما سواه فالإله لا يكون قاهراً إلا إذا كان واحداً."[2]

ثم يستشهد الشيخ على ذلك ببعض الآيات الكريمة منها قوله تعلى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ {إبراهيم/48}

وقوله: ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ {غافر/16}

لذا يجب علينا عبادته تبارك وتعالى وحده، فهو الإله القاهر العلي الكبير الحكيم الخبير، وعدم الالتفات إلى العبد المقهور الذي لا حول له ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المطلب التاسع: إبراز أنه سبحانه لطيف بعباده خبير بأحوالهم وأعمالهم:

فالله لطيف بعباده، فيسرهم لليسرى وجنبهم العسرى، وسهل لهم كل طريق يوصل إلى مرضاته، وحفظهم من كل سبب ووسيلة توصل إلى سخطه، وقدر عليهم أموراً يكرهونها لينيلهم ما يحبون.[3]

"فاللطيف: صفة من صفات الله واسم من أسمائه... ومعناه، والله أعلم، الرفيق بعباده."[4]

ومن الآيات المبينة للطفه ﷻ قوله:﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ {الأنعام/103}

---

[1] في ظلال القرآن – ج2/ص1122

[2] أسماء الله الحسنى – ص102

[3] انظر: تفسير أسماء الله الحسنى – للسعدي – ص225

[4] لسان العرب – لابن منظور – ج9/ص316

"لا تصل إليه الأبصار ولا تحيط به وهو يراها ويحيط بها لشمول علمه تعالى للخفيات فهو اللطيف بعباده الخبير بمصالحهم."[1]

يقول الإمام ابن كثير: "ونفي الرؤية في الدنيا لا ينفي الرؤية يوم القيامة إذ يتجلى لعباده المؤمنين كما يشاء، فالله ﷻ لا تدركه الأبصار ولهذا كانت أم المؤمنين عائشة تثبت الرؤية في الآخرة وتنفيها في الدنيا وتحتج بهذه الآية ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ... ﴾" [2]

ويقول الإمام الثعالبي: "إنا نفرق بين معنى الإدراك، ومعنى الرؤية، ونقول: إنه عز وجل تراه الأبصار، ولا تدركه وذلك أن الإدراك يتضمن الإحاطة بالشيء، والوصول إلى أعماقه وحوزه من جميع جهاته، وذلك كله محال في أوصاف الله عز وجل، والرؤية تفتقر إلى أن يحيط الرائي بالمرئي، ويبلغ غايته."[3]

فالله ﷻ محيط لطيف خبير بخلقه؛ لأنه يلطف بكل إنسان وكل كائن، مدبر أمورهم لما فيه مصالحهم.

ويقول الشيخ محمد الشعراوي: "فمظاهر اللطف لا حصر لها، وعلى قدر دقة اللطف تكون دقة مأتاه وإحصائه، فهو اللطيف الذي إذا ناديته لبّاك، وإذا قصدته آواك، وإذا أحببته أدناك، وإذا أطعته كفأك، وإذا أعطيته وأقرضته من فضله وماله الذي منحك عافاك، وإذا أعرضت عنه دعاك..."[4]

ومن الآيات المبينة للطفه ﷻ قوله: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾{الملك/14}

من خلق شيئا لا بد وأن يكون عالما بمخلوقه، فالخلق إيجاد وتكوين بقصد وعلم بحقيقة ذلك المخلوق وبكميته وكيفيته، أما الغافل فلا يكون خالقاً؛ لأنه يجهل كمية وكيفية المخلوق.[5]

---

[1] صفوة التفاسير – للصابوني – ج1/ص380

[2] تفسير القرآن العظيم – ج3/ص311 "بتصرف يسير"

[3] الجواهر الحسان في تفسير القرآن – ج2/ص503

[4] تفسير الشعراوي – ج6/ص3844

[5] انظر: (مفاتيح الغيب) – الرازي – ج30/ص589

يقول الشيخ عبد الرزاق البدر: "ومن لطفه بعباده أنه يقدر أرزاقهم بحسب علمه بمصلحتهم، لا بحسب مراداتهم، فقد يريدون شيئاً وغيره أصلح، فيقدّر لهم الصلح وإن كرهوه لطفاً بهم، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾{الشورى/19} ومن لطفه بهم أنه يقدر عليهم أنواعاً من المصائب وضروباً من البلايا والمحن سوقاً لهم إلى كمال نعيمهم."[1]

يقول ابن قيم الجوزية:

وهو اللطيف بعبده ولعبده ... واللطف في أوصافه نوعان

إدراك أسرار الأمور بخبرة ... واللطف عند مواقع الإحسان

فيريك عزته ويبدي لطفه ... والعبد في الغفلات عن ذا الشأن.[2]

فعلى الإنسان المسلم أن يكون على يقين تام بأن كل ما فيه – من خير ونعمة أو بلاء وابتلاء – يعتبر خيراً محضاً؛ لأنه من الله تعالى اللطيف بعباده، الخبير بأحوالهم.

المطلب العاشر: التأكيد على أن سنة الله لا تتبدل ولا تتحول:

فسنته ﷻ لا تتبدل ولا تتحول ولا تتغير منذ الأزل فهي باقية إلى قيام الساعة، كما وفيها أشد العقاب والعذاب للكفرة والمنافقين، والنصرة والتمكين لعباده الصالحين، حيث يقول تعالى في محكم التنزيل: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾ {الأحزاب/62}

تبين هذه الآية الكريمة أن استئصال الغواة المطرودين من المنافقين والذين في قلوبهم مرض والمشيعون للأخبار الكاذبة السيئة لتخويف الناس وإثارتهم، ليس ببدع من الله بل قد كان هذا سنة الله القدير الحكيم المستمرة القديمة التي قد سنها سبحانه في انتقام مطلق المؤذين المفترين الذين خلوا ومضوا من قبل ولن تجد أنت يا أكمل الرسل لسنة الله المستمرة الجارية حسب حكمته المتقنة البالغة تبديلا فالله ﷻ لا يبدل حكمه ولا يغير حكمته بل له أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.[3]

---

[1] فقه الأسماء الحسنى – ص167

[2] متن القصيدة النونية – ص/207

[3] انظر:الفواتح الإلهية – للشيخ علوان – ج2/ص164

يقول الإمام أبو السعود: "سنَّ الله ذلك في الأمم الماضية سُنَّةً وهي أن يقتل الذين نافقوا الأنبياءَ عليهم الصلاة والسلام، وسعوا في توهين أمرهم بالكذب ونحوه أينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا أصلا...."[1]

ويقول الإمام ابن عاشور: "وذيل بجملة ولن تجد لسنة الله تبديلا؛ لزيادة تحقيق أن العذاب حائق بالمنافقين وأتباعهم إن لم ينتهوا عما هم فيه وأن الله لا يخالف سنته؛ لأنها مقتضى حكمته وعلمه فلا تجري متعلقاتها إلا على سنن واحدة، فلن تجد لسنن الله مع الذين خلوا من قبل ولا مع الحاضرين ولا مع الآتين تبديلا."[2]

ومن الآيات الكريمة المؤكدة على أن سنة الله ﷻ لا تتبدل ولا تتحول قوله تعالى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ {فاطر/43}

تبين هذه الآية الكريمة حال كفار قريش المستكبرين الماكرين برسول الله ﷺ، حيث أقسموا بالله أشد الأَيْمان، لئن جاءهم رسول من عند الله يخوِّفهم عقاب الله ليكونُنَّ أكثر استقامة واتباعاً للحق من اليهود والنصارى وغيرهم، فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم، ما زادهم ذلك إلا بُعْدًا عن الحق ونفورًا منه.

لم يكن ذلك الإقسام من كفار قريش لقَصْدٍ حسن أوطلبٍ للحق، وإنما هو استكبار في الأرض على الخلق، يريدون به المكر السيِّئ والخداع والباطل، لكن المكر السيئ لا يحيق ويحيط وينزل إلا بأهله، ولقد حاق بهم يوم بدر، فهل ينتظر المستكبرون الماكرون الذين كذبوا برسلهم من الأمم قبلهم إلا العذاب الذي نزل بأمثالهم الذين سبقوهم، فسنته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل سنة لا يبدلها في ذاتها ولا يحولها عن أوقاتها وأن ذلك مفعول لا محالة، فلا يستطيع أحد أن يُبَدِّل ولا أن يُحَوِّل العذاب عن نفسه أو غيره.[3]

يقول الإمام سيد قطب: "والأمور لا تمضي في الناس جزافا، والحياة لا تجري في الأرض عبثا، فهناك نواميس ثابتة تتحقق، لا تتبدل ولا تتحول، والقرآن يقرر هذه الحقيقة ويعلمها للناس، كي لا ينظروا الأحداث فرادى، ولا يعيشوا الحياة غافلين عن سننها الأصيلة، محصورين في فترة قصيرة من الزمان، وحيز محدود من المكان.

---

[1] إرشاد العقل السليم – ج7/ص116

[2] التحرير والتنوير – ج22/ص112

[3] انظر: (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) – للنسفي – ج3/ص93

ويرفع تصورهم لارتباطات الحياة وسنن الوجود، فيوجههم دائما إلى ثبات السنن واطراد النواميس، ويوجه أنظارهم إلى مصداق هذا فيما وقع للأجيال قبلهم ودلالة ذلك الماضي على ثبات السنن واطراد النواميس".[1]

فمصير الكافر والمنافق هو النار لا مناص وبلا خلاف؛ لأن سنته تبارك وتعالى لا تتبدل ولا تتحول تجاه جميع خلقه محسنهم ومسيئهم.

المطلب الحادي عشر: بيان أنه سبحانه خير الرازقين:

فالله سبحانه هو المتكفل بأرزاق المخلوقات دون استثناء في هذه الدنيا، لذا يجب على الإنسان أن لا يطلب الرزق إلا منه تعالى ولا ينتظره إلا منه ﷻ فخزائنه لا تنضب مع كثرة العطايا لخلقه، أما في الآخرة فهي خاصة بالمسلمين.

لكن كثرة العطاء في الدنيا ليس دليلاً على كرامة العبد عند الله ﷻ، كما أن قلته ليس دليلاً على هوانه عنده حيث قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ {سبأ/39}

قل يا محمد إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من خلقه فيوسعه عليه تكرمة له وغير تكرمة، ويقدر على من يشاء منهم فيضيقه ويقتره إهانة له وغير إهانة، بل محنة واختبارًا لحكمة يعلمها، وما أنفقتم أيها الناس من نفقة في طاعة الله، فإن الله يخلفها عوضاً عليكم إما عاجلاً في الدنيا بالبدل، أو آجلاً في الآخرة بالثواب، فهو خير من قيل إنه يرزق ووصف به، وذلك أنه قد يوصف بذلك من دونه فيقال: فلان يرزق أهله وعياله، فما هو إلا وسيط لإيصال الرزق للمخلوقات.[2]

يقول الإمام أحمد المراغي: "ولا رابطة بين الثراء ومحبة الله، ألا ترى أنه ربما وسع سبحانه على العاصي وضيق على المطيع، وربما عكس الأمر، وقد يوسع على المطيع والعاصي تارة ويضيق عليهما أخرى، يفعل كل ذلك بحسب ما اقتضته مشيئته المبنية على الحكم

---

[1] في ظلال القرآن – ج5/ص2949

[2] انظر: تفسير (جامع البيان) – الطبري – ج20/ص413 ، (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) – البيضاوي – ج4/ص249

البالغة التي قد نعلمها وربما خفي علينا أمرها، ولو كان البسط دليل الإكرام والرضا لاختص به المطيع، ولو كان التضييق دليل الإهانة لاختص به العاصي."[1]

ومن الآيات الكريمة المبينة لخيرية رزقه ﷻ : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ {الجمعة/11}

فيعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ وترك الرسول محمد ﷺ على المنبر يخطب.

قل لهم أيها النبي ما عند الله من الثواب والنعيم في الدار الآخرة أنفع لكم من اللهو ومن التجارة، فالله خير مَن رزق وأعطى لمن توكل عليه؛ فإليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خيري الدنيا والآخرة.[2]

وهذا يظهر من خلال سبب النزول فعن جابر بن عبد الله[3] رضي الله عنهما قال: "أقبلت عيرٌ يوم الجمعةِ، ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم، فثارَ الناسُ إلا اثنيْ عشرَ رجلاً، فأنزل الله: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً ... ﴾ "[4]

ويقول الإمام القرطبي: "وقد ذكر أبو داود في مراسيله السبب الذي ترخصوا لأنفسهم في ترك سماع الخطبة، وقد كانوا خليقا بفضلهم ألا يفعلوا، فقال: حدثنا محمود بن خالد، حدثنا الوليد، أخبرني أبو معاذ بكير بن معروف أنه سمع مقاتل بن حيان[5] قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين حتى كان يوم جمعة والنبي صلى

---

[1] تفسير المراغي – ج22/ص89

[2] انظر: (تفسير القرآن العظيم) – لابن كثير – ج8/ ص123–124

[3] جَابر بن عبد الله بن عَمْرو بن حرَام أَبو عبد الله السّلمِيّ الْأَنْصَارِيّ الْمَدِينِيّ، شهد بَدْراً مَعَ النَّبِي ﷺ، وَقيل شهد الْعقبَة مَعَ أَبِيه، مَاتَ سنة ثَمَان أَو تسع وَسبعين بعد أَن عمي وكانَ لَهُ يَوْم ماتَ أَربع وَتسْعُونَ سنة، وصلى عَلَيْهِ أبان بن عُثْمَان بن عَفَّان، وَهُوَ وَالِي الْمَدِينَة قَالَ عَمْرو بن عَليّ: آخر من مَاتَ بِالْمَدِينَةِ جَابر بن عبد الله فِي سنة تسع وَسبعين. انظر: (رجال صحيح البخاري = الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد – لأحمد الكلاباذي – ج1/ص141، رجال صحيح مسلم – لأحمد بن مَنْجُويَه – ج1/ص113)

[4] صحيح البخاري – كتاب تفسير القرآن – باب﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ﴾ ج6/ص152/ح4899

[5] مقاتل بن حيان النبطي أبو بسطام البلخي، روى عن سعيد بن المسيب والشعبي والحسن وقتادة ومجاهد وطائفة، وروى عنه إبراهيم بن أدهم وابن المبارك وخلق، قال أبو داود والنسائي: ثقة، مات قبل الخمسين ومائة. انظر: (طبقات الحفاظ – للسيوطي – ص/83)

الله عليه وسلم يخطب وقد صلى الجمعة، فدخل رجل فقال: إن دحية بن خليفة[1] قدم بتجارته، وكان دحية إذا قدم تلقاه أهله بالدفاف، فخرج الناس فلم يظنوا إلا أنه ليس في ترك الخطبة شيء؛ فأنزل الله عز وجل﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ... ﴾ فقدم النبي صلى الله عليه وسلم الخطبة يوم الجمعة وأخر الصلاة، وكان لا يخرج أحد إلا لرعاف أو لحدث بعد النهي حتى يستأذن النبي ﷺ، يشير إليه بأصبعه التي تلي الإبهام فيأذن له صلى الله عليه وسلم ثم يشير إليه بيده..."[2]

ويرى الباحث: أن هذا الحديث يستأنس به وإن كان مرسلا؛ لأن فيه بيان سبب تجوز الصحابة الكرام في الخروج وقت صلاة الجمعة، فالصحابة جميعهم عدول ولا يقدح في عدالتهم.

ويقول الإمام الشوكاني: "ثم أمر الله سبحانه محمداً ﷺ أن يخبرهم بأن العمل للآخرة خير من العمل للدنيا، فقال:﴿ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ ﴾ يعني من الجزاء العظيم وهو الجنة خير من اللهو ومن التجارة اللذين ذهبتم إليهما، وتركتم البقاء في المسجد وسماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم لأجلها، والله خير الرازقين، فمنه اطلبوا الرزق، وإليه توسلوا بعمل الطاعة، فإن ذلك من أسباب تحصيل الرزق وأعظم ما يجلبه."[3]

لذا يجب على الإنسان أن يكون على يقين تام بأن الرزاق هو الله تعالى وحده، فلا ينشغل برزق الدنيا الفاني عن عبادة الله ﷻ حيث قال:﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ {الذاريات/58}

---

[1] دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخَزْرجْ، ابن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف الكلبيّ، صحابيّ مشهور، أوّل مشاهده الخندق وقيل أحد، ولم يشهد بدرا، وكان يُضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبريل عليه السلام ينزل على صورته، شهيد اليرموك، وكان على كردوس، وقد نزل دمشق وسكن المنزّة، وعاش إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ. انظر: (الإصابة في تمييز الصحابة – لابن حجر العسقلاني – ج2/ص321 – 323)

[2] انظر: (الجامع لأحكام القرآن) ج18/ص110–111 ، (المراسيل) ص105/ح62

[3] فتح القدير ج5/ص272

المبحث الثاني: ثناء الله على ملائكته

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: إقرار شهادتهم بالوحدانية مرتبطة بشهادة الله وأولي العلم.

المطلب الثاني: سجودهم لآدم عليه السلام.

المطلب الثالث: سلامهم على المؤمنين وتبشيرهم بالجنة.

المطلب الرابع: اصطفاء الرسل منهم.

المطلب الخامس: تسبيحهم بحمد ربهم من حول العرش.

المطلب السادس: أنهم غلاظ شداد لايعصون الله.

المطلب السابع: صلاتهم على النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني

ثناء الله على ملائكته

خلق الله ﷻ الملائكة وأثنى عليهم بصور عديدة، فتارة يقرن الله تعالى اسمه باسمهم وصلاته بصلاتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف ، وتارة يذكر حفهم بالعرش وحملهم له وبراءتهم من الذنوب، وتارة يصفهم بالإكرام والكرم، والتقريب والعلو والطهارة والقوة والإخلاص والأمانة في حفظه الوحي وتبليغه حيث قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ {الأنبياء/26 – 27}

فقد خلق الله ﷻ الملائكة جميعا لطاعته، وجبلهم على عبادته، وعصمهم من معصيته كما قال سبحانه عنهم ﴿...لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ {التحريم/6}

وعن أبي ذر ﷺ[1]، قال: قال رسول الله ﷺ: "**إني أرى ما لا ترونَ، وأسمعُ ما لا تسمعونَ أطَّتِ السماءُ، وحُق لها أن تَئِطَّ ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملكٌ واضع جبهته ساجداً لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، وما تلذذتم بالنساء على الفرشِ ولخرجتم إلى الصعداتِ تجأرون إلى الله، لوددت أني كنت شجرة تُعْضَدُ**"[2]

وسوف يتحدث الباحث في هذا المبحث عن ثناء الله ﷻ على أفعال ملائكته وعلى بعض صفاتهم وذلك في سبعة مطالب.

المطلب الأول: إقرار شهادتهم بالوحدانية مرتبطة بشهادة الله وأولي العلم:

تشهد الملائكة بألوهية الله ﷻ وحده فقط، فلا معبود يعبد بحق غيره تعالى، شهادةً لا ريب فيها وذلك بإقرارهم بعد شهادة الله تبارك وتعالى حيث يقول:﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾{آل عمران/18}

---

[1] مختلف في اسمه واسم أبيه، والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن بن غفار، وقيل: اسم أمه رملة بنت الوقيعة غفارية أيضا، ويقال: إنه أخو عمرو بن عبسة لأمه، وكان من السابقين إلى الإسلام. انظر: (الإصابة في تمييز الصحابة – لابن حجر العسقلاني – ج7/ص106)

[2] سنن الترمذي – أبواب الزهد – باب في قول النبي ﷺ: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا" ج4/ص556/ح2312 ، قال الإمام الألباني:حسن، دون قوله لوددت.

تبين هذه الآية الكريمة أن الله ﷻ أعلم وبين أنه لا معبود حقيقي سوى ذاته العلية فشهد بذلك وشهدت الملائكة بما علمت من عظيم قدرته، وشهد أولو العلم بما ثبت عندهم وبما لحظوه من خلقه الذي لا يقدر عليه غيره، وهذه مرتبة جليلة للعلماء، لقرنهم في التوحيد بالملائكة المشرفين، وبعطفهم على اسم الله ﷻ فهو قائم بالعدل في أحكامه حيث قال: ﴿....لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فشهد بمثل ما شهد من قبل، لتأكيد الكلام، فهو العزيز في ملكه الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه، فلا يصدر عنه شيء إلا على وفق الاستقامة.[1]

ويقول الإمام ابن كثير: "شهد تعالى وكفى به شهيدا، وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم، وأصدق القائلين أنه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فهو المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق، وأن الجميع عبيده وخلقه، والفقراء إليه، وهو الغني عماسواه ...."[2]

ويقول الإمام سيد قطب: "فإن شهادة الله ﷻ بأنه لا إله إلا هو، مسوقة هنا ليساق بعدها ما هو من مستلزماتها وهو أنه لا يقبل إذَنّ من العباد إلا العبودية الخالصة له، الممثلة في الإسلام بمعنى الإستسلام- لا اعتقاداً وشعوراً فحسب- ولكن كذلك عملاً وطاعة واتباعاً للمنهج العملي الواقعي المتمثل في أحكام الكتاب...وأما شهادة الملائكة وشهادة أولي العلم، فهي متمثلة في طاعتهم لأوامر الله وحدها، والتلقي عن الله وحده، والتسليم بكل ما يجيئهم من عنده دون تشكك ولا جدال، متى ثبت لهم أنها من عنده... فشهادة الملائكة: تصديق وطاعة واتباع واستسلام".[3]

فالله ﷻ عزيز حكيم، غني مطلق الغنى عن الحاجة لخلقه، وهو الصمد المقصود في الحوائج، فعلى جميع خلقه الإقرار بتفرده تبارك وتعالى بحق العبودية؛ لينالوا الدرجات العلى في الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني: سجودهم لأدم عليه السلام:

فالملائكة الكرام لا يعصون الله ﷻ ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فهم الواقفون صفوفًا في عبادة الله تبارك وتعالى وطاعته، فبمجرد أن أمرهم بالسجود لآدم عليه السلام سجدوا دون أي

---

[1] انظر: (بحر العلوم) – للسمرقندي – ج1/ص201 ، (محاسن التأويل) – للقاسمي – ج2/ ص295

[2] تفسير القرآن العظيم – ج2/ ص24

[3] في ظلال القرآن – ج1/ص378

مناقشة أو اعتراض أو تكبر أو تفكير في أن المسجود له أفضل من الساجِد حيث قال ﷻ:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾{البقرة/34}

والمعنى: واذكر أيها النّبي لقومك حين قلنا للملائكة الأطهار اسجدوا لآدم سجود تحية، لا سجود عبادة وتأليه، فكانت السجدة تحية وإكراماً لآدم عليه السلام وطاعة وعبودية لله ﷻ، وذلك لمّا تبينت فضيلة آدم عليه السلام ، فسجد الملائكة جميعاً له إلا إبليس، فإنه امتنع من السجود لتكبره فصار بذلك من الكافرين.[1]

ويقول الإمام أبو حيان الأندلسي:"فالله تعالى لمّا شرف آدم بفضيلة العلم وجعله معلما للملائكة وهم مستفيدون منه ... أراد الله ﷻ أن يكرم هذا الذي استخلفه بأن يسجد له ملائكته، ليظهر بذلك مزية العلم على مزية العبادة ... فانقادوا وأطاعوا؛ لأن السجود كان ناشئا عن الانقياد للأمر."[2]

ومن الآيات المبينة لسجود الملائكة لآدم عليه السلام دون إعتراض قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ {الإسراء/61}

"واذكر أيّها الرسول للنّاس عداوة إبليس لآدم عليه السلام وذريته، وأنها عداوة قديمة منذ خلق آدم عليه السلام بدليل أنه تعالى أمر الملائكة بالسّجود لآدم عليه السلام سجود تحيّة ومحبّة وتكريم، لا سجود عبادة وخضوع، فسجدوا كلّهم إلا إبليس استكبر وأبى أن يسجد له، افتخاراً عليه واحتقاراً له، قائلا: أأسجد له وهو طين، وأنا مخلوق من النار، كما أخبر تعالى عنه:﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ {ص/76}"[3]

ويقول الإمام ابن عطية: "قاس إبليس في هذه الحادثة فأخطأ، وذلك أنه رأى الفضيلة لنفسه، من حيث رأى النار أفضل من الطين، وجهل أن الفضائل في الأشياء، إنما تكون من حيث خصصها الله تعالى، ولا ينظر إلى أصولها...وكفر إبليس؛ لأنه جهل صفة العدل من الله تعالى، حين لحقته الأنفة والكبر، وكان أصل ذلك الحسد، ولذلك قيل إن أول من عصى الله

---

[1] انظر: (بحر العلوم) – للسمرقندي – ج1/ص43 ، (البحر المديد) – لابن عجيبة – ج1/ص96

[2] البحر المحيط في التفسير – ج1/ص245

[3] التفسير المنير – للزحيلي – ج15/ص116

بالحسد، وظهر ذلك من إبليس في قوله: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ {الأعراف/12}"[1]

ويقول الإمام الشعراوي: "إن السجود لا يكون إلا لله تعالى، لكن إذا كان الأمر بالسجود لغير الله من الله تعالى، فليس لأحد أن يعترض على هذا السجود؛ لأنه بأمر الله الذي يعلم أن سجودهم لآدم عليه السلام ليس عَيْباً وليس قَدْحاً في دينهم وعبوديتهم للحق سبحانه وتعالى؛ لأن العبودية طاعة أوامر."[2]

لذا يجب على الإنسان المسلم السمع والطاعة لما جاء من عند الله تبارك وتعالى من أوامر ونواهي، وعدم إعمال العقل إلا في التفكير في مخلوقاته ﷻ وما أذن به؛ كي ننال الثناء من الله سبحانه وتعالى.

المطلب الثالث: سلامهم على المؤمنين وتبشيرهم بالجنة:

تحية الملائكة لا تكون إلا لعباد الله الصالحين، سواء كانت في الدنيا أم في الآخرة، وهي تتضمن الأمن والأمان والاطمئنان والبشارة بدخول الجنان قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾{النحل/32}

تبين هذه الآية الكريمة حال عباد الله ﷻ المتقين الذين يمتثلون أوامر ربهم ويجتنبون نواهيه، المتصفين بفضائل الأخلاق وجميل السجايا، وبراءتهم من ذميم الرذائل، وعدم اشتغالهم بعالم الشهوات واللذات الجسمانية، حينما تقبض الملائكة أرواحهم حال كونهم طيبين طاهرين من الشرك والمعاصي فيطيب لهم قبض أرواحهم؛ لأنها لم تقبض إلا مع البشارة بالجنة وكأنهم مشاهدوها، فتسلم عليهم الملائكة ويبشرونهم بالجنة التي أعدها لهم ربهم ووعدهم إياها بما قدموا من عمل، وبما دأبوا على تقواه وطاعته، وفي ذلك بشارة بدخول الجنة بعد البعث.[3]

ويقول الإمام سيد قطب: "إن مشهد احتضار العباد المتقين هو مشهد هين لين كريم، حيث تتوفاهم الملائكة ونفوسهم طيبة بلقاء الله ﷻ ؛ لأنهم معافون من الكرب وعذاب الموت،

---

[1] المحرر الوجيز – ج3/ ص469

[2] تفسير الشعراوي – ج14/ص8657

[3] انظر: (تفسير المراغي) – للمراغي – ج14/ص75– 76 ، (أضواء البيان) – للشنقيطي – ج2/ص373

فتسلم عليهم الملائكة؛ لطمأنة قلوبهم وللترحيب بقدومهم، ثم يعجلون لهم بالبشرى وهم على أعتاب الآخرة، جزاء وفاقا على ما كانوا يعملون."[1]

فهنيئا لهؤلاء العباد الذين وصفهم الله ﷻ بالطيبين الذين لا يكون عليهم أي خبث، بل وينالون التسليم من الملائكة سواء عند الموت أو عند دخول الجنة، فتكون بذلك البشارة بالخلود في الجنة، اللهم اكتبنا من عبادك الطيبين الطاهرين.

ومن الآيات المبينة لتسليم الملائكة على العباد المؤمنين قوله تعالى:﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ {الزمر/73}

والمعنى: وسيق الذين اتقوا ربهم بتوحيده والعمل بطاعته إلى الجنة جماعات، سوق إكرام وإعزاز، فرحين مستبشرين، كل زمرة مع الزمرة التي تناسب عملها وتشاكله على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة، فإذا وصلوا لتلك الرحاب الرحيبة والمنازل الأنيقة، وهبَّ عليهم ريحها ونسيمها، وآن خلودها ونعيمها، وفتحت لهم أبوابها فتح إكرام لكرام الخلق لِيُكرموا فيها، وقال لهم خزنتها تهنئة لهم وترحيبا سلامٌ عليكم من كل آفة وشر حال فلا يعتريكم بعد مكروه ، طهرتم من دنس المعاصي فطابت قلوبكم بمعرفة الله ﷻ ومحبته وخشيته وألسنتكم بذكره وجوارحكم بطاعته، فبسبب طيبكم ادخلوها خالدين؛ لأنها الدار الطيبة، ولا يليق بها إلا الطيبون.[2]

يقول الإمام البيضاوي: "حذف جواب إذا في قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ للدلالة على أن لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف ، وأن أبواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم غير منتظرين."[3]

فتسليم الملائكة على العباد الصالحين هو تحية وإجلال وإكرام لهم حيث قال تعالى:﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ {إبراهيم/23}بل وهذا التسليم من نعم المنان على عباده الكرام في الجنة قال تعالى:﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ {يس/58}

---

[1] في ظلال القرآن – ج4/ص2169

[2] انظر: (أنوار التنزيل) – للبيضاوي – ج5/ص50 ، (تيسير الكريم الرحمن) – للسعدي – ص730

[3] أنوار التنزيل وأسرار التأويل – ج5/ص50

المطلب الرابع: اصطفاء الرسل منهم:

فالله ﷻ خلق الملائكة لعبادته وطاعته وكلفهم بالعديد من المهام ـ وهو غني عنهم ـ وحدد عمل كل واحد منهم كسوق الرياح والإمطار وقبض الأرواح وغير ذلك، بل واصطفى منهم رسلا ليبلغوا الوحي للأنبياء والرسل، وهو من أشرف المهام الموكلة إليهم؛ لأنها تكون بالاصطفاء قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ {الحج/75}

فالله ﷻ يختار من الملائكة رسلا كجبريل وميكائيل اللذين كانا يرسلهما، ليكونوا وسطاء لتبليغ الوحي إلى أنبيائه، ويختار أيضاً من الناس رسلا كأنبيائه الذين أرسلهم إلى عباده من بني آدم لتبليغ شرائع الدين، فالله ﷻ سميع لما يقول المشركون في محمد ﷺ، وما جاء به من عند ربه، بصير بمن يختاره لرسالته من خلقه.[1]

ويقول الإمام البقاعي: "في هذه الآية العظيمة بين سبحانه وتعالى سعة ملكه وقوة سلطانه في إنزال الحجج على ألسنة الرسل بأوامره ونواهيه، الموجب لإخلاص العبادة له المقتضي لتعذيب تاركها، فهو يختار ويخلص من الملائكة رسلاً إلى ما ينبغي الإرسال فيه من العذاب والرحمة، فلا يقدر أحد على صدهم عما أرسلوا له، ولا شك أن قوة الرَسول من قوة المرسِل، ويختار أيضاً من الناس رسلاً يبلغون عن الله ﷻ بما يشرعه لعباده، لتقوم عليهم بذلك حجة النقل، بالإضافة إلى حجة العقل، فمن عاداهم خسر وإن طال استدراجه، ولا يكون ذلك إلا بالعلم، فالله ﷻ سميع بصير."[2]

ومن الآيات الكريمة الواصفة لهيئة الملائكة المصطفين المرسلين لتبليغ الوحي للرسل قوله تعالى:﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ {فاطر/1}

ففي هذه الآية الكريمة يثني الله ﷻ على نفسه فهو خالق السماوات والأرض ومبدِعهما من غيرِ مثالِ يَحتذيه ولا قانونٍ ينتحيهِ، وهو مرسل الملائكة بالرسالة كجبريل وميكائيل وسائطَ

---

[1] انظر: (جامع البيان) – الطبري – ج18/ص687 ، (أضواء البيان) – للشنقيطي – ج5/ص300 ، (صفوة التفاسير) – للصابوني – ج2/ص274

[2] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – ج13/ص97 – 98 "بتصرف يسير"

بينه تعالى وبين أنبيائِه والصَّالحينَ من عبادِه يبلِّغون إليهم رسالاتِه بالوحيِ والإلهامِ والرُّؤيا الصَّادقةِ.

وتتصف هذه الملائكة بأنها ذوي أجنحة، وهذه الأجنحة متعدّدة مُتفاوتة في العدد، فمنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة ومنهم من له أربع أجنحة، وذلك حسب تفاوتِ ما لَهُم من المراتب ينزلون بها ويعرجُون أو يسرعون بها، فالله ﷻ يزيد في عدد الملائكة وأجنحتها وجميع خلقه ما يشاء، وذلك بموجبِ مشيئتِه ومُقتضى حكمته، لا لأمرٍ راجعٍ إلى ذَواتهم فالله ﷻ على كل شيء قدير من الزيادة والنقصان وغيره.[1]

يقول الإمام سيد قطب: "ولأول مرة نجد وصفا للملائكة يختص بهيئتهم، وقد ورد وصفهم من قبل من ناحية طبيعتهم ووظيفتهم، مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴾ {الأعراف/206}

وقوله: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ {الأنبياء/19-20}

أما هنا فنجد شيئا يختص بتكوينهم الخلقي: ﴿ أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ وهو وصف لا يمثلهم للتصور، لأننا لا نعرف كيف هم ولا كيف أجنحتهم هذه، ولا نملك إلا الوقوف عند هذا الوصف، دون تصور معين له، فكل تصور قد يخطئ، ولم يرد إلينا وصف محدد للشكل والهيئة من طريق معتمد."[2]

فبإصطفائه تبارك وتعالى لملائكته ثناء عليهم؛ لأن الاصطفاء لا يكون بما ملك المصطفى من مال وجاه وسلطان، بل باختيار من الله ﷻ.

---

[1] انظر: (بحر العلوم) – للسمرقندي – ج3/ص98 – 99 ، (إرشاد العقل السليم) – لأبي السعود – ج7/ص141 – 142

[2] في ظلال القرآن – ج5/ص2921

المطلب الخامس: تسبيحهم بحمد ربهم من حول العرش:

فالله ﷻ خلق الخلق بمشيئته عن غير حاجة كانت به، فخلق الملائكة جميعا لطاعته وجبلهم على عبادته، فمنهم ملائكة بقدرته للعرش حاملون، وطائفة منهم حول عرشه يسبحون، وآخرون بحمده يقدسون قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ {الزمر/75}

ففي هذه الآية الكريمة خطاب للنبي ﷺ إيذانا بأن رؤيته ستكون رؤية دنو من العرش وملائكته، وذلك تكريم له بأن يكون قد حواه موكب الملائكة المحدقين المحيطين من حول عرش الرحمن، ينزهون ربهم عن كل ما لا يليق به، وقضى الله سبحانه وتعالى بين الخلائق بالحق والعدل فقضى بين الأنبياء والأمم، و بين أهل الجنة وأهل النار، لهؤلاء دركات ولأولئك درجات، و بين الملائكة أيضاً في مقاماتهم على ما أراده الحقّ في عباداتهم، فيقول أهل الجنة حين يدخلونها شاكرين: الحمد لله رب العالمين على ما قضى به حَمْدَ فضل وإحسان، وحَمْدَ عدل وحكمة.[1]

ومن الآيات الكريمة المبينة لتسبيح وحمد الملائكة لله ﷻ من حول العرش قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ {غافر/7}

فالذين يحملون عرش الرحمن من الملائكة ومَن حول العرش ممن يحف به منهم، ينزِّهون الله ﷻ عن كل نقص، ويحمَدونه بما هو أهل له، ويؤمنون به حق الإيمان، ويطلبون منه أن يعفو عن المؤمنين، فالمشاركة في الإيمان تعتبر أقوى من النسب وأدعى إلى النصح والشفقة وفي ذلك تسلية للرسول ﷺ ببيان أن أشراف الملائكة عليهم السلام مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين ونصرتهم واستدعاء ما يسعدهم في الدارين قائلين: يا أيها المحسن إلينا بالإيمان وغيره، يا من وسعت كل شيء رحمة وعلمًا، اغفر للذين تابوا من الشرك والمعاصي فهم

---

[1] انظر: (لطائف الإشارات) – للقشيري – ج3/ص293 ، (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) – النسفي – ج3/ص196 ، (التحرير والتنوير) – لابن عاشور – ج24/ص74

راجعون إليك عن ذنوبهم برحمتك لهم بأن تمحو خطاياهم، فلا عقاب ولا عتاب ولا ذكر لها، وسلكوا الطريق الذي أمرتهم أن يسلكوه وهو الإسلام، وجَنِّبْهم عذاب النار وأهوالها.[1]

يقول الإمام البقاعي: "وربما يظن البعض أنه سبحانه محتاج إلى حملهم لعرشه أو إلى عرشه أو إلى شيء، نبه بالتسبيح على أنه غنيّ عن كل شيء وأن المراد بالعرش والحملة ونحو ذلك إظهار عظمته لنا في مثل محسوس لطفاً منه بنا وتنزلاً إلى ما تسعه عقولنا وتحمله أفهامنا، فقد أخبر تبارك وتعالى أنهم يسبحون فينزهونه سبحانه عن كل شائبة أو نقص وذلك حال كونهم متلبسين بحمد ربهم..."[2]

يقول الإمام المراغي: "ونحن نؤمن بما جاء في الكتاب الكريم من حمل الملائكة للعرش، ولا نبحث عن كيفيته ولا عن عدد الحاملين له، فإن ذلك من الشؤون التي لم يفصلها لنا الكتاب ولا السنة المتواترة فنوكل أمر علمها إلى ربنا، وعلينا التسليم بما جاء في كتابه."[3]

ويرى الباحث أنه لا ضير في الحديث عن هيئة الملائكة إن وصل وصفهم بأسانيد صحيحة، فعن جابر بن عبد الله ﷺ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**أُذِنَ لي أن أحدث عن ملكٍ من ملائكةِ اللهِ من حملةِ العرشِ، إن ما بينَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ.**"[4]

فالملائكة كلهم خير، فهم الذين يسبحون بحمد ربهم ويقدسونه، ويؤمنون به تبارك وتعالى، ومن خيرهم أنهم يتضرعون لله تعالى بالدعاء والغفران والحماية من النيران لمن تاب وترك المعاصي واتبع الإسلام، فاستحقوا بذلك الثناء من الله ﷻ.

المطلب السادس: أنهم غلاظ شداد لايعصون الله تعالى:

وكما أن الله ﷻ خلق ملائكة الرحمة، فكذلك خلق ملائكة العذاب، الموصوفين بالغلظة والشدة في معاملاتهم دون رحمة، والقوة في جسومهم، يتقبلون أوامر الله ﷻ وينفذون ما يؤمرون

---

[1] انظر: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) – للبقاعي – ج17/ص13-14 ، (إرشاد العقل السليم) – لأبي السعود – ج7/ص267

[2] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – ج17/ص12 "بتصرف يسير"

[3] تفسير المراغي – ج24/ص47

[4] سنن أبي داود – كتاب السنة – باب في الجهمية – ج4/ص232/ح4727 ، قال الإمام الألباني: صحيح.

بـه غيـر متـوانين، قـال تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ {التحريم/6}

ففي هذه الآية الكريمة يخاطب الله ﷻ عباده أن يا أيها الذين صدّقوا بالله تعالى ورسوله ﷺ، أدبوا أنفسكم وعلموها، واتخذوا لها وقاية من النار، وحافظوا عليها بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه، وعلّموا أهليكم وأمروهم بطاعة الله وانهوهم عن معاصيه، وذلك بأن تظهروا من أنفسكم الطاعات والأدب والصلاح ليتعلموا منكم ويقتادوا بأفعالكم، وانصحوهم وأدبوهم حتى لا تصيروا معهم إلى النار العظيمة الرهيبة التي تتوقد بالناس وبالحجارة، كما يتوقد غيرها بالحطب، فالذي يلي أمرها والتعذيب بها، هم الزبانية ومن صفاتهم أنهم غلاظ على أهل النار شداد عليهم، لا يرحمونهم إذا استرحموهم لأن الله سبحانه خلقهم من غضبه، وحبب إليهم تعذيب خلقه فلا يخالفونه في أمره من زيادة أو نقصان، ويفعلون ما يؤمرون به في وقته فلا يؤخرونه ولا يقدمونه.[1]

يتحدث الإمام سيد قطب عن صفة الملائكة الغلاظ الشداد بأن طبيعتهم: "تتناسب مع طبيعة العذاب الذي هم به موكلون، فهم ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ فمن خصائصهم طاعة الله فيما يأمرهم، ومن خصائصهم كذلك القدرة على النهوض بما يأمرهم، وهم بغلظتهم هذه وشدتهم موكلون بهذه النار الشديدة الغليظة، وعلى المؤمن أن يقي نفسه وأن يقي أهله من هذه النار، وعليه أن يحول بينها وبينهم قبل أن تضيع الفرصة ولا ينفع الاعتذار.[2]

ويقول الإمام الطاهر ابن عاشور: "جاءت لفظة النار نكرة للتعظيم، وزيد في تهويل النار بأن الملائكة الموكلون بها غلاظ شداد في معاملة أهل النار، ثم أثنى الله ﷻ على الموصوفين بهذه الصفات بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم وهذا مؤذن بأنهم مأمورون بالغلظة والشدة في تعذيب أهل النار، ويفعلون ما يؤمرون بعمله بالعصاة في جهنم."[3]

لذلك يجب علينا أن نأمر أنفسنا وأهلينا بطاعة الله ﷻ وننهاهم عن معصيته، وأن نعلم أولادنا الدين والخير والأدب، فإذا فعلو معصية زجرناهم.

---

[1] انظر: (الجامع لأحكام القرآن) – للقرطبي – ج18/ص196 ، (البحر المديد)– لابن عجيبة – ج7/ص85 ، (فتح القدير) – للشوكاني – ج5/ص302 ، (التفسير المنير) – للزحيلي – ج28/ص316

[2] في ظلال القرآن – ج6/ص3618

[3] التحرير والتنوير – للطاهر بن عاشور – ج28/ص366 – 367

المطلب السابع: صلاتهم على النبي صلى الله عليه وسلم:

تدعوا الملائكة للنبي ﷺ وتطلب التعظيم له من الله ﷻ، فالمقصد من الصلاة عليه التقرب إلى الله بامتثال أمره، فالله ﷻ أمرنا أمراً بدأ به بنفسه وثنى بملائكته فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ {الأحزاب/56}

والمعنى: إن الله تعالى يثني على النبي ﷺ عند الملائكة المقربين، وملائكته يثنون على النبي ويدعون له وذلك لعنايتهم بإظهار شرفه وتعظيم شأنه، يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، صلُّوا على رسول الله، وسلِّموا تسليماً تحية وتعظيماً واعتناءً به فإنكم أولى بذلك.[1]

يقول الشيخ علوان: "أشار سبحانه إلى تعظيم النبي عليه السلام، وتوقيره والاعتناء بشأنه وعلو منزلته ومكانه فقال: إن الله المتعزز برداء العظمة والكبرياء، وملائكته المُهِيمينَ عنده، الوالهين بمطالعة جماله، المستغرقين بشرف لقائه، يصلون ويعتنون ويهتمون بأنواع الرحمة والكرامة وأصناف الإستغفار؛ إظهاراً لفضله صلى الله عليه وسلم، وتبجيلا وتعظيما على النبي المستحق لأنواع التوقير والتمجيد المستحق لأصناف الكرامة والتحميد."[2]

ويقول الإمام سيد قطب: "وصلاة الله ﷻ على النبي ﷺ هي ذكره بالثناء في الملأ الأعلى، وصلاة ملائكته دعاؤهم له عند الله سبحانه وتعالى ، ويا لها من مرتبة سنية حيث تردد جنبات الوجود ثناء الله على نبيه ويشرق به الكون كله وتتجاوب به أرجاؤه، ويثبت في كيان الوجود ذلك الثناء الأزلي القديم الأبدي الباقي، وما من نعمة ولا تكريم بعد هذه النعمة وهذا التكريم، وأين تذهب صلاة البشر وتسليمهم بعد صلاة الله العلي وتسليمه ، وصلاة الملائكة في الملأ الأعلى وتسليمهم إنما يشاء الله تشريف المؤمنين بأن يقرن صلاتهم إلى صلاته وتسليمهم إلى تسليمه وأن يصلهم عن هذا الطريق بالأفق العلوي الكريم الأزلي القديم."[3]

---

[1] انظر: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) – للبيضاوي – ج4/ص238

[2] الفواتح الإلهية – ج2/ص162

[3] في ظلال القرآن – ج5/ص2879

ويقول الإمام الطاهر بن عاشور: "ذكر صلاة الملائكة مع صلاة الله ﷻ ليكون مثالاً من صلاة أشرف المخلوقات على الرسول ﷺ لتقريب درجة صلاة المؤمنين التي يؤمرون بها عقب ذلك، والتأكيد بالحرف إنَّ للاهتمام بالمؤكد...وإفتتاح الآية باسم الجلالة لإدخال المهابة والتعظيم في هذا الحكم...فهذه صلاةٌ خاصة وهي أرفع صلاة مما شمله قوله هو الذي يصلي عليكم وملائكته لأن عظمة مقام النبي يقتضي عظمة الصلاة عليه."[1]

لذا يجب علينا أن نصلي ونسلم على الحبيب المصطفى ﷺ، فبالصلاة عليه نطيع الله ﷻ ونحصل على محبته تعالى، وعلى الأجر والثواب، ونقتدي بالملائكة الكرام.

اللهم صلِّ على خير الورى عدد ما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون، اللهم صلِّ عليه في الأولين والآخرين، وفي الملأ الأعلى إلى يوم الدين.

---

[1] التحرير والتنوير – ج22/ص97

المبحث الثالث: ثناء الله تعالى على كتبه

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ثناء الله تعالى على القرآن.

المطلب الثاني: ثناء الله تعالى على التوراة.

المطلب الثالث: ثناء الله تعالى على الإنجيل.

المبحث الثالث

ثناء الله تعالى على كتبه

أنزل الله ﷻ الكتب السماوية بواسطة الوحي جبريل ﷺ للرسل كي يرشدوا الناس على بصيرة ومنهاج سليم سديد، فجميع ما في هذه الكتب حق؛ لأنها من عند الحق تبارك وتعالى ، وهي العنوان السليم والقارب المستقيم الموصل لبر النجاة في الدارين.

وسوف يتحدث الباحث في هذا المبحث عن الكتب السماوية الثلاث وهي: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل وذلك في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ثناء الله تعالى على القرآن الكريم:

"فضل الله ﷻ القرآن الكريم على سائر الكتب السماوية؛ لأنه الرسالة الخاتمة، فوصفه بالعديد من الصفات الجليلة منها أنه نور حيث قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾ {النساء/174}

فالقرآن الكريم نورٌ؛ لأنه يأمر بكل عدل وإحسان وخير، وينهى عن كل ظلمٍ وشر".[1]

كما وصفه ﷻ بالموعظة والشفاء والهدى والرحمة حيث قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ {يونس/57}

"فهو موعظة بما اشتمل عليه من الآيات والعظات والوعد والوعيد، وشفاء؛ لأنه يَشفي من الأمراض القلبية كالكفر والجهل والغل وسائر الأمراض، وهدى؛ لأن فيه الدلالة على الحق، والنجاة من الهلاك، وهو أيضاً نعمة ورحمة للمؤمنين".[2]

كما وصفه بالفرقان حيث قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ {الفرقان/1} "فهو فارق بين الحق والباطل".[3]

---

[1] تيسير الكريم الرحمن – للسعدي – ص/217

[2] التفسير الميسر – نخبة من أساتذة التفسير ج1/ص215

[3] المرجع السابق – ج1/ص359

بل وتحدى به جميع المعاندين المنكرين فدعاهم للمجيء بمثله حيث قال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ {الطور/33-34}

وهذه المرحلة تمثل المرحلة الأولى من مراحل التحدي، لكنهم عجزوا فتحداهم ﷻ أن يأتوا بعشر سور مثله حيث قال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ {هود/13}

لكنهم عجزوا أيضاً فتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فقال تعالى:﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ {يونس/38}

ثم بين تبارك وتعالى أن جميع الإنس والجن عاجزون عن محاكاة القرآن الكريم أو مضاهاته حيث قال: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ {الإسراء/88}

والمعنى: "قل لهم يا أكمل الرسل في جوابهم مقسما مؤكدا والله لئن اجتمعت الإنس والجن واتفقوا معاونين متعاضدين على أن يأتوا بمثل هذا القرآن الجامع لأحوال النشأتين الواقع في أعلى مرتبة البلاغة والفصاحة لا يأتون بمثله ولما حصل لهم عدم الإتيان به مطلقاً ولو كانوا لبعضهم البعض متظاهرين متعاضدين في إتيانه، لم يتأت منهم لكونه خارجاً عن طوق البشر"[1]

يقول الإمام الطاهر بن عاشور: لو اتفق واتحد في الرأي عقل الإنسي والجني على أن يأتي كل واحد منهما بمثل هذا القرآن في مجموع الفصاحة والبلاغة والمعاني والآداب والشرائع لما أتوا بمثله، ولو تعاونوا على ذلك، فكيف بهم إذا حاولوا متفرقين.

وجاء التحدي عاماً شاملاً للجن؛ لأن المتحدين بإعجاز القرآن كانوا يزعمون أن الجن يقدرون على الأعمال العظيمة، وهذه الآية مفحمة للمشركين في التحدي بإعجاز القرآن.[2]

---

[1] الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية – للشيخ علوان – ج1/ص465

[2] التحرير والتنوير – ج15/ص203"بتصرف"

ومن الآيات الكريمة التي أثنى الله بها على كتابه قوله تعالى:﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ {الحشر/21}

والمعنى: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل من الجبال، ففهم ما فيه مِن وعد ووعيد، لأبصَرْته يا محمد ﷺ على قوته وشدة صلابته وضخامته، خاضعًا ذليلا متشققًا من خشية الله تعالى، حذراً من أن لا يؤدي حق الله المفترض عليه في تعظيم القرآن الكريم، وقد أنزل مخاطباً ابن آدم وهو بحقه مستخف، وعنه عما فيه من العبر والذكر معرض، كأن لم يسمعها، كأن في أذنيه وقرا، فهذه الأشياء نشبهها ونوضحها للناس، وذلك كي يعرفهم جل ثناؤه أن الجبال أشد تعظيما لحقه منهم مع قساوتها وصلابتها، فيضرب ﷻ لهم هذه الأمثال ليتفكروا في قدرته وعظمته، فينيبوا وتدبروا القرآن، ويفهموا معانيه، ويعملوا به فينقادوا للحق.[1]

يقول الإمام ابن كثير: "يقول تعالى معظما لأمر القرآن، ومبينا علو قدره، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب، وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد والوعيد الأكيد: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ .... ﴾فإن كان الجبل في غلظته وقساوته، لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه، لخشع وتصدع من خوف الله ﷻ، فكيف يليق بكم أيها البشر ألا تلين قلوبكم وتخشع، وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله سبحانه وتعالى أمره وتدبرتم كتابه..."[2]

ويقول الإمام الصابوني: "ذكر تعالى روعة القرآن، وتأثيره على الصمِّ الراسيات من الجبال فقال: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ... ﴾ أي لو خلقنا في الجبل عقلاً وتمييزاً كما خلقنا للإنسان، وأنزلنا عليه هذا القرآن، بوعده ووعيده، لخشع وخضع وتشقق، خوفاً من الله تعالى، ومهابةً له وهذا تصويرٌ لعظمة قدر القرآن وقوة تأثيره، بحيث لو خوطب به جبلٌ على شدته وصلابته لرأيته ذليلاً متصدعاً من خشية الله ﷻ، والمراد منه توبيخ

---

[1] جامع البيان – للطبري – ج23/ص300"بتصرف"

[2] تفسير القرآن العظيم – ج8/ص78

الإنسان بأنه لا يتخشع عند تلاوة القرآن، بل يعرض عما فيه من عجائب وعظائم، فهذه الآية في بيان عظمة القرآن، ودناءة حال الإنسان..."[1]

ومن الآيات الكريمة التي أثنى بها سبحانه وتعالى على قرآنه أنه وصفه تبارك وتعالى بالسلامة من الشك، فلا يصح أن يرتاب فيه أحد لوضوحه حيث قال:﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ... ﴾ {البقرة/2}

وفي ذلك يقول الإمام السعدي: "لا شك فيه بوجه من الوجوه، ونفي الريب عنه، يستلزم ضده، إذ ضد الريب والشك اليقين، فهذا الكتاب مشتمل على علم اليقين المزيل للشك والريب ...فالنفي المقصود به المدح، لا بد أن يكون متضمنا لضده، وهو الكمال، لأن النفي عدم، والعدم المحض، لا مدح فيه"[2]

فإن هذا القرآن لكتاب عزيز بإعزاز الله ﷻ إياه وحفظه له من كل تغيير أو تبديل، فلا يأتيه الباطل من أي ناحية من نواحيه ولا يبطله شيء، فهو محفوظ من أن يُنقص منه، أو يزاد فيه؛ وذلك لأنه من عند حكيم محمود في أفعاله وصفاته كما قال سبحانه:﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ {فصلت/42}

وفي ذلك يقول الإمام المراغي: "إن الباطل لا يتطرق إليه، ولا يجد لديه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل إليه، فكل ما فيه حق وصدق، وليس فيه ما لا يطابق الواقع؛ وذلك لأنه تنزيل من عند ذي الحكمة بتدبير شئون عباده، المحمود على ما أسدى إليهم من النعم التي منها تنزيل هذا الكتاب، بل هى أجلها."[3]

فكيف يأتيه الباطل وقد تعهد سبحانه وتعالى بحفظه حيث قال:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ {الحجر/9}

---

[1] صفوة التفاسير – ج3/ص336

[2] تيسير الكريم الرحمن – ص/40

[3] تفسير المراغي – ج24/ص138

وقد أثنى الله ﷻ على القرآن الكريم أيضاً بقوله:﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ... ﴾ {المائدة/48}

وهنا يوضح الإمام سيد قطب أهمية القرآن الكريم بقوله: "فهو الصورة الأخيرة لدين الله ﷻ، وهو المرجع الأخير في هذا الشأن، والمرجع الأخير في منهج الحياة وشرائع الناس، ونظام حياتهم، بلا تعديل بعد ذلك ولا تبديل، ومن ثم فكل اختلاف يجب أن يرد إلى هذا الكتاب ليفصل فيه، سواء كان هذا الاختلاف في التصور الإعتقادي بين أصحاب الشرائع السماوية، أو في الشريعة التي جاء هذا الكتاب بصورتها الأخيرة، أو كان هذا الاختلاف بين المسلمين أنفسهم، فالمرجع الذي يعودون إليه بآرائهم في شأن الحياة كله هو هذا الكتاب، ولا قيمه لآراء الرجال ما لم يكن لها أصل تستند إليه من هذا المرجع الأخير."[1]

ويبين الإمام الزحيلي أن القرآن الكريم جاء مكملاً للدين، مشتملا على الحق والصدق الذي لا ريب فيه؛ لأنه من عند الله ﷻ، وهو مصدقٌ ومؤيدٌ للكتب المتقدمة كالتوراة والإنجيل، وجاء أيضاً مهيمناً أي حاكماً على ما قبله من الكتب، وشاهداً عليها بما نزل فيها، وشاهداً لها بالصحةِ والثبات في أصلها، ومبينا حقيقة أمرها، وما طرأ عليها من نسيان وتحريف وتبديل.[2]

فالقرآن الكريم قمة شامخة وحقيقة راسخة بما اتصف به من صفات الكمال المستمدة من كمال الله تبارك وتعالى، فهو يمثل الصورة الأخيرة لشرع الله ﷻ، والمرجع الرئيس لجميع الشرائع السماوية، وصفه الله تعالى بالعديد من الصفات الجليلة، بل وتحدى به عالمي الجن والإنس، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لأنه محفوظ من عند الحكيم الحميد.

المطلب الثاني: ثناء الله تعالى على التوراة:

أثنى الله ﷻ على هذا الكتاب الكريم ووصفه بأنه نورٌ وهدايةٌ للناس، وجاء فيه وصف النبي محمد ﷺ والصحابة الكرام، وحكم بها جميع الأنبياء من موسى عليه السلام إلى عيسى عليه السلام قال تعـــالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ

---

[1] في ظلال القرآن – ج2/ص902

[2] التفسير المنير – ج6/ص216"بتصرف"

﴿وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ {المائدة/44}

والمعنى: إنا أنزلنا التوراة فيها هدى وإرشاد من الضلالة، وبيان للشرائع والأحكام، يقضي بها النبيون الذين أسلموا وصدقوا بالتوراة من لدن موسى إلى عيسى فقد حكموا بها بين اليهود، ولم يخرجوا عن حكمها ولم يُحَرِّفوها، وحكم بها عُبَّاد اليهود وفقهاؤهم الذين يربُّون الناس بشرع الله؛ ذلك أن أنبياءهم قد استأمنوهم على تبليغ التوراة، وفِقْه كتاب الله والعمل به مثل الرجم وسائر الأحكام، وكان الربانيون والأحبار شهداء على أن أنبياءهم قد قضوا في اليهود بكتاب الله.

ويقول تعالى لعلماء اليهود وأحبارهم الذين يسكنون المدينة أن لا تخشوا الناس من يهود أهل خيبر في تنفيذ حكمي؛ فإنهم لا يقدرون على نفعكم ولا ضَرِّكم، ولكن إخشوني في كتمان الأحكام فإني أنا النافع الضار، ولا تأخذوا بترك الحكم بما أنزلتُ عوضاً حقيراً؛ لأن الحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر، فالذين يبدلون حكم الله الذي أنزله في كتابه، فيكتمونه ويجحدونه ويحكمون بغيره معتقدين حله وجوازه فأولئك هم الكافرون.[1]

يقول الإمام الشوكاني: تتضمن هذه الآية تعظيم التوراة وتفخيم شأنها وأن فيها الهدى والنور، وهو بيان الشرائع والتبشير بمحمد ﷺ وإيجاب اتباعه، يحكم بها النبيون من أنبياء بني إسرائيل، والذين أسلموا...وفي ذلك إرغام لليهود المعاصرين له ﷺ بأن أنبياءهم كانوا يدينون بدين الإسلام الذي دان به محمد ﷺ.[2]

ويقول الإمام سيد قطب: "أنزل الله ﷻ التوراة لا لتكون هدى ونورا للضمائر والقلوب بما فيها من عقيدة وعبادات فحسب، ولكن كذلك لتكون هدى ونورا بما فيها من شريعة تحكم الحياة الواقعية وفق منهج الله ﷻ، وتحفظ هذه الحياة في إطار هذا المنهج، ويحكم بها النبيون الذين أسلموا أنفسهم لله ﷻ، فليس لهم في أنفسهم شيء إنما هي كلها لله تعالى، وليست لهم مشيئة ولا

---

[1] انظر: (بحر العلوم) – للسمرقندي – ج1/ص392-393

[2] فتح القدير – ج2/ص49"بتصرف يسير"

سلطة ولا دعوى في خصيصة من خصائص الألوهية- وهذا هو الإسلام في معناه الأصيل- يحكمون بها للذين هادوا... كما يحكم بها لهم الربانيون والأحبار وهم قضاتهم وعلماؤهم."[1]

ويعقد الإمام الشنقيطي مقارنةً بين التوراة والقرآن فيقول: "إن كلا منهما كلام الله ﷻ أنزله على رسول من رسله – صلوات الله وسلامه عليهم – والتوراة حرفت، وبدلت ... والقرآن محفوظ من التحريف والتبديل، لو حرف منه أحد حرفاً واحداً فأبدله بغيره، أو زاد فيه حرفا أو نقص فيه آخر لرد عليه آلاف الأطفال من صغار المسلمين فضلا عن كبارهم.

فالجواب أن الله استحفظهم التوراة، واستودعهم إياها، فخانوا الأمانة ولم يحفظوها، بل ضيعوها عمداً، والقرآن العظيم لم يَكِل الله حفظه إلى أحد حتى يمكنه تضييعُه، بل تولى حفظه جل وعلا بنفسه الكريمة المقدسة، كما أوضحه بقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ {الحجر/9} وقوله: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ {فصلت/42} إلى غير ذلك من الآيات."[2]

فالتوراة عظيمة وفخمة الشأن، فهي لا تقتصر على أنها هدى ونور للضمائر والقلوب فحسب، بل تتعدى ذلك لتشمل ما تحتويه من الشريعة الحاكمة للحياة الواقعية وفق منهج الله سبحانه وتعالى.

المطلب الثالث: ثناء الله تعالى على الإنجيل:

أثنى الله ﷻ على هذا الكتاب الكريم ووصفه بأنه نورٌ وهدايةٌ للناس أيضاً ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين، وجاء فيه وصف النبي محمد ﷺ والصحابة الكرام، وحكم بها عيسى عليه السلام قال تعالى:﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ {المائدة/46}

---

[1] في ظلال القرآن – ج2/ص896

[2] أضواء البيان – ج1/ص405

تبين هذه الآية الكريمة أن الله ﷻ أردف أنبياء بني إسرائيل بعيسى بن مريم عليه السلام موافقاً مؤمناً بما قبله من التوراة، وأنزلنا إليه الإنجيل فيه هدى من الضلالةِ إلى الحق ومبيناً لما جهله الناس مِن حكم الله ﷻ، وموافقاً للتوراة في التوحيد وفي بعض الشرائع بما اشتمل عليه من أحكامها وهدى وموعظة للمتقين الذين يخافون الله ﷻ ويتقون الشرك والفواحش.[1]

وأشار الإمام الرازي إلى أن الله تعالى وصف الإنجيل بصفات خمسة وهي أن فيه: هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين.

ثم يعلل سبب ذلك بقوله: "أن الإنجيل هدى بمعنى أنه اشتمل على الدلائل الدالة على التوحيد والتنزيه، وبراءة الله تعالى عن الصاحبة والولد والمثل والضد، وعلى النبوة وعلى المعاد، فهذا هو المراد بكونه هدى، وأما كونه نوراً، فالمراد به كونه بياناً للأحكام الشرعية ولتفاصيل التكاليف، وأما كونه مصدقاً لما بين يديه، فيمكن حمله على كونه مبشراً بمبعث محمد ﷺ وبمقدمه."[2]

وذهب الأستاذ محمد رضا إلى أن: "الإنجيل مشتملٌ على هدى من الضلال في العقائد والأعمال كالتوحيد النافي للوثنية التي هي مصدر الخرافات والأباطيل، ونور يبصر به طالب الحق طريقه الموصل إليه من الدلائل والأمثال والفضائل والآداب، ومصدقا للتوراة التي تقدمته؛ لأنه مشتملٌ على النصوص المصدقة للتوراة، وهذا غير تصديق المسيح لها بقوله وعمله..."[3]

فنعم ما جاء به الإنجيل من هدى: حيث أخرج الناس من العقائد الفاسدة الباطلة إلى العقيدة الإسلامية السامية، وما جاء به من نور: حيث أبان الأحكام الشرعية الموصلة إلى الطريق السوية.

---

[1] بحر العلوم – للسمرقندي – ج1/ص394 "بتصرف"

[2] التفسير الكبير – ج12/ص370

[3] تفسير المنار – ج6/ص332

المبحث الرابع: ثناء الله على عباده المؤمنين

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: ثناء الله على أصحاب النبي ﷺ عامة.

المطلب الثاني: ثناء الله على المهاجرين.

المطلب الثالث: ثناء الله على الأنصار.

المطلب الرابع: ثناء الله على أهل العقبة.

المطلب الخامس: ثناء الله على أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

المطلب السادس: ثناء الله على امرأة فرعون.

المطلب السابع: ثناء الله على مريم ابنة عمران.

المبحث الرابع

ثناء الله على عباده المؤمنين

أثنى الله ﷻ على عباده المؤمنين الذين اجتنبوا طاعة الشيطان وعبادة غير الله ﷻ، وعبدوا الله تعالى وحده، فبشرهم الله ﷻ في الحياة الدنيا بأن أثنى عليهم خيرا، وفي الآخرة يرضى عنهم ويدخلهم جنانه حيث قال:﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ {الزمر/17}

بل وصفهم بالمخلصين؛ لكونهم أخلصوا بالعبادة له ﷻ حيث قال:﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ {الصافات/40}

وحماهم من كيد الشيطان حيث قال:﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ {الحجر/42}

كما وطمأنهم بعدم معاقبتهم يوم القيامة، قال تعالى:﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ {الزخرف/68}

وسوف يتحدث الباحث في هذا المبحث عن عباد الله ﷻ المؤمنين الصالحين الصادقين الذين استحقوا الثناء من الله ﷻ، ويتمثل ذلك في سبعة مطالب.

المطلب الأول: ثناء الله على أصحاب النبي ﷺ عامة:

خص الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ بصحابة نصروا الإسلام والمسلمين، وأعلوا راية الحق في كل الميادين، فرضي الله عنهم أجمعين، وأعدَّ لهم الجنان متمتعين قال تعالى:﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ {التوبة/100}

تعددت أقوال المفسرين في تأويل قوله تعالى:﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ فقال البعض: أن السابقين هم الذين صلوا إلى القبلتين وشهدوا بدرا ، وهناك من قال: هم الذين بايعوا بيعة الرضوان...الخ.

ويرجح الباحث ما ذهب إليه الإمام الرازي حيث يقول:"والصحيح عندي أنهم السابقون في الهجرة، وفي النصرة" ويستدل الإمام على ذلك أن الله ﷻ ذكر كونهم سابقين ولم يبين أنهم سابقون في ذلك فبقي اللفظ مجملاً، إلا أنه وصفهم بكونهم مهاجرين وأنصارا، فوجب أن يكون المراد منه السابقون الأولون في (الهجرة والنصرة)، وبذلك يكون قد زال الإجمال عن اللفظ.

ثم يقول الإمام في الدليل الثاني: وأيضا فالسبق إلى الهجرة طاعة عظيمة من حيث إن الهجرة فعل شاق على النفس، ومخالف للطبع، فمن أقدم عليه أولا صار قدوة لغيره من هذه الطاعة، وكان ذلك مقويا لقلب الرسول ﷺ، وسببا لزوال الوحشة عن خاطره، وكذلك السبق في النصرة، فإن الرسول ﷺ لما قدم المدينة، فلا شك أن الذين سبقوا إلى النصرة والخدمة، فازوا بمنصب عظيم، فلهذه الوجوه يجب أن يكون المراد والسابقون الأولون في الهجرة".[1]

ويقول الإمام ابن كثير: "فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان: فيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول ﷺ وخيرهم وأفضلهم، أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة ﷺ، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم، عياذا بالله ﷻ من ذلك، وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن، إذ يسبون من رضي الله عنهم؟." [2]

ويقول الإمام الزحيلي: "يخبر الله تعالى عن رضاه على أرفع منزلة في المسلمين وتفضيلهم على من عداهم، وهم السابقون الأولون، وهم ثلاث طبقات:
الأولى: السابقون الأولون من المهاجرين: الذين هاجروا قبل صلح الحديبية، فتقدموا على غيرهم في الهجرة والنصرة...
والثانية: السابقون الأولون من الأنصار: وهم أصحاب بيعة العقبة الأولى... والثانية...
والثالثة: التابعون للأولين بإحسان: أي بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة.

وهؤلاء جميعا رضي الله عنهم بِقَبول طاعتهم وارتضاء أعمالهم، ورضوا عنه بما أسبغ عليهم من نعمه الدينية والدنيوية، فأنقذهم من الشرك والضلال، ووفقهم إلى الخير، وهداهم إلى الحق، وأعزهم وأغناهم، وأعز بهم الإسلام، وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، خالدين

---

[1] التفسير الكبير – ج16/ص127

[2] تفسير القرآن العظيم – ج4/ص203

فيها أبدا، وذلك هو الفوز العظيم الذي لا فوز غيره، وهو فوز شامل، كما أن نعيم الجنة شامل للبدن والروح معا."[1]

ومن الآيات الكريمة التي أثنت على الصحابة الكرام بما اتصفوا به من الصفات الحميدة قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ {الفتح/29}

تبين هذه الآية الكريمة أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله بلا شك ولا ريب مهما أنكر المنكرون، وافترى الجاحدون، وأن صحابته الذين معه غليظة قلوبهم على الكفار فلا تأخذهم بهم رأفة فهم معهم كالأسد على فريسته، لأن الله ﷻ أمرهم بالغلظة عليهم، رقيقة قلوب بعضهم على بعض، لينة أنفسهم لهم، هينة عليهم، فهم رحماء بينهم كالوالِد مع الولد؛ لأن الله سبحانه وتعالى أمرهم باللين للمؤمنين، فتراهم أيها الناظر لهم دائبين على الصلاة مخلصين لله ﷻ محتسبين فيها الأجر وجزيل الثواب عنده، دائمي الخضوع لله ﷻ فأكثر أوقاتهم صلاة؛ يرجون بذلك الزيادة في الخير والثواب العظيم من الله ﷻ الذي له الإحاطة بصفات الكمال والجمال الذي أعطاهم مَلَكَة الغلظة على الكفار بما وهبهم من جلاله والرقة على أوليائه بما أعطاهم من رحمته التي هيأهم بها للإحسان إلى عياله فنزعوا الهوى من صدورهم فصاروا يرونه وحده سيدهم المحسن إليهم لا يرون سيداً غيره، ولا محسن سواه.بل وطلبوا المطلب الأسمى والأفضل والأعظم وهو رضوان الله ﷻ، ولهم سمة حسنة وخشوع وخضوع يظهر أثره فى الوجوه؛ من أثر كثرة الصلاة فهي نور لهم يوم القيامة، ثم أخبر سبحانه أنه نوَّه بفضلهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة فقال: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ أي هذه الصفة التي وصفت لكم من صفات أتباع محمد صلى الله عليه وسلم هي صفتهم فى التوراة وكذلك في الإنجيل، ثم ضرب الله المثل لبدء الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوى واستحكم وأعجب الناس فأصحاب محمد ﷺ يكونون قليلين ثم يزدادون ويكثرون ويستغلظون كزرع أخرج فِرَاخه التي تتفرع

---

[1] التفسير المنير – ج11/ص20-21

على جانبيه كما يشاهد فى الحنطة والشعير وغيرهما، فيقوى ويتحول من الدقة إلى الغلظ، ويستقيم على أصوله، فيعجب به الزراع لقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره.

فهؤلاء الصحابة الكرام نماهم سبحانه وتعالى وأكثر عددهم ليغيظ بهم الكفار، إذ يعتقدون أن الله متم بهم نوره ولو أبى الجاحدون.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي وعد سبحانه هؤلاء الذين آمنوا بمحمد ﷺ أن يغفر ذنوبهم ويجزل أجرهم بإدخالهم جنات النعيم، ووعد الله ﷻ حق وصدق لا يخلف ولا يبدل، وكل من اقتفى أثر الصحابة فهو فى حكمهم، ولهم السبق والفضل والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد.[1]

يقول الإمام المراغي: "هذه أوصاف الأمة الإسلامية أيام عزها، فانظر الآن وتأمل في تخاذلها وجهلها حتى أصبحت مثلا في الخمول والجهل، وأصبحت زرعا هشيما تذروه الرياح، فكيف يجتمع عصفه وتبنه؟.

ولعل الله يبدل الحال غير الحال ويخضر الزرع بعد ذبوله، وتعود الأمة سيرتها الأولى مهيبة مرعية الجانب مخشية القوة."[2]

ويبين الإمام سيد قطب الصورة الوضيئة التي رسمها القرآن الكريم لواقع صحابة الرسول ﷺ حيث يقول: "وبذلك الثناء الكريم على تلك الجماعة الفريدة السعيدة التي رضي اللهُ عنها، وبلغها رضاه فرداً فردا: إنها صورة عجيبة يرسمها القرآن الكريم بإسلوبه البديع، صورة مؤلفة من عدة لقطات لإبراز حالات هذه الجماعة المختارة، حالاتها الظاهرة والمضمرة، فلقطة تصور حالتهم مع الكفار ومع أنفسهم:﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ ولقطة تصور هيئتهم في عبادتهم: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ ولقطة تصور قلوبهم وما يشغلها ويجيش بها: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ ولقطة تصور أثر العبادة والتوجه إلى الله في سمتهم وسماتهم: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ

---

[1] انظر: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) – للبقاعي – ج18/ص339– 340 ، (تفسير المراغي) – للمراغي – ج26/ص115–117

[2] تفسير المراغي – ج26/ص117

ٱلسُّجُودِۚ ﴾ ، ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ ﴾ وهذه صفتهم فيها، ولقطات متتابعة تصورهم كما هم في الإنجيل ﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾"[1]

ويؤكد ويشدد النبي ﷺ على أهمية ومكانة الصحابة الكرام بما جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "**لا تسبُّوا أصحابي، لا تسبُّوا أصحابي، فوالَّذي نفسي بيده لو أن أَحَدَكُمْ أنفق مِثْلَ أُحُدٍ ذهبا، ما أدرك مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ** "[2]

فيفهم من هذا النهي في الحديث الشريف أن سب الصحابة رضي الله عنهم حرام شرعاً ولا يجوز بأي حال من الأحوال؛ فجميعهم ثقات عدول.

كيف لا ينالون هذه المكانة العلية والمحبة النبوية، وقد رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وأعمالهم الصالحة، ورضوا عنه بما أسبغ عليهم من النعم الدينية والدنيوية، فهم أصحاب القلوب الراجية عفو ربها، الغليظة على الكفار الرحيمة بالمسلمين، أصحاب الجباه الساجدة، الذين وعدهم الله تعالى بأن يغفر ذنوبهم ويخلدهم في الجنان.

المطلب الثاني: ثناء الله على المهاجرين:

وهم الذين تركوا الأوطان، وهجروا السوء والضلال، من أجل إرضاء الله تعالى والعمل المخلص لله عز وجل، ومن هنا سجل القرآن المجيد موقف الفخار والاعتزاز للمهاجرين الأولين من مكة إلى المدينة، لنصرة رسول الله ﷺ وتأييد دعوته، وجهاد أعدائه، ودفع شر المعتدين، قال الله تعالى مبيناً مدى إحسانه وفضله على الذين هاجروا في سبيل الله:[3] ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي

---

[1] في ظلال القرآن – ج6/ص3331

[2] صحيح مسلم – كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم – باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم – ج4/ص1967/ح2540

[3] التفسير الوسيط – للزحيلي – ج2/ص1661

سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ {آل عمران/195}

جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة عن أم سلمة[1] رضي الله عنها، أنها قالت: يا رسول الله، لَا أَسْمَعُ اللَّهَ ذَكَرَ النِّسَاءَ فِي الْهِجْرَةِ بِشَيْءٍ، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ ...﴾"[2]

والمعنى: فأجاب الله دعاءهم بأنه لا يضيع جهد مَن عمل منهم عملا صالحًا ذكرًا كان أو أنثى، وهم في أُخُوَّة الدين وقَبول الأعمال والجزاء عليها سواء، فالذين هاجروا قومهم وعشيرتهم من أهل الكفر، رغبةً في رضا الله ﷻ، إلى إخوانهم من أهل الإيمان بالله، والتصديق برسوله ﷺ، فهؤلاء المهاجرون الذين أخرجهم مشركوا قريش من ديارهم بمكة، وقد أوذوا في طاعتهم لربهم، وعبادتهم إياه مخلصين له الدين، وقاتلوا وقتلوا في سبيل الله، لأمحو عنهم سيئاتهم، ولأتفضلن عليهم بعفوي ورحمتي، ولأغفرنها لهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، فهو جزاء لهم على ما عملوا وابتلوا في سبيل الله تعالى، فعنده ﷻ من جزاء أعمالهم جميع أنواعه وأصنافه، وذلك ما لا يبلغه وصف واصف؛ لأنه مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.[3]

يقول الإمام أبو حيان الأندلسي: "لما ذكر تعالى أنه لا يضيع عمل عامل، ذكر من عمل الأعمال السنية التي يستحق بها أن لا يضيع عمله، وأن لا يترك جزاؤه، فذكر أولا الهجرة وهي: الخروج من الوطن الذي لا يمكن إقامة دينه فيه إلى المكان الذي يمكن ذلك فيه، وهذا من أصعب شيء على الإنسان، إذ هو مفارقة المكان الذي ربا فيه ونشأ مع أهله وعلى طريقتهم، ولولا زيادة محبة الدين على النشأة ما أمكنه ذلك."[4]

---

[1] زوج النَّبِيّ ﷺ: هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، تزوجها النبي ﷺ بعد وفاة زوجها أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد اللَّه بن عُمَرَ بن مخزوم، هاجرت إِلَى أرض الحبشة، ثم خرجت مهاجرة إِلَى المدينة، قيل: إنها أول ظعينة دخلت المدينة المنورة ، شهدت غزوة خيبر. انظر: (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) – ليوسف القرطبي – ج4/ص1939

[2] المستدرك على الصحيحين – للحاكم النيسابوري – كتاب التفسير – ج2/ص328/ح3174، يقول الإمام الذهبي: صحيح على شرط البخاري.

[3] جامع البيان – الطبري – ج7/ص486 – 491"بتصرف"

[4] البحر المحيط – ج3/ص478

ويقول الإمام سيد قطب: "وقد كانت هذه صورة الداعين المخاطبين بهذا القرآن أول مرة، الذين هاجروا من مكة، وأخرجوا من ديارهم، في سبيل العقيدة، وأوذوا في سبيل الله لا في أي غاية سواه، وقاتلوا وقتلوا، ولكنها صورة أصحاب هذه العقيدة في صميمها، في كل أرض وفي كل زمان، صورتها وهي تنشأ في أرض الجاهلية المعادية للإسلام والمسلمين فتضيق بها الصدور... وتتعرض للأذى والمطاردة، وأصحابها- في أول الأمر- قلة مستضعفة، ثم تنمو النبتة الطيبة- كما لا بد أن تنمو- على الرغم من الأذى، وعلى الرغم من المطاردة، ثم تملك الصمود والمقاومة والدفاع عن نفسها، فيكون القتال، ويكون القتل، وعلى هذا الجهد الشاق المرير يكون تكفير السيئات، ويكون الجزاء ويكون الثواب."[1]

ومن الآيات الكريمة التي أثنت على المهاجرين الصابرين الصادقين، الذين صدَّقوا قولهم بفعلهم قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ {الحشر/8}

تبين هذه الآية الكريمة أنه يُعطى من المال الذي أفاءه الله على رسوله الفقراءُ المهاجرون، الذين أخرجهم المشركون ونهبوا أموالهم وسبوا أولادهم والحال أنهم في مصائبهم هذه يبتغون ويطلبون فضلا تفضلا وإحسانا من الله ورضوانا من لدنه سبحانه لكمال تمكنهم ورسوخهم في مقام الرضا والتسليم ومع ذلك ينصرون الله بترويج دينه وإعلاء كلمة توحيده ورسوله بالمعاونة والمظاهرة وبذل المال والنفس في تقوية دينه أولئك السعداء المقبولون عند الله الباذلون مهجهم في طريق الحق وصراطه المستقيم ونصرة رسوله الكريم هم الصادقون المقصورون على الصدق والإخلاص ظاهرا وباطنا.[2]

يقول الإمام المراغي: "هؤلاء هم الصادقون فى إيمانهم، إذ قد فعلوا ما يدل على الإخلاص فيه والرغبة الصادقة من نيل المغفرة والكرامة عند ربهم، فهم قد أخرجوا من ديارهم، وهى العزيزة على النفوس، المحببة إلى القلوب ... وما فعلوا ذلك إلا لإعلاء منار الدين، ورفعة

---

[1] في ظلال القرآن - ج1/ص549

[2] الفواتح الإلهية - للشيخ علوان - ج2/ص401"بتصرف يسير"

شأنه، وذيوع ذكره، فحق لهم من ربهم النعيم المقيم، وجزيل الثواب بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كفاء ما قاموا به من جليل الأعمال، وعظيم الخلال."[1]

ويقول الإمام سيد قطب: "الذين قالوا كلمة الإيمان بألسنتهم، وصدقوها بعملهم، وكانوا صادقين مع الله ﷻ في أنهم اختاروه، وصادقين مع رسوله في أنهم اتبعوه، وصادقين مع الحق في أنهم كانوا صورة منه تدب على الأرض ويراها الناس!"[2]

ويقول الإمام الشنقيطي: "في هذه الآية الكريمة وصف شامل للمهاجرين في دوافع الهجرة، أنهم: يبتغون فضلا من الله ورضوانا، وغايتها، وهي: وينصرون الله ورسوله، والحكم لهم بأنهم: أولئك هم الصادقون."[3]

ويقول الإمام الزحيلي: "هؤلاء المهاجرون هم الكاملون في الصدق، الراسخون فيه، الذين صدّقوا قولهم بفعلهم، وقرنوا إيمانهم بالعمل المخلص."[4]

فهذه الآيات الكريمة تطمئن فقراء المهاجرين – ومن سلك دربهم – أن هذا الفقر لن يدوم طويلاً فسرعان ما ينتهي بانتهاء هذه الحياة الدنيا الفانية، كما ويؤكد على هذا المعنى النبي ﷺ، حيث جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، يقول: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلمَ يقولُ: "**إن أول ثُلَّةٍ تدخل الجنة الفقراءُ المهاجرونَ، الذين تُتَّقَى بهم المكاره، إذا أُمِرُوا سَمِعُوا وَأَطَاعُوا، وإن كانت لرجل منهم حَاجَةٌ إلى السلطان، لم تُقْضَ له حتى يموتَ وهي في صَدْرِهِ ، وإن الله تعالى يدعو يوم الْقِيَامَةِ الْجَنَّةَ، فتأتي بِزُخْرُفِهَا وَرِيِّهَا فيقولُ: "أين عبادِيَ الذين قاتلوا في سبيلِ اللهِ، وَقُتِلُوا في سبيلي، وَأُوذُوا في سبيلي، وجاهدوا في سبيلي، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ" فيدخلونها بغير حساب، ولا عذاب فَتَأْتِي الْمَلَائِكَةُ فَيَقُولُونَ: ربنَا نحنُ نسبحُ لكَ الليلَ والنهارَ، ونقدسُ لكَ مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آثَرْتَهُمْ عَلَيْنَا؟ فيقولُ الرَّبُّ تباركَ وتعالَى: "هؤلاء الذين**

---

[1] تفسير المراغي – ج28/ص42

[2] في ظلال القرآن – ج6/ص3526

[3] أضواء البيان – ج8/ص42

[4] التفسير المنير – ج28/ص83

قاتلوا في سبيلي، وأوذوا في سبيلي"، فتدخلُ عليهمُ الملائكةُ من كل بابٍ سلامٌ عليكمْ بما صبرتم، فنعم عقبَى الدارِ"[1]

كما ولهم أعلى الدرجات في الجنان حيث جاء عن عبدِ الرحمنِ بن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ،[2] عن أبيهِ رضيَ اللهُ عنهُ أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: **"للمهاجرين مَنَابِرُ من ذَهَبٍ يجلسونَ عليهَا يومَ القيامةِ قدْ أمِنُوا مِنَ الفَزَعِ"**[3]

فهؤلاء اشتروا محبة الله واتباع الإسلام بما ملكوا من مال ووطن، فربحت تجارتهم، وكفرت سيئاتهم، وأدخلوا جنات تجري من تحتها الأنهار، ووصفهم الله تبارك وتعالى بالصدق في الإيمان، وما أعظمه من ثناء ومدح حظاهم الله به دون سواهم.

المطلب الثالث: ثناء الله على الأنصار:

أثنى الله تعالى على الأنصار، فهم الذين آوَوْا ونصروا الإسلام والمسلمين، واقتسموا أموالهم مع المهاجرين، وجاهدوا في جميع الميادين، فأحبهم رب العالمين، فذكر فضلهم وشرفهم في الكتاب المبين، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ {الحشر/9}

---

[1] المستدرك على الصحيحين – للحاكم النيسابوري – كتاب الجهاد – ج2/ص81/ح2393، يقول الإمام الذهبي: صحيح.

[2] عبد الرحمن بن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي الخدري المدني، روى عن: أبيه أبي سعيد سعد بن مالك الخدري، وعمارة بن حارثة الضمري، وأبي حميد الساعدي، روى عنه: ابناه (ربيح وسعيد) بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، وزيد بن أسلم، وسعيد بن أبي سعيد المقبري، قال الإمام مسلم والنسائي: ثقة، مات سنة اثنتي عشرة ومائة. انظر: (تهذيب الكمال في أسماء الرجال – للمزي – ج17/ص134 – 135، ميزان الاعتدال في نقد الرجال – للذهبي – ج2/ص567)

[3] المستدرك على الصحيحين – للحاكم النيسابوري – كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم... – ذكر فضل المهاجرين – ج4/ص86/ح6965، يقول الإمام الذهبي: صحيح.

والمعنى: والذين سكنوا المدينة دار الهجرة، وتمكن الإيمان بالله ﷻ ورسوله ﷺ في قلوبهم، قبل هجرة المهاجرين– وهم الأنصار– يحبون المهاجرين، ويواسونهم بأموالهم، ولا يجدون في أنفسهم حسدا أو غيظا مما أوتي المهاجرون دونهم من مال الفيء،[1] بل طابت أنفسهم بذلك، فآثروهم بأموالهم ومنازلهم على أنفسهم، فقدموا المهاجرين على أنفسهم في حظوظ الدنيا، ولو كان بهم حاجة وفقر، فمن كفاه الله ﷻ حرص نفسه وبخلها، وحفظ من ذلك، فأدى ما أوجبه الشارع عليه في مال من زكاة أو حق، فقد فاز ونجح، وظفر بكل المنى والمطلوب.

ويبين صاحب التفسير الكبير أنه يصح أن يقال: "تبوأ الإيمان" وذلك من عدة وجوه:

أولها: أن الأنصار تبوءوا الدار(المدينة)، وأخلصوا الإيمان.

وثانيها: أن الأنصار جعلوا الإيمان مستقراً ووطناً لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه، كما أنهم لما سألوا سلمان الفارسي عن نسبه فقال: أنا ابن الإسلام.

وثالثها: أنه سمى المدينة بالإيمان؛ لأن فيها ظهر الإيمان وقويَ.[2]

كما وجاء في سبب نزول قوله تعالى:﴿ ...وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أصابني الجَهْدُ، فأرسلَ إلى نسائِهِ فلم يجد عنْدَهُنَّ شيئاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ألا رجلٌ يضيفُهُ هذهِ الليلةَ، يَرْحَمُهُ اللهُ؟**" فقامَ رجلٌ مِنَ الأنصارِ فقالَ: أنا يا رسولَ اللهِ، فذهبَ إلى أهلِهِ، فقال لِامْرَأَتِهِ: ضَيْفُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم لاَ تَدَّخِرِيهِ شَيْئًا، قالتْ: واللهِ ما عِنْدِي إلا قُوتُ الصِّبْيَةِ، قالَ: فإذا أرادَ الصبيةُ العشاءَ فَنَوِّمِيهِمْ، وَتَعَالَيْ فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ، فَفَعَلَتْ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "**لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ – أَوْ ضَحِكَ – مِنْ فُلاَنٍ وَفُلاَنَةَ**"[3]

يقول الإمام الرازي: "فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ فبين أن هذا الإيثار ليس عن غنى عن المال، ولكنه عن حاجة وخصاصة وهي الفقر... وذكر

---

[1] الفيء: ما ردَّه الله تعالى على أهل دينه من أموال من خالفهم في الدين بلا قتال، إما بالجلاء أو بالمصالحة، على جزية أو غيرها. (التعريفات للجرجاني – ص/170)

[2] انظر: (التفسير الكبير) – للرازي – ج29/ص508 ، (التفسير المنير) – للزحيلي – ج28/ص83–84

[3] صحيح البخاري – كتاب تفسير القرآن – باب قوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ – ج6/ص148/ح4889

المفسرون أن الآية نزلت في ذلك الإيثار، والصحيح أنها نزلت بسبب إيثارهم المهاجرين بالفيء، ثم لا يمتنع أن يدخل فيها سائر الإيثارات."[1]

ويوضح الإمام المراغي في هذه الآية الكريمة ثلاث صفات للأنصار حيث يقول: "الذين سكنوا المدينة، وأشربت قلوبهم حب الإيمان من قبل هجرة أولئك المهاجرين، لهم صفات كريمة، وشيم جليلة تدل على كرم النفس، ونبل الطباع، فهم:

1- يحبون المهاجرين ويتمنون لهم من الخير ما يتمنون لأنفسهم، وقد آخى رسول الله بينهم... عن أنس بن مالك قال: قالتِ الْمُهَاجِرُونَ: يا رسولَ اللهِ، ما رأينْا مِثْلَ قَوْمٍ قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ أَحْسَنَ بَذْلًا مِنْ كَثِيرٍ، وَلَا أَحْسَنَ مُوَاسَاةً فِي قَلِيلٍ، قَدْ كَفَوْنَا الْمَئُونَةَ، وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَأِ، فَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّه، قالَ: فقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "**كَلَّا مَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ بِهِ، ودعوتُمُ اللهَ لَهُمْ**"[2]

2- لا يطمعون إلى شيء مما أعطيه أولئك المهاجرون من الفيء وغيره...

3- يقدمون ذوى الحاجة على أنفسهم، ويبدأون بسواهم قبلهم، حتى إن من كان عنده امرأتان يتنازل عن إحداهما ويزوجها واحدا من المهاجرين."[3] انظر الحديث الذي أخرج البخاري عن أبي هريرة (الصفحة السابقة)

ويقول الإمام سيد قطب: "هذه صورة وضيئة صادقة تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار، هذه المجموعة التي تفردت بصفات، وبلغت إلى آفاق، لولا أنها وقعت بالفعل، لحسبها الناس أحلاما طائرة ورؤى مجنحة ومثلا عليا قد صاغها خيال محلق... فلم يعرف تاريخ البشرية كله حادثا جماعيا كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين، بهذا الحب الكريم، وبهذا البذل السخي، وبهذه المشاركة الرضية، وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء، حتى ليروى أنه لم ينزل مهاجر في دار أنصاري إلا بقرعة،لأن عدد الراغبين في الإيواء المتزاحمين عليه أكثر من عدد المهاجرين!..."[4]

---

[1] التفسير الكبير - ج29/ص508

[2] مسند الإمام أحمد - مسند المكثرين من الصحابة - مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه - ج20/ص384/ح13122 يقول الإمام شعيب الأرنؤوط وآخرون: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[3] تفسير المراغي - ج28/ص43 - 44

[4] في ظلال القرآن - ج6/ص3526

ويقول الإمام الطاهر بن عاشور: "وهذا ثناء عليهم بما تقرر في نفوسهم من أخوة الإسلام إذ أحبوا المهاجرين، وشأن القبائل أن يتحرجوا من الذين يهاجرون إلى ديارهم لمضايقتهم."[1]

ويقول الإمام الزحيلي: "والآية دليل على اتصاف الأنصار بصفات خمس: هي استيطانهم دار الهجرة مسبقا، وجعل الإيمان مستقرا ووطنا لهم، ومحبتهم إخوانهم المهاجرين، وترفعهم عن الجشع والطمع والحسد والحزازة، وإيثارهم المحتاجين على أنفسهم ولو كان بهم حاجة، واتصافهم بالجود والبعد عن الشح، لذا وصفوا بأنهم المفلحون الظافرون بما أرادوا."[2]

كما وأثنى عليهم خير الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ الصادق الأمين، حيث روي عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ، عنِ النبيَّ ﷺ، أو قال أبو القَاسِمِ ﷺ : "**لو أن الأنْصَارَ سلكوا وَادِياً، أوْ شِعْباً، لسلكتُ في وَادِي الأنْصَارِ، ولوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأنْصَارِ**" ، فقال أبو هريرة: "مَا ظَلَمَ بِأَبِي وَأُمِّي، آوَوْهُ وَنَصَرُوهُ، أَوْ كَلِمَةً أُخْرَى"[3]

كما وروي عن البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ[4] رضيَ اللهُ عنْهُ، قالَ: سمعتُ النبيَّ ﷺ، أو قالَ: قالَ النبيُّﷺ: "**الأنْصَارُ لا يُحِبُّهُمْ إلا مُؤمِنٌ، ولا يُبْغِضُهُمْ إلَّا مُنَافِقٌ، فمنْ أحبهُمْ أحبَّهُ اللهُ، ومن أبغضهُمْ أبغَضَهُ اللهُ**"[5]

ويفرد الإمام ابن القيم في نونيته فصلاً بعنوان:"(أن أهل الحديث هم أنصار رسول الله ﷺ ولا يبغض الأنصار رجلٌ يؤمن بالله واليوم الآخر) ومن هذه الأبيات قوله:

---

[1] التحرير والتنوير – ج28/ص91

[2] التفسير المنير – ج28/ص84

[3] صحيح البخاري – كتاب المناقب – باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار" – ج5/ص31/ح3779

[4] هو ابن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن عمرو بن مالك بن أوس، يكنى أبا عمارة، نزل الكوفة، توفي أيام مصعب بن الزبير، تخلف عن بدر لصغر سنه، وكان أول مشهد شهده الخندق، روى عنه: أبو جحيفة، وعبد الله بن يزيد الأنصاري، وبنوه: الربيع ويزيد وعبيد، وغيرهم. انظر: (معرفة الصحابة – لابن مَنْدَه العبدي – ص/289)

[5] صحيح البخاري – باب حب الأنصار – كتاب المناقب باب حب الأنصار – ج5/ص32/ح3783

يا مبغضا أهل الحديث وشاتما ... أبشر بعقد ولاية الشيطان
أو ما علمت بأنهم أنصار دي ... ن الله والإيمان والقرآن
أو ما علمت بأن أنصار الرسو ... ل هم بلا شك ولانكران
هل يبغض الأنصار عبد مؤمن ... أو مدرك لروائح الإيمان
شهد الرسول بذاك وهي شهادة ... من أصدق الثقلين بالبرهان"[1]

لذا يجب علينا محبة من حاز على هذا اللقب الجليل – الأنصار – من الله ﷻ في كتابه الكريم؛ لأن الله ﷻ أثنى عليه وأحبهم، وكذلك النبي ﷺ، ففي محبتهم محبة لله ورسوله، وفي بغضهم بغض من الله ورسوله. اللهم اجعلنا من الذين يحبون جميع الصحابة الكرام أجمعين فجميعهم ثقات عدول، بل ومنهم بالجنة مبشرين.

المطلب الرابع: ثناء الله على أهل العقبة:

إن أعظم وأطيب بشارة يحصل عليها الإنسان هي الرضا من الله ﷻ لما يترتب عليها من الأريحية والاطمئنان، والفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، فهنيئاً لهؤلاء الصحابة الكرام الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة حيث يقول تعالى في شأنهم: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾{الفتح/18}

ففي هذه الآية الكريمة يخبر تبارك وتعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة، وذلك – بالحديبية – حين بايعوه على مناجزة قريش الحرب، وعلى أن لا يفروا، ولا يولوهم الدبر، فعلم ﷻ ما في قلوبهم من الصدق والوفاء، والسمع والطاعة، فأنزل الطمأنينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا، حيث أجرى الله ﷻ على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم، وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة، ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم، وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة.[2]

---

[1] متن القصيدة النونية – ص/281

[2] انظر: (جامع البيان) – للطبري – ج22/ص223 ، (تفسير القرآن العظيم) – لابن كثير – ج7/ص339 – 340

كما ويذكر الإمام الطبري أن سبب هذه البيعة ما قيل: "إن رسول الله ﷺ كان أرسل عثمان بن عفان ﷺ برسالته إلى الملأ من قريش، فأبطأ عثمان عليه بعض الإبطاء، فظن أنه قد قتل، فدعا أصحابه إلى تجديد البيعة على حربهم على ما وصفت، فبايعوه على ذلك، وهذه البيعة التي تسمى بيعة الرضوان."[1]

ويصف الإمام سيد قطب حال هؤلاء الصحابة الكرام حيث يقول: "تلك المجموعة الفريدة السعيدة التي بايعت رسول الله ﷺ تحت الشجرة، والله ﷻ حاضر البيعة وشاهدها وموثقها، ويده فوق أيديهم فيها، تلك المجموعة التي سمعت الله تعالى يقول عنها لرسوله ﷺ:﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ وسمعت رسول الله ﷺ يقول لها: "**أَنْتُمُ اليوْمَ خيرُ أهلِ الأرضِ**"... وذلك في الحديث الذي رواه الصحابي الجليل جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالَ: كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ ، فقالَ لنا النبيُ ﷺ: "**أَنْتُمُ اليوْمَ خيرُ أهلِ الأرضِ**"[2] وأحاول أن أستشعر شيئا من حال أولئك السعداء الذين يسمعون بآذانهم، أنهم هم، بأشخاصهم وأعيانهم، يقول الله عنهم: لقد رضي عنهم، ويحدد المكان الذي كانوا فيه، والهيئة التي كانوا عليها حين استحقوا هذا الرضى:﴿ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ يسمعون هذا من نبيهم الصادق المصدوق، على لسان ربه العظيم الجليل."[3]

ويقول الإمام الطاهر بن عاشور: "فإن كون بيعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم، تعتبر بيعة لله تعالى، فأومأ إلى أن لهم بتلك المبايعة مكانة رفيعة من خير الدنيا والآخرة."[4]

---

[1] جامع البيان – ج22/ص223

[2] صحيح مسلم – كتاب الإمارة – باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة – ج3/ص1484/ح1856

[3] في ظلال القرآن – ج6/ص3325 – 3326

[4] التحرير والتنوير – ج26/ص173

بل ويشهد لهم النبي ﷺ بالجنة حيث روي عن جابِرَ بْنَ عبدِ اللهِ، يقولُ: أخبرتْنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ امْرَأَةِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ،[1] أَنَّها سَمِعَتِ النبيَّ ﷺ يقولُ عندَ زوجته حَفْصَةَ بنت عمر بن الخطاب: "**لَا يَدخُلُ النَّارَ، إنْ شاءَ اللهُ، مِنْ أصحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا...**"[2]

يقول الإمام النووي:[3] "قال العلماء معناه لا يدخلها أحد منهم قطعا ... وإنما قال إن شاء الله للتبرك لا للشك."[4]

إنها منحة ومنزلة ومكرمة كريمة من رب كريم؛ بأن رضي عن جميع المبايعين تحت الشجرة، وزادهم تشريفاً وتعظيماً بأن جعل بيعتهم معه تعالى، ويده فوق أيديهم جميعا، فهم خير أهل الأرض، وهم الذين حرمت عليهم النار.

المطلب الخامس: ثناء الله على أبي بكر الصديق ﷺ:

فهو أول من آمن وصدق من الرجال، ورفيق الرسول ﷺ في الهجرة وأول المبشرين بالجنة، وأول من قدم كل ماله، وأول من ناب في إمامة المسلمين، وأول الخلفاء الراشدين، وأول من طبق منهج النبي محمد ﷺ، فمن صحبته للنبي عليه السلام في الغار، يثني ربنا جل في علاه عليه بقوله:﴿ **إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ**

---

[1] هي أم مبشر بنت البراء بن معرور الأنصارية، زوج زيد بن حارثة، روى عنها جابر بن عبد الله، وغيره، روت عن رسول الله ﷺ أحاديث، منها هذا الحديث. انظر: (أسد الغابة في معرفة الصحابة – لابن الأثير – ج7/ص380)

[2] صحيح مسلم – كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم – باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم – ج4/ص1942/ح2496

[3] يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النَّوَوِي، الشافعيّ، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث، مولده ووفاته في نوا من قرى حوران، بسورية واليها نسبته، تعلم في دمشق، وأقام بها زمنا طويلا، من كتبه: تهذيب الأسماء واللغات، ومنهاج الطالبين، والمنهاج في شرح صحيح مسلم، انظر: (الأعلام – للزركلي – ج8/ص149)

[4] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – ج16/ص58

تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ {التوبة/40}

والمعنى: يا معشر أصحاب رسول الله ﷺ إن لا تنفروا معه أيها المؤمنون إذا استَنْفَركم، وإن لا تنصروه حين استنفركم إلى غزوة تبوك فتقاعدتم، فقد نصره الله ﷻ، فاذكروا نصر الله له وقت إذ أخرجه الكفار من قريش من بلده مكة المكرمة حال كونه ثاني اثنين، فلم يكن معه إلا رجل واحد وهو أبو بكر ﷺ فذهبا نحو الجبل فدخلا الغار، واقتفى العدو أثرهما فوصلوا الغار إذ هما حينئذ في الغار، فتحزن صاحبه من إدراك العدو فيقول ﷺ في تلك الحالة لصاحبه لا تحزن من ادراكهم ولحوقهم، ولا تيأس من نصر الله ﷻ وحفظه، إن الله الرقيب علينا حاضر معنا غير مغيب عنا يكفينا ويكف عنا مؤنة ضررهم واضرارهم.

فأنزل الله سبحانه طمأنينته وسكونه على رسوله ﷺ، وأيده سبحانه بجنود لم يرها أحد من البشر، وهم الملائكة الحافظين الحارسين له ﷺ، وجعل سبحانه بنصره وتأييده لرسوله ﷺ كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمةُ الله هي العليا، وذلك بإعلاء شأن الإسلام، إذ الحق يعلو ولا يعلى عليه والله سبحانه القادر المقتدر على عموم ما يشاء، عزيز غالب في نصر أوليائه، والله عزيز في ملكه، حكيم في تدبير شؤون عباده. وفي هذه الآية منقبة عظيمة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، كما وفيها دليل على تحقيق صحبة الصدّيق ﷺ حيث سمّاه الله سبحانه صاحبه، وعدّه ثانيه في الإيمان، وفى الغار ثانيه، ثم فى القبر ضجيعه، وفى الجنة يكون رفيقه.[1]

يقول الإمام الشعراوي: "لاَ ترى الصِّدِّيق ثانَي اثنينِ في الغار، وثاني اثنين في أمور كثيرة، فهو ثاني اثنين في الهجرة، وثاني اثنين في قبول دعوة الإسلام الأولى... ولما كان لأبي بكر أفضال كثيرة في زوايا متعددة لم يخاطبه بصيغة المفرد، إنما بصيغة الجمع تكريماً وتعظيماً."[2]

---

[1] انظر: (جامع البيان) – للطبري – ج14/ص261 ، (النكت والعيون) – للماوردي – ج2/ص363 ، (لطائف الإشارات) – للقشيري – ج2/ص27 ، (الفواتح الإلهية) – للشيخ علوان – ج1/ص305

[2] تفسير الشعراوي – ج16/ص10229

ويبين الدكتور محمد سيد طنطاوي سبب خوف أبي بكر الصديق ﷺ بقوله: "إن أبا بكر وهو مع النبي ﷺ في الغار، أحس بحركة المشركين من فوق الغار، فخاف خوفا شديدا لا على حياته هو، وإنما على حياة النبي ﷺ فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم منه ذلك، أخذ في تسكين روعه وجزعه وجعل يقول له: لا تحزن إن الله معنا." [1]

كما ويؤكد هذا الأمر ما جاء عن أنسِ بنِ مالكٍ، أن أبا بكرٍ الصديقَ، حَدثهُ قالَ: نظرتُ إِلَى أقدامِ المشركينَ عَلَى رُءُوسِنَا ونحنُ في الغارِ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ لوْ أنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فقالَ: "**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**"[2]

ويقول الإمام النووي: "ثالثهما" بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد ...وفيه بيان عظيم توكل النبي صلى الله عليه وسلم حتى في هذا المقام، وفيه فضيلة لأبي بكر رضي الله عنه وهي من أجلِّ مناقبه.[3]

ومن الآيات الكريمة المبينة لفضل وكرم وعفو أبي بكر الصديق ﷺ قوله تعالى:﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾{النور/22}

جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها زوجِ النبيَّ صلى الله عليه وسلم حينَ قالَ لهَا أهلُ الإفْكِ ما قالوا، فَبَرَّأَهَا اللَّهُ مِنْهُ...حتَّى أنزلَ عليهِ الوحيُ... فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وهوَ يضحكُ، فكانَ أولَ كلمةٍ تكلمَ بهَا، أن قال لي:"**يَا عَائِشَةُ احْمَدِي اللَّهَ، فَقَدْ بَرَّأَكِ اللَّهُ**"، فقالتْ لي أُمِّي: قومي إلى رسول الله ﷺ، فقلتُ: لا واللهِ، لا أقومُ إليهِ، وَلاَ أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ...** ﴾{النور/11} الآيات، فَلَمَّا

---

[1] التفسير الوسيط للقرآن الكريم – ج6/ص292

[2] صحيح مسلم – كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم – باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه – ج4/ص1854/ح2381

[3] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – ج15/ص150

أنزلَ اللهُ هذَا فِي بَرَاءَتِي، قال أبو بكرٍ الصديقُ ﷺ وكانَ ينفقُ على مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ[1] لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ: واللهِ لا أنفقُ على مسطحٍ شيئاً أبداً بعدَ ما قالَ لِعَائِشَةَ، فأنزلَ اللهُ تعالى:﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ ... ﴾ فقالَ أبو بكرٍ: بلى واللهِ إني لأحبُّ أن يغفرَ اللهُ لي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ..."[2]

يقول الإمام ابن كثير: "وكان الصديقﷺ، معروفا بالمعروف، له الفضل والأيادي على الأقارب والأجانب، فلما نزلت هذه الآية إلى قوله:﴿...أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي: فإن الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر عن المذنب إليك نغفر لك، وكما تصفح نصفح عنك، فعند ذلك قال الصديق: بلى، والله إنا نحب – يا ربنا – أن تغفر لنا، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة..."[3]

ويقول الإمام سيد قطب: "وهنا نطلع على أفق عال من آفاق النفوس الزكية، التي تطهرت بنور الله ﷻ، أفق يشرق في نفس أبي بكر الصديق ﷺ وهو الذي مسه حديث الإفك في أعماق قلبه، والذي احتمل مرارة الاتهام لبيته وعرضه، فما يكاد يسمع دعوة ربه إلى العفو وما يكاد يلمس وجدانه ذلك السؤال الموحي: "أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ؟" حتى يرتفع على الآلام، ويرتفع على مشاعر الإنسان، ويرتفع على منطق البيئة، وحتى تشف روحه وترف وتشرق بنور الله ﷻ، فإذا هو يلبي داعي الله في طمأنينة وصدق يقول: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي. ويعيد إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، ويحلف: والله لا أنزعها منه أبدا، ذلك في مقابل ما حلف: والله لا أنفعه بنافعة أبدا."[4]

---

[1] مسطح بن أثاثة بْن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبي، يكنى: أبا عباد، وقيل: أَبُو عَبْد اللَّهِ، وأمه أم مسطح بنت أَبِي رهم بْن المطلب بْن عبد مناف، وأمها ريطة بنت صخر بْن عَامِر بْن كعب، خالة أَبِي بكر الصديق، شهد مسطح بدرا، وَكَانَ ممن خاض فِي الإفك عَلَى عائشة رضي اللَّه عَنْهُا، فجلده النَّبِيّ ﷺ فيمن جلد فِي ذَلِكَ، وقيل: إن مسطحا لقب واسمه عوف، وله أخت اسمها هند، توفي سنة أربع وثلاثين، وهو ابن ست وخمسين سنة، وقيل: شهد صفين مع عَلِيّ بن أبي طالب ﷺ، ومات سنة سبع وثلاثين. انظر: (أسد الغابة في معرفة الصحابة – لابن الأثير – ج5/ص150)

[2] صحيح البخاري – كتاب الشهادات – باب تعديل النساء بعضهن بعضا – ج3/ص173/ح2661

[3] تفسير القرآن العظيم – ج6 /ص31

[4] في ظلال القرآن – ج4/ص2505

كما ويبين النبي ﷺ أسبقية أبي بكر ﷺ في جميع وجوه الخير، وتميزه على جميع الصحابة ﷺ حيث روي عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ...قال رسول الله ﷺ: "**إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ، لَا تُبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ[1] إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ**"[2]

يقول الإمام النووي في بيان معنى: "(إن أمن الناس علي) أي أكثرهم جوداً وسماحةً لنا بنفسهِ ومالهِ، وليس هو من المَنَّ الذي هو الاعتداد بالصَّنِيعَةِ؛ لأنه أذى مبطلٌ للثواب، ولأن المنة لله ولرسوله في قبول ذلك وفي غيره، ويبين معنى الخوخة بقوله: هي الباب الصغير بين البيتين، أو الدارين ونحوه."[3]

كما وروي عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهمَا، قالَ: كُنَّا عندَ النبيِّ ﷺ إذْ جاءَهُ وفدُ عبدِ الْقَيْسِ فتكلمَ بَعْضُهُمْ بكلامٍ لَغَا في الكلامِ، فالتفتَ النبيُّ ﷺ إلى أبي بكرٍ ﷺ، وقالَ: "**يَا أَبَا بَكْرٍ، سَمِعْتَ مَا قَالُوا؟**" قالَ: نعمْ يا رسولَ اللهِ، وَفَهِمْتُهُ، قالَ: "**فَأَجِبْهُمْ**" قالَ: فأجابَهُمْ أبو بكرٍ ﷺ بجوابٍ وأجادَ الجوابَ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "**يَا أَبَا بَكْرٍ، أَعْطَاكَ اللَّهُ الرِّضْوَانَ الْأَكْبَرَ**" فقالَ لهُ بعضُ القومِ: وما الرضوانُ الأكبرُ يا رسولَ اللهِ؟ قال: "**يَتَجَلَّى اللَّهُ لِعِبَادِهِ فِي الْآخِرَةِ عَامَّةً، وَيَتَجَلَّى لِأَبِي بَكْرٍ خَاصَّةً**"[4]

فهنيئاً لك يا أبا بكر الصديق، يا من حزت على قصب السبق في كل ميادين الخير، يا من صدقت وصاحبت وهاجرت وصاهرت، وجاورت في القبر والجنان النبي ﷺ، يا من رضي الله عنك وأعطاك الرضوان الأكبر.

---

[1] الخوخة: هي الباب الصغير بين البيتين أو الدارين. (الديباج على صحيح مسلم – للسيوطي ج5/ص372)

[2] صحيح مسلم – كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم – باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه – ج4/ص1854/ح2382

[3] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – ج15/ص150

[4] المستدرك على الصحيحين – للحاكم النيسابوري – كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم – ج3/ص83/ح4463، يقول الإمام الذهبي: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

المطلب السادس: ثناء الله على امرأة فرعون:

فهي المرأة المثالية في الصبر وتحمل الأذى، وفي حسن وحب طلب الجوار من وإلى الله تعالى، بل وضرب ﷻ بكمال إيمانها المثل في كتابه الكريم، لتكون نبراساً للصابرين المتوكلين على الله تعالى القائل: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ {التحريم/11}

والمعنى: "وجعل الله حال امرأة فرعون مثلا يبين به أن صلة المؤمنين بالكافرين لا تضرهم شيئا إذا كانت النفوس خالصة من الأكدار، فقد كانت تحت أعدى أعداء الله في الدنيا، وطلبت النجاة منه ومن عمله، وقالت فى دعائها: رب اجعلني قريبا من رحمتك، وابن لي بيتا في الجنة، وخلصني من أعمال فرعون الخبيثة، وأنقذني من قومه الظالمين، وفى هذا دليل على أنها كانت مؤمنة مصدقة بالبعث..."[1]

يقول الإمام سيد قطب: "وها هي ذى امرأة فرعون، لم يصدها طوفان الكفر الذي تعيش فيه، في قصر فرعون، عن طلب النجاة وحدها، وقد تبرأت من قصر فرعون طالبة إلى ربها بيتا في الجنة، وتبرأت من صلتها بفرعون فسألت ربها النجاة منه، وتبرأت من عمله مخافة أن يلحقها من عمله شيء وهي ألصق الناس به، وتبرأت من قوم فرعون وهي تعيش بينهم.

ودعاء امرأة فرعون وموقفها مثل للاستعلاء على عرض الحياة الدنيا في أزهى صوره، فقد كانت امرأة فرعون أعظم ملوك الأرض يومئذ، في قصر فرعون أمتع مكان تجد فيه امرأة ما تشتهي، ولكنها استعلت على هذا بالإيمان، ولم تعرض عن هذا العرض فحسب، بل اعتبرته شرا ودنسا وبلاء تستعيذ بالله منه، وتتفلت من عاقبته، وتطلب النجاة منه! وهي امرأة واحدة في مملكة عريضة قوية..."[2]

يقول الإمام الطاهر بن عاشور: "فكانت امرأة فرعون مثلا لمتانة إيمان المؤمنين... "[3]

---

[1] تفسير المراغي – للمراغي – ج28/ص169

[2] في ظلال القرآن – ج6/ص3621 – 3622

[3] التحرير والتنوير – ج28/ص376

كما ويبين الحديث النبوي الشريف حماية الملائكة لها، ومكانتها في الجنة، حيث روي عن سَلْمَانَ الفارسي ﷺ، قالَ: "**كانتِ امرأةُ فرعونَ تُعذبَ بالشمسِ، فإذا انصرفوا عنها أَظَلَّتْهَا الملائكةُ بَأَجْنِحَتِهَا، وكانَتْ ترى بيتهَا في الجنةِ**"[1]

لقد صبرت في الدنيا على مرارة العيش مع أعداء الله الكفار الأشرار – فالسعادة ليست بالمال بل بحلاوة الإيمان – وصبرت على تعذيبها بالشمس حينما ظهر أمرها، فكافأها الله تعالى في الدنيا بأن تظلها الملائكة من عذاب الشمس، وفي الآخرة بأن بنى لها بيتاً عنده في الجنة، فهي من أكمل نساء الدنيا، ومن أفضل نساء أهل الجنة.

المطلب السابع: ثناء الله على مريم ابنة عمران:

فمن قبل أن ترى النور جعلها ﷻ من أسرة صالحة، وتقبلها بقَبولٍ حسن، ومن ثم أنبتها نباتاً حسنا، ورزقها من ثمار الجنة، وفرغها لعبادته، وكرمها بإنجاب عيسى عليه السلام، بل ومن هذه الكرامات قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ {ال عمران/42}

والمعنى: "واذكر يا محمد ﷺ للناس وقت أن قالت الملائكة لمريم– التي تقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا– يا مريم إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ: أي اختارك واجتباك لطاعته، وقبلك لخدمة بيته وَطَهَّرَكِ من الأدناس والأقذار، ومن كل ما يتنافى مع الخلق الحميد، والطبع السليم وَاصْطَفَاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ بأن وهب لك عيسى عليه السلام من غير أب دون أن يمسسك بشر."[2]

ويبين الإمام الرازي المراد من الألفاظ الثلاثة في الآية:﴿ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ ﴾ حيث صرف الاصطفاء الأول إلى ما اتفق – لمريم – من الأمور الحسنة في أول عمرها، فهو عدة أمور:

أحدها: أنه تعالى قبل تحريرها مع أنها كانت أنثى ولم يحصل مثل هذا المعنى لغيرها من الإناث.

---

[1] المستدرك على الصحيحين – للحاكم النيسابوري – كتاب التفسير – تفسير سورة التحريم – ج2/ص538/ح3834، يقول الإمام الذهبي: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

[2] التفسير الوسيط للقرآن الكريم – لمحمد سيد طنطاوي – ج2/ص102

وثانيها: قال الحسن البصري: إن أمها لما وضعتها ما غذتها طرفة عين، بل ألقتها إلى زكريا، وكان رزقها يأتيها من الجنة.[1]

وثالثها: أنه تعالى فرغها لعبادته، وخصها في هذا المعنى بأنواع اللطف والهداية والعصمة.

ورابعها: أنه كفاها أمر معيشتها، فكان يأتيها رزقها من عند الله تعالى حيث قال ﷻ: ﴿...قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ {ال عمران/37}

وخامسها: أنه تعالى أسمعها كلام الملائكة شفاها، ولم يتفق ذلك لأنثى غيرها.

وأما التطهير ففيه وجوه:

أحدها: أنه تعالى طهرها عن الكفر والمعصية، فهو كقوله تعالى في أزواج النبي ﷺ: ﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ {الأحزاب/33}

وثانيها: أنه تعالى طهرها عن مسيس الرجال.

وثالثها: طهرها عن الحيض، قالوا: كانت مريم لا تحيض.

ورابعها: وطهرك من الأفعال الذميمة، والعادات القبيحة.

وخامسها: وطهرك عن مقالة اليهود وتهمتهم وكذبهم.

وأما الاصطفاء الثاني فيصرف إلى ما اتفق لها في آخر عمرها:

حيث إنه تعالى وهب لها عيسى عليه السلام من غير أب، وأنطق عيسى حال انفصاله منها حتى شهد بما يدل على براءتها عن التهمة، وجعلها وابنها آية للعالمين.[2]

ويقول الإمام محمد متولي الشعراوي: "إن الله يصطفي زمانا على زمان، ومكانا على مكان، وإنسانا على إنسان ليشيع اصطفاء المُصطفى في كل ما اصطُفِيَ عليه، إذن فهل يجب على الناس أن يفرحوا بالمصطفى، أو لا يفرحوا به؟ إن عليهم أن يفرحوا به؛ لأنه جاء لمصلحتهم..."[3]

ويقول الدكتور محمد سيد طنطاوي: "فأنت ترى أن الله تعالى قد مدح مريم مدحا عظيما بأن شهد لها بالاصطفاء والطهر والمحبة، وأكد هذا الخبر للاعتناء بشأنه، والتنويه بقدره."[4]

---

[1] وبالرجوع إلى تفسير الحسن البصري، الذي جمعه الدكتور: محمد عبد الرحيم، لم يجد الباحث هذه العبارة – التي أخذها الإمام الرازي عن الإمام الحسن البصري – ولعلها سقطت سهواً من الدكتور: محمد عبد الرحيم، فلم يجمعها. انظر:(تفسير الحسن البصري – جمع الدكتور: محمد عبد الرحيم – ج1/ص212)

[2] التفسير الكبير – ج8/ص217 – 218 "بتصرف يسير"

[3] تفسير الشعراوي – ج3/ص1454

[4] التفسير الوسيط للقرآن الكريم – ج2/ص102

ومن الآيات الكريمة التي تضرب المثل في إيمان وصلاح مريم ابنة عمران قوله تعالى:
﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ {التحريم/12}

والمعنى: "وضرب الله ﷻ مثلا للذين آمنوا حال مريم وما أوتيت من كرامة الدنيا وكرامة الآخرة، فاصطفاها ربها مع أن أكثر قومها كانوا كفارا، ومن قبل أنها منعت جيب درعها من جبريل عليه السلام وقالت له:﴿ ... إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ {مريم/18} فأثبتت بذلك عفتها وكمال طهارتها، فنفخ جبريل عليه السلام في جيب درعها فحملت بنبي الله وكلمته عيسى عليه السلام، وصدقت بشرائع الله وكتبه التي أنزلها على أنبيائه، وكانت في عداد القانتين العابدين المخبتين لربهم المطيعين له."[1]

يقول الإمام الزحيلي: "فهي مثال العفة والطهر، فأمر الله ﷻ جبريل عليه السلام أن ينفخ في فرجها... فحملت بعيسى عليه السلام، وصدقت بشرائع الله التي شرعها لعباده، وبصحفه التي أنزلها على إدريس وغيره، وبكتبه الأربعة الكبرى المنزلة على الأنبياء...وكانت من القوم المطيعين لربهم، كان أهلها أهل بيت صلاح وطاعة، ومن عداد الناسكين العابدين المخبتين لربهم."[2]

كما ويبين النبي ﷺ فضل وكمال إيمان كل من امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، حيث روي عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **"كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ[3] عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ"**[4]

كما وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: خطَ رسولُ اللهِ ﷺ أربعَ خُطُوطٍ ، ثم قال: **"أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟"** قالوا: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ، قالَ:**"إِنَّ أَفْضَلَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ مَعَ مَا قَصَّ**

---

[1] تفسير المراغي – للمراغي – ج28/ص169

[2] التفسير المنير – ج28/ص327

[3] والثَّرْدُ: الفَتُّ، ثَرَدَهُ يَثْرُدُهُ ثَرْداً، فَهُوَ ثَرِيدٌ...والثَّرِيدُ والثَّرودَةُ: مَا ثُرِدَ مِنَ الْخُبْزِ. (لسان العرب – ج3/ص102)

[4] صحيح البخاري – كتاب أحاديث الأنبياء – باب قول الله تعالى﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ... ﴾ {التحريم/11} – ج4/ص158/ح3411

اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهَا فِي الْقُرْآنِ" ﴿...قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ {التحريم/11}[1]

فمريم بنت عمران أكرمها الله ﷻ بالعديد من الكرامات، فقد اصطفاها في أول عمرها بأن تقبلها لخدمة الكنيسة، ورزقها من ثمار الجنة، وأسمعها كلام الملائكة، كما وطهرها من الأقوال والأفعال الخبيثة المستقذرة، وأيضاً اصطفاها بأن وهب لها عيسى عليه السلام دون أب، وهي أيضاً من أكمل نساء الدنيا، ومن أفضل نساء أهل الجنة.

وينبه الباحث إلى أنه: سبق بيان هذه الآية الكريمة في المطلب السابق، ولم يذكر الباحث هذه الأحاديث النبوية، المتعلقة بفضائل ومكارم امرأة فرعون لتجنب التكرار.

---

[1] المستدرك على الصحيحين – للحاكم النيسابوري – كتاب التفسير – تفسير سورة التحريم – ج2/ص539/ح3836، يقول الإمام الذهبي: صحيح.

الفصل الثاني

نماذج من المدح والثناء في السياق القرآني

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ثناء الله على أولي العزم من الرسل.

المبحث الثاني: أمثلة ثناء الله على رسله من غير أولي العزم.

المبحث الثالث: ثناء العباد على بعضهم.

المبحث الأول: ثناء الله على أولي العزم من الرسل

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: ثناء الله على نوح عليه السلام.

المطلب الثاني: ثناء الله على إبراهيم عليه السلام.

المطلب الثالث: ثناء الله على موسى عليه السلام.

المطلب الرابع: ثناء الله على عيسى عليه السلام.

المطلب الخامس: ثناء الله على محمد عليه السلام.

المبحث الأول

ثناء الله على أولي العزم[1] من الرسل

مدح الله ﷻ جميع الرسل والأنبياء دون استثناء، وخص منهم **أولي العزم من الرسل،** بما امتازوا به على غيرهم من صفة الصبر على الدعوة ، وتحمل أذى أقوامهم، وهذا يظهر جلياً في قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ {الأحقاف/35}

ففي هذه الآية الكريمة "الوعظ والنصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم؛ وذلك لأن الكفار كانوا يؤذونه ويوجسون صدره"[2]

يقول الإمام البيضاوي: "فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل: أولوا الثبات والجد منهم فإنك من جملتهم، ومن للتبيين، وقيل للتبعيض، وأولوا العزم أصحاب الشرائع اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها، ومشاهيرهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى صلى الله وسلم عليهم."[3]

ولقد ذكرهم الله ﷻ جميعاً في قوله تعالى:﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴾ {الأحزاب/7}
والمعنى: "واذكر حين أخذنا من النبيين جميعا ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم ومنك خصوصا ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى..."[4]

ويذكر الإمام الجوزي سؤالاً يقول فيه:" لِمَ خصَّ الأنبياءَ الخمسة بالذِّكْر دون غيرهم من الأنبياء؟ ثم يجيب عليه بقوله: أنه نبَّه بذلك على فضلهم، لأنهم أصحاب الكتب والشرائع وقدَّم نبيَّنا صلى الله عليه وسلّم بياناً لفضله عليهم."[5]

---

[1] "العَزْمُ: الجِدُّ، عَزَمَ عَلَى الأَمر يَعْزِمُ عَزْماً ومَعْزَماً ومَعْزِماً وعُزْماً وعَزِيماً وعَزِيمةً وعَزْمَةً واعْتَزَمَه واعْتَزَمَ عَلَيْهِ: أَراد فِعْلَه... وَالْعَرَبُ تَقُولُ: مَا لِفلان عَزِيمةٌ أَيْ لَا يَثْبُت عَلَى أمرٍ يَعْزِم عَلَيْهِ...والعَزْمِيُّ مِنَ الرِّجَالِ: المُوفي بِالْعَهْدِ... والعَزْمُ: الصَّبْرُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ آدمَ: ﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴾ {طه115} وقِيلَ: العَزْمُ والعَزِيمةُ هُنَا الصَّبرُ" (لسان العرب – لابن منظور – ج12/ص399 – 400)

[2] التفسير الكبير – الرازي – ج28/ص30

[3] أنوار التنزيل وأسرار التأويل – ج5/ص117

[4] الكشاف – للزمخشري – ج3/ص524

[5] زاد المسير في علم التفسير – ج3/ص449

وسوف يتحدث الباحث في هذا المبحث عن أولي العزم من الرسل، الذين ذكرتهم الآية الكريمة – آنفة الذكر – ويتمثل في خمسة مطالب.

المطلب الأول: ثناء الله على نوح عليه السلام:

هو أول الرسل، وثاني الأنبياء، صبر على دعوة قومه ألف سنة إلا خمسين عام، أنجاه الله تعالى ومن معه من الطوفان العظيم، فكان من عباد الله المحسنين الشاكرين، حيث وصفه تبارك وتعالى بالعبد الشاكر لنعمه ﷻ قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ {الإسراء/3}

والمعنى: "يا ذرية من حملنا مع نوحٍ لا تشركوا... ثم يبين الله ﷻ أن نوحاً عليه السلام كان عبدا شكورا يشكر الله ﷻ على نعمه ولا يرى الخير إلا من عنده... قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: لأنه كان يحمد الله على طعامه."[1]

يقول الشيخ علوان: "إن نوحاً عليه السلام كان عبداً شكوراً مبالغاً في أداء الشكر مواظباً عليه على وجه الخضوع والخشوع."[2]

ويقول الإمام السعدي في فاصلة الآية: "فيه التنويه بالثناء على نوح عليه السلام بقيامه بشكر الله تعالى، واتصافه بذلك والحث لذريته أن يقتدوا به في شكره ويتابعوه عليه، وأن يتذكروا نعمة الله عليهم إذ أبقاهم واستخلفهم في الأرض وأغرق غيرهم."[3]

ويقول الإمام الطاهر بن عاشور:"ومعنى كون نوح عبداً، أنه معترف لله بالعبودية غير متكبر بالإشراك، وكونه شكوراً، أي شديدا لشكر الله ﷻ، بامتثال أوامره، وروي أنه كان يكثر حمد الله سبحانه وتعالى."[4]

ومن الآيات الكريمة التي أثنت على نوح عليه السلام في حياته ومماته، وبشهادة قومه وسائر الأمم، قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ {الصافات/78-81}

---

[1] الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – ج10/ ص213

[2] الفواتح الإلهية – ج1/ص446

[3] تيسير الكريم الرحمن – ص/453

[4] التحرير والتنوير – ج15/ص27

والمعنى: وأبقينا عليه ذكراً جميلاً وثناءً حسناً في كل أمة فيمن جاء بعده، فإنه محبب إلى الجميع، فأمان لنوح ﷺ وسلامة له من أن يذكر بسوء في الآخرين في أمة محمد ﷺ، وغيرها من الأمم، بل تثني عليه جميع الأجيال من بعده.

فمثل جزاء نوح ﷺ نجزي كل من أحسن من العباد في طاعة الله ﷻ، فنبقي عليهم الثناء الحسن؛ وذلك لكونه ﷺ من عبادنا المصدقين المخلصين العاملين بأوامر الله ﷻ.[1]

ويقول الإمام الرازي: "لما شرح سبحانه وتعالى تفاصيل إنعامه عليه قال:﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ والمعنى: أنا إنما خصصنا نوحا ﷺ بتلك التشريفات الرفيعة من جعل الدنيا مملوءة من ذريته ومن تبقية ذكره الحسن في ألسنة جميع العالمين لأجل أنه كان محسنا، ثم علل كونه محسنا بأنه كان عبدا لله مؤمنا، والمقصود منه بيان أن أعظم الدرجات وأشرف المقامات الإيمان بالله والانقياد لطاعته."[2]

ويقول الإمام السعدي: "جعل الله ﷻ لنوح ﷺ ثناء حسنا مستمرا إلى وقت الآخرين، وذلك لأنه محسن في عبادة الخالق، محسن إلى الخلق، وهذه سنته تعالى في المحسنين، أن ينشر لهم من الثناء على حسب إحسانهم."[3]

فبإيمان وصدق وإخلاص نوح ﷺ، وشكره لله تعالى على ما أنعم عليه من النعم، استحق الثناء من الله ﷻ، ومن جميع الأمة الإسلامية، في حياته ومماته.

المطلب الثاني: ثناء الله على إبراهيم عليه السلام:

هو من وصف بالخيار، وبالكريم، وبرقة قلبه، وصبره على أذى قومه، فهو أمة باتصافه بجميع الصفات الحميدة، وهو أقرب المقربين إلى من اصطفاه وأكرمه بوصفه خليلا، قال تعالى:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾{النساء/125}

ففي هذه الآية الكريمة يخبر الله سبحانه وتعالى أنه: لا أحد أحسن دينا ممن أخلص مقصده وتوجهه واستسلم فى عموم أحواله لله بالله، وأحسن في أعماله بفعل الصالحات، فلم يدخر

---

[1] انظر: (بحر العلوم) – للسمرقندي – ج3/ص144 ، (الجامع لأحكام القرآن) – للقرطبي – ج 15/ص90

[2] التفسير الكبير – ج26/ص 340

[3] تيسير الكريم الرحمن – ص/705

شيئا عن الله لا من ماله ولا من جسده، ولا من روحه، واتبع الحنفية الموافقة لدين الإسلام المتفق على صحتها وقبولها، التي هي ملة إبراهيم عليه السلام، الذي اصطفاه تبارك وتعالى وخصه بكرامات تشبه كرامات الخليل عند خليله، وإظهاره عليه السلام في مواقع الإضمار لتفخيم شأنه والتنصيص على أنه الممدوح، كما وفي هذه الآية الكريمة الترغيب في اتباع ملته عليه السلام فإن من بلغ من الزلفى عند الله تعالى مبلغا مصححا لتسميته خليلا حقيق بأن يكون اتباع طريقته أهم مايمتد إليه أعناق الهمم وأشرف ما يرمق نحوه أحداق الأمم.[1]

أقوال العلماء في فاصلة الآية: ﴿...وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾

يقول الإمام بن عجيبة: "اصطفاه جل جلاله وخصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله، وإنما أعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على أنه الممدوح، وسمي خليلا؛ لأنه قد تخللت محبة الله جل جلاله في جميع أجزائه."[2]

ويقول الإمام المراغي: "اصطفاه الله لإقامة دينه في بلاد غلبت عليها الوثنية، وأفسد الشرك عقول أهلها، وقد بلغ من الزلفى عند ربه ما صح به أن يسمى خليلا، فقد اختصه بكرامة ومنزلة تشبه الخليل لدى خليله، ومن كانت له هذه المنزلة كان جديرا أن تتّبع ملّته وتأتسي طريقته."[3]

ويقول الإمام السعدي: "والخلة أعلى أنواع المحبة، وهذه المرتبة حصلت للخليلين محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وأما المحبة من الله فهي لعموم المؤمنين، وإنما اتخذ الله إبراهيم خليلا؛ لأنه وفيٌ بما أُمِرَ به وقام بما ابتلي به، فجعله الله إماما للناس، واتخذه خليلا ونوه بذكره في العالمين."[4]

ويقول الإمام الطاهر بن عاشور: "عطف ثناء إبراهيم على مدح من اتبع دينه؛ زيادة تنويه بدين إبراهيم، فأخبر أن الله جل جلاله اتخذ إبراهيم خليلا، والخليل في كلام العرب الصاحب الملازم الذي لا يخفى عنه شيء من أمور صاحبه ... ومعنى اتخاذ الله إبراهيم خليلا شدة رضا

---

[1] انظر: (لطائف الإشارات) – للقشيري – ج1/ص367 ، (المحرر الوجيز) – لابن عطية – ج2/ص117 ، (إرشاد العقل السليم) – لأبي السعود – ج2/ص236

[2] البحر المديد – ج1/ص565

[3] تفسير المراغي – ج5/ص167

[4] تيسير الكريم الرحمن – ص/206

الله ﷻ عنه، إذ قد علم كل أحد أن الخلة الحقيقية تستحيل على الله فأريد لوازمها وهي الرضا، واستجابة الدعوة، وذكره بخير، ونحو ذلك."[1]

ويقول الإمام الزحيلي: "امتن الله ﷻ على إبراهيم ﷺ بسلامة الفطرة والاعتقاد، وقوة العقل وصفاء الروح، وكمال المعرفة بالله، وشدة العزيمة وعلو الهمة في محاربة الوثنية والشرك، حتى صار من أولي العزم، فهو خليل الرحمن، عدو الشيطان."[2]

ومن الآيات الكريمة التي تثني على صبر إبراهيم ﷺ، وكثرة دعائه بالخير قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾{التوبة/114}

جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة عن عليَّ بن أبي طالب ﷺ قالَ: سمعتُ رجلاً يستغفرُ لأبويهِ، وهما مشركانِ، فقلتُ: لا تستغفِرْ لأبويكَ، وهما مشركانِ. فقالَ: أليسَ قدِ استغفرَ إبراهيمُ ﷺ لأبيهِ وهوَ مشركٌ؟ فذكرتُهُ للنبيِّ ﷺ فنزلتْ:﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ[3] حَلِيمٌ﴾{التوبة/113 - 114}[4]

والمعنى: "وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه بقوله:﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾{مريم/47} أي لأطلبن مغفرتك بالتوفيق للإيمان فإنه يجب ما قبله ... فلما تبين له أنه عدو لله ﷻ بأن مات على الكفر، أوحي إليه بأنه لن يؤمن تبرأ منه فقطع استغفاره، إن إبراهيم لأواه لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه، حليم صبور على الأذى."[1]

---

[1] التحرير والتنوير – ج5/ص211

[2] التفسير المنير – ج5/ص287

[3] وآوَّهْ وأَوَّهُ وآووه، بالمدّ وواوين، وأَوْهِ، بِكَسْرِ الْهَاءِ خَفِيفَةٌ، وأَوْهَ وآهِ، كُلُّهَا: كَلِمَةٌ مَعْنَاهَا التحزُّن. وأَوْهِ مِنْ فُلَانٍ إِذا اشتدَّ عَلَيْكَ فَقْدُه،... وَقَوْلُهُمْ عِنْدَ الشِّكَايَةِ: أَوْهِ مِنْ كَذَا، سَاكِنَةُ الْوَاوِ، إِنما هُوَ تَوَجُّعٌ. (لسان العرب – لابن منظور – ج13/ص472-473)

[4] المستدرك على الصحيحين – للحاكم النيسابوري – كتاب التفسير – تفسير سورة التوبة – ج2/ص365/ح3289، يقول الإمام الذهبي: صحيح.

[1] أنوار التنزيل وأسرار التأويل – للبيضاوي – ج3/ص100

يقول الإمام إسماعيل الخلوتي في إبراهيم عليه السلام: "انه مترحم متعطف ولفرط رحمته ورأفته كان يتعطف لأبيه الكافر، حَلِيمٌ صبور على الأذية، ولذلك كان يحلم على أبيه ويتحمل أذاه ويستغفر له مع صعوبة خُلُقِه وغلظ قلبه..."[2]

ويقول الإمام السعدي: "إن إبراهيم عليه السلام رجاع إلى الله في جميع الأمور، كثير الذكر والدعاء، والاستغفار والإنابة إلى ربه، وأيضاً حليم، فهو ذو رحمة بالخلق، وصفح عما يصدر منهم إليه، من الزلات، لا يستفزه جهل الجاهلين، ولا يقابل الجاني عليه بجرمه، فأبوه قال له: ﴿... لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ {مريم/46} وهو يقول له: ﴿... سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ {مريم/47}"[3]

كما وصفه النبي ﷺ بالكرم حيث جاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ "**الكريم بن الكريم بن الكريم بن الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إبراهيم صلواتُ اللهِ عليهِمْ**"[4]

نعم فهو كريم في أقواله وأفعاله ووجدانه، لا يتباطأ في تطبيق أوامر الله تعالى حتى وإن كان الأمر يتعلق بترك الابن – الوحيد الوليد – والزوجة في الصحراء، أو بذبح الإبن، أو التبرؤ من الأب، لقد ذبح إبراهيم عليه السلام محبة جميع من يحبهم من البشر في مقابل إفراد محبة الله جل جلاله، فاستحق أن ينال رضا الله سبحانه وتعالى ويتخذه خليلاً .

المطلب الثالث: ثناء الله على موسى عليه السلام:

نال معية الله جل جلاله وهو في أحشاء أمه، صبر على أذى ودعوة قومه من بني إسرائيل، فكان عند الله جل جلاله عظيم القدر والجاه، وهو مصطفى مُختار برسالات الله جل جلاله وبتكليمه له حيث قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ {الأعراف/144}

ففي هذه الآية الكريمة تسليه لموسى عليه السلام من عدم الإجابة إلى سؤال رؤية الله تعالى، كأنه قيل له: إن منعتك الرؤية فقد أعطيتك من النعم العظام ما لم أعط أحدا من العالمين، فاغتنمها وثابر على شكرها، ومن هذه النعم أني اخترتك واتخذتك صفوة، وآثرتك على الناس

---

[2] روح البيان – ج3/ص523

[3] تيسير الكريم الرحمن – ص/353

[4] صحيح ابن حبان – كتاب الحظر والإباحة – باب التفاخر – ج13/ص92/ح5776 ، يقول الإمام شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن

المعاصرين لك في زمانك – وهارون وإن كان نبيا كان مأمورا بإتباعك، وما كان كليما ولا صاحب شرع – برسالاتي أي بأسفار التوراة، وبتكليمي إياك بغير واسطة، فخذ ما أعطيتك من شرف النبوة والحكمة والتكليم، وكن من الشاكرين على ما أعطيت من جلائل النعم.[1]

"وهكذا يرجع موسى عليه السلام بهذا العطاء الجزيل، وهذا الفضل الكبير، لقد اصطفاه الله جل جلاله واختاره من بين قومه، وجعله رسولا إليهم برسالاته، وهى ما ضمت عليه التوراة من أسفار، وأسمعه كلامه من غير واسطة، وكلها نعم وأفضال، لا يفي بها شكر الشاكرين، وحمد الحامدين، ومع هذا فإن الله جل جلاله يقبل شكر الشاكرين، ويرضاه لهم."[2]

يقول الإمام الطاهر بن عاشور في موسى عليه السلام: "هو مفضل على الناس يومئذ لأنه رسول، ولتفضيله بمزية الكلام، وقد يقال إن موسى أفضل جميع الناس الذين مضوا يومئذ، وعلى الاحتمالين: فهو أفضل من أخيه هارون؛ لأن موسى أرسل بشريعة عظيمة، وكلمه الله جل جلاله، وهارون أرسله الله جل جلاله معاونا لموسى ولم يكلمه الله، ولذلك قال: برسالتي وبكلامي"[3]

ويقول الإمام الزحيلي: "ثم طيب الله جل جلاله خاطر موسى عليه السلام وأبان له مكانته، فقال له: يا موسى إني اخترتك على ناس زمانك وآثرتك عليهم بتكليمي إياك وبإعطائك رسالاتي المتنوعة، فخذ ما أعطيتك من الشريعة وهي التوراة، وكن من جماعة الشاكرين نعمي، المظهرين لإحساني إليك وفضلي عليك."[4]

ومن الآيات الكريمة التي تثني على إخلاص موسى عليه السلام في دعوته لقومه، وتبرز مكانته عليه السلام عند الله تعالى، قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ {مريم/51 - 52}

والمعنى: واذكر يا محمد ﷺ في الكتاب المنزل عليك موسى عليه السلام، إنه كان موحدا أخلص عبادته عن الشرك والرياء، وأسلم وجهه لله تعالى، فهو رسول نبي، أرسله الله تعالى إلى

---

[1] انظر: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) – للبيضاوي – ج3/ص34 ، (إرشاد العقل السليم) – لأبي السعود – ج3/ص270 ، (البحر المديد) – لابن عجيبة – ج2/ص259

[2] التفسير القرآني للقرآن – للخطيب – ج5/ص478

[3] التحرير والتنوير – ج9/ص95

[4] التفسير المنير – ج9/ص85

الخلق فأنبئهم عنه تعالى، كما وكلمه من ناحية جبل الطور _ وهو جبل بين مصر ومدين _ كما وقربناه تقريب تشريف.[1]

ويقول الإمام سيد قطب: "فَيَصِفُ موسى بأنه كان مخلصاً استخلصه الله له ومحصَّه لدعوته، فكان رسولاً نبياً...كما ويبين ﷻ فضل موسى بندائه من جانب الطور الأيمن – الأيمن بالنسبة لموسى إذ ذاك – وتقريبه إلى الله ﷻ لدرجة الكلام القريب في صورة مناجاة، ونحن لا ندري كيف كان هذا الكلام، وكيف أدركه موسى عليه السلام..."[2]

ويبين الإمام الطاهر بن عاشور أن الله وصف موسى عليه السلام بالمخلص؛ وذلك لمزيتين:
أولاً: أنه أخلص في الدعوة إلى الله ﷻ فاستخف بأعظم جبار وهو فرعون، وجادله مجادلة الأكْفَاءِ، كما حكى الله ﷻ عنه في قوله تعالى:﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾...قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾
{الشعراء/18 – 20}
وكذلك ما حكاه الله عنه بقوله:﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ {القصص/17}
فكان الإخلاص في أداء أمانة الله تعالى ميزته.
ثانياً: أن الله ﷻ اصطفاه لكلامه مباشرة قبل أن يرسل إليه الملك بالوحي، فكان مخلصا بذلك، أي مصطفى؛ لأن ذلك مزيته قال تعالى:﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ {طه/41}
والجمع بين وصف موسى أنه رسول ونبي لتأكيد الوصف، وعطف نبياً على رسولاً مع أن الرسول بالمعنى الشرعي أعم من النبي، للإشارة إلى أن رسالته بلغت مبلغا قويا.[3]

فبصبر موسى عليه السلام على الطاغية فرعون، وعلى دعوة المعاندين من بني إسرائيل، استخلصه الله تعالى للدعوة، وخصه بكلامه مباشرة دون وسيط.

---

[1] انظر: (أنوار التنزيل) – للبيضاوي – ج4/ص13 ، (إرشاد العقل السليم) – لأبي السعود – ج5/ص269 – 270

[2] في ظلال القرآن – ج4/ص2313

[3] التحرير والتنوير – ج16/ص127 "بتصرف"

المطلب الرابع: ثناء الله على عيسى عليه السلام:

أثنى الله ﷻ على عيسى عليه السلام في أمور عديدة، فهو رسول ابن صديقة، بينه وبين آدم عليه السلام قاسم مشترك وهو (الخلق دون أب)، جعله الله تبارك وتعالى مباركاً ووجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين، كما ووصفه بالصلاح حيث قال تعالى:﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ {آل عمران/45 – 46}

والمعنى: اذكر أيها النبي هذه البشارة من – جبريل عليه السلام – لمريم، عليها السلام، بأن سيولد منها ولد عظيم، له شأن كبير، وهذا الولد يكون وجوده بكلمة من الله، أي: بقوله له: "كن" فيكون، من غير بَعْل ولا فَحل و﴿ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ فسيكون مشهورا بهذا الاسم واللقب والكنية في الدنيا، يعرفه المؤمنون بذلك، فنسب بـ﴿ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ نسبة إلى أمه، حيث لا أب له، وبذلك نفى عنه ما قاله ملاحدة النصارى أنه ابن الله ﷻ، ومن صفات هذا الولد العظيم أنه ﴿ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ أي: له وَجْهٌ ووجاهة ومكانة عالية وشرفٌ وكرامة عند الله في الدنيا، بما يوحيه الله إليه من الشريعة، وينزل عليه من الكتاب، وغير ذلك مما منحه به، وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه، فيقبل منه، أسوة بإخوانه من أولي العزم، صلوات الله عليهم.

كما ومن صفاته أنه ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ أي: يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، في حال صغره، وفي حال كهولته حين يوحي الله إليه بذلك، معجزة وآية، وأيضاً موصوف بالصلاح في قوله وعمله، له علم صحيح وعمل صالح.[1]

ويبين الإمام الرازي وجوه كونه – عيسى عليه السلام – من المقربين وهي كالآتي:

"أحدها: أنه تعالى جعل ذلك كالمدح العظيم للملائكة فألحقه بمثل منزلتهم ودرجتهم بواسطة هذه الصفة.

وثانيها: أن هذا الوصف كالتنبيه على أنه عليه السلام سيرفع إلى السماء وتصاحبه الملائكة.

وثالثها: أنه ليس كل وجيه في الآخرة يكون مقربا لأن أهل الجنة على منازل ودرجات، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ ...وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ {الواقعة/7 – 11}"[2]

---

[1] انظر: (جامع البيان) – للطبري – ج6/ص412– 415 ، (تفسير القرآن العظيم) – لابن كثير – ج2/ص43

[2] التفسير الكبير – ج8/ص224

كما ويوضح الإمام المراغي وجاهته – عيسى عليه السلام – في الدنيا والآخرة وذلك كالآتي:
أولاً: وجاهته في الدنيا: لِما له من المكانة في القلوب والاحترام في النفوس، فمنزلته في نفوس المؤمنين به لا تعدلها منزلة أخرى، وما جاء به من الإصلاح قد بقي أثره بعد، وهذه الوجاهة أجل شأنا من وجاهة الأمراء والملوك الذين يحترمون لدفع أذاهم واتقاء شرهم، أو لمداهنتهم والتزلف إليهم رجاء شيء مما في أيديهم من متاع الحياة، وهذه وجاهة صورية لا أثر لها في النفوس إلا الكراهة والبغضاء.
ثانياً: وجاهته في الآخرة بكونه ذا مكانة عليّة ومنزلة رفيعة يراه الناس فيها ويعلمون قربه من ربه.

وأيضاً يبين الإمام المعاني والفوائد المستفادة من قوله تعالى:﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي إنه يكلم الناس حال الطفولة وحال الكهولة، وفي هذا بشارة بأنه يعيش حتى يكون رجلا سويا، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان كلامه في المهد لحظة، بما قصه الله عز وجل علينا، ثم لم يتكلم حتى بلغ أوآن الكلام...
ويخلص الإمام إلى أن في كلامه عليه السلام للناس وهو طفل في المهد دلالة على براءة أمه مما قذفها به المفترون عليها، وحجة على نبوته...أما قوله تعالى:﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي ومعدودا من الصالحين الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين الذين تعرف مريم سيرتهم.[1]

ويقول الإمام سيد قطب: "وهكذا بشرت الملائكة مريم عليها السلام بكلمة من الله عز وجل اسمه المسيح عيسى بن مريم، فتضمنت البشارة: نوعه، وتضمنت اسمه ونسبه، وظهر من هذا النسب أن مرجعه إلى أمه، ثم تضمنت البشارة كذلك صفته ومكانه من ربه:﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾، كما تضمنت ظاهرة معجزة تصاحب مولده﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ ولمحة من مستقبله:﴿وَكَهْلًا﴾ وسمته والموكب الذي ينتسب إليه:﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾."[2]

ويقول الإمام محمد الحجازي: "اسمه المسيح الذي جاء فرفع الظلم وأنار لقومه الطريق وحملهم على الأخوة الصادقة وكانت مملكته روحانية لا جسدية، والمسيح لقب لعيسى ابن مريم من ألقاب المدح، وإنما وصف عيسى بابن مريم مع أن الخطاب معها؛ تسجيلا لوصفه بهذا في كل وقت وزمان وردّا على من ألّهه من أول الأمر، ولبيان أنه ولو كان من غير أب فهو منسوب

---

[1] تفسير المراغي – ج3/ص155 – 156 "بتصرف يسير"
[2] في ظلال القرآن - ج1/ص398

لها تكريما وبيانا لمكانتها وهو ذو وجاهة في الدنيا عند أتباعه والمؤمنين به، وفي الآخرة عند الله من النبيين أولى العزم والرسل المقربين، ومن أوصافه أنه يكلم الناس في المهد رضيعا حتى يدافع عن أمه، وعند تمام رجولته، وكلامه تام موزون موفق في كل حال، وهو من الصالحين الذين أنعم الله عليهم وأصلح حالهم."[1]

ومن الآيات الكريمة التي تبين المكانة العالية، والصفات السامية لعيسى عليه السلام، ما جاء على لسانه في معرض رده على من اتهم أمه بالزنا، قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ {مريم/30 – 33}

ففي هذه الآية الكريمة أنطق الله جل جلاله عيسى عليه السلام، تحقيقاً للحق في شأنه، وتنزيهاً لله تعالى عن الولد، وردا على النصارى الذين يزعمون ربوبيته ونبوته، ثم أخبر قومه بأن الله تعالى آتاني الكتاب وهو الإنجيل، وأكرمني بأن جعلني نبياً، كما وجعلني مباركاً أين ما كنت أي كثير الخير، معلما للخلق حيثما وجدت، أبلغ وحي ربي لتقوم النفوس وكبح الشهوات والأخذ بما هو مناط السعادات، وأمرني بإتمام الصلاة وإعطاء الزكاة مدة حياتي، ورحيما بوالدتي، ولم يجعلني مستكبرا عن طاعته وأمره، والسلام علي من الله عز وجل حين ولدت، وحين أموت، وحين أبعث حيا يوم القيامة، فكلمهم بهذا ثم سكت، فلم يتكلم حتى كان قدر ما يتكلم الغلمان.[2]

ويبين الإمام الطاهر بن عاشور كونه عليه السلام مباركاً: ذلك أن الله أرسله رحمة لبني إسرائيل ليحل لهم بعض الذي حرم عليهم وليدعوهم إلى مكارم الأخلاق بعد أن قست قلوبهم وغيروا من دينهم، فهذه أعظم بركة تقارنه، ومن بركته أن جعل الله جل جلاله حلوله في المكان سببا لخير أهل تلك البقعة من خصبها واهتداء أهلها وتوفيقهم إلى الخير، ولذلك كان إذا لقيه الجهلة والقساة والمفسدون انقلبوا صالحين وانفتحت قلوبهم للإيمان والحكمة، ولذلك ترى أكثر الحواريين كانوا من عامة الأميين من صيادين وصباغين فصاروا دعاة هدى وفاضت ألسنتهم بالحكمة...
وقد خصه الله تعالى ببر أمه من بين قومه؛ لأن بر الوالدين كان ضعيفا في بني إسرائيل يومئذ، وبخاصة الوالدة لأنها تستضعف؛ لأن فرط حنانها ومشقتها قد يجرئان الولد على التساهل في البر بها.

---

[1] التفسير الواضح – ج1/ص233

[2] انظر: (بحر العلوم) – للسمرقندي – ج2/ص373 – 374 ، (محاسن التأوي) – للقاسمي – ج7/ص93

والجبار: المتكبر الغليظ على الناس في معاملتهم... والشقي: الخاسر الذي تكون أحواله كدرة له ومؤلمة، وهو ضد السعيد...ووصف الجبار بالشقي، باعتبار مآله في الآخرة وربما في الدنيا، لكن عيسى عليه السلام لم يكن كذلك.

وقوله: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾، تنويه بكرامته عند الله ﷻ، أجراه على لسانه ليعلموا أنه بمحل العناية من ربه.[1]

ويقول الإمام الشعراوي في قوله تعالى:﴿...وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴾ "نفى عيسى عليه السلام عن نفسه صفة الجبروت والقسوة والتعاظم؛ لأن الرسول لابد أن يكون لين الجانب رفيقاً بقومه؛ لأنه أتى ليخرج الناس مما ألفوه من الفساد إلى ما يثقل عليهم من الطاعة، والإنسان بطبعه حين يألف الفساد يكره من يخرجه عن فساده، فمن الطبيعي أن يتعرض النبي لاستفزاز القوم وعنادهم ومكابرتهم، فلو لم يكن لين الجانب، رقيق الكلمة، يستميل الأذن لتسمع والقلوب لتعي ما صلح لهذه المهمة."[2]

ويوضح الإمام الزحيلي الصفات التسع التي أثبتها عيسى عليه السلام لنفسه هي:

1- "﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ﴾ قال عيسى: إني عبد تام العبودية لله الكامل الصفات، الذي لا أعبد غيره، فكان أول ما نطق به الاعتراف بالعبودية لربه، وتبرئته عن الولد، تنبيها للنصارى على خطئهم فيما ادعوه له من الربوبية.

2- ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ أي سينزل علي الإنجيل، وقدر لي وحكم في الأزل أن أكون نبيا ذا كتاب، وقضى أنه يؤتيني الكتاب فيما قضى، وإن لم يكن الكتاب منزلا في الحال.

3- ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴾ أي قدر لي أن أكون نبيا، وفي هذا تبرئة لأمه مما نسب إليها من الفاحشة، لأن الله تعالى لا يجعل الأنبياء أولاد زنى، وإنما هم نخبة عالية من الطهر وصفاء السلالة والمعدن.

4- ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ ﴾ أي صيرني الله نافعاً للعباد، معلما للخير، هاديا إلى الرشاد في أي مكان وجدت، وعبر تعالى عن هذه الصفات بصيغة الماضي إشارة إلى تحققها وحدوثها فعلا في المستقبل.

---

[1] التحرير والتنوير - ج16/ص99 - 100 "بتصرف"

[2] تفسير الشعراوي - ج15/ص9077

5- ﴿وَأَوْصَنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ وأمرني ربي بالصلاة التي تربط العبد بربه وتطهر النفس، وتمنعه عن اقتراف الفاحشة، وأمرني أيضا بزكاة المال التي هي طهرة للمال، وعون للفقير والمسكين، ما دمت على قيد الحياة في الدنيا.

6- ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي﴾ أي وجعلني بارا بوالدتي مريم، وأمرني ببرها وطاعتها والإحسان إليها بعد طاعة ربي؛ لأن الله تعالى كثيرا ما يقرن بين الأمر بعبادته وطاعة الوالدين، وهذا أيضا دليل على نفي الزنى عنها، إذ لو كانت زانية، لما كان الرسول المعصوم مأمورا بتعظيمها.

7- 8- ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ أي ولم يجعلني متعظما عاصيا مستكبرا عن عبادة ربي وطاعته، وبر والدتي، فأشقى بذلك.

9- ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ أي والسلامة علي من كل سوء يوم الميلاد، فلم يضرني الشيطان في ذلك الوقت، ولا أغواني عند الموت، ولا عند البعث، فأنا في أمان لا يقدر أحد على ضري في هذه الأوقات الثلاثة، وهذا إثبات منه لعبوديته لله عز وجل، وأنه مخلوق من خلق الله الذي يحيى ويموت ويبعث كسائر الخلائق، ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد."[1]

فعيسى عليه السلام يمتلك الصفات العديدة الفريدة، فهو ذو شرف ومكانة كريمة في الدنيا والآخرة، وهو الداعية إلى الله تعالى في حال صغره وكهولته، كما وأنه بمعية وحماية الله تعالى من حين ولادته، وكذلك حين موته، وأيضاً عند بعثه، فهو كريم عند ربه تبارك وتعالى.

المطلب الخامس: ثناء الله على محمد عليه الصلاة والسلام:

أرسله الله ﷻ للناس كافة، كذب وأوذي وعذب، فصبر على الدعوة إلى الإسلام، والجهاد في سبيل الله ﷻ، فاستحق الثناء من الله تعالى، وأن يعطيه حتى يرضيه، وأن يرزقه المقام المحمود في الجنة، وأن يذكر اسمه في كل مكان وزمان يذكر فيه اسم الله ﷻ، كما ووصفه بالأخلاق السامية الكريمة الحميدة، حيث قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ {القلم/4}

---

[1] التفسير المنير - ج16/ص83-84

ويظهر معنى (الخلق العظيم) بما جاء عن أم المؤمنين، أن سعدِ بنِ هشامٍ،[1] قالَ: سألتُ عائشةَ، فقلتُ: أخبرينِي عَنْ خُلُقِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم؟ فقالت: "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ"[2]

وقال الإمام علي ﷺ: "الخلق العظيم أدب القرآن"، وعبر ابن عباس عن الخلق بالدين والشرع ... والظاهر من الآية أن لفظة الخلق هي التي تضاد مقصد الكفار في قولهم بأنه مجنون، غير مدرك لما يقول، وإنما مدحه تعالى بكرم السجية وبراعة القريحة والملكة الجميلة...[3]

ويعلق الإمام الرازي على حديث أم المؤمنين عائشة بقوله: "وهذا إشارة إلى أن نفسه المقدسة كانت بالطبع منجذبة إلى عالم الغيب، وإلى كل ما يتعلق بها، وكانت شديدة النفرة عن اللذات البدنية والسعادة الدنيوية بالطبع ومقتضى الفطرة، اللهم ارزقنا شيئا من هذه الحالة.

ويعقد الإمام مقارنة بين القوة النظرية والعلمية للنبي ﷺ حيث يقول: "إن الله تعالى وصف ما يرجع إلى قوته النظرية بأنه عظيم، فقال: ﴿...وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ {النساء/113}، ووصف ما يرجع إلى قوته العلمية بأنه عظيم فقال:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ فلم يبق للإنسان بعد هاتين القوتين شيء، فدل مجموع هاتين الآيتين على أن روحه فيما بين الأرواح البشرية كانت عظيمة عالية الدرجة، كأنها لقوتها وشدة كمالها كانت من جنس أرواح الملائكة."[4]

وأيضاً يعلق الإمام ابن كثير على حديث أم المؤمنين عائشة بقوله: "ومعنى هذا أنه عليه السلام، صار امتثال القرآن، أمراً ونهياً، سجية له، وخلقا تطبعه، وترك طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة، والصفح والحلم، وكل خلق جميل."[5]

---

[1] سعد بن هشام بن عامر الأنصاري، قال النسائي وابن حبان: ثقة، وقيل: إنه قتل بأرض مُكران غازياً وهي بلدة بالهند، انظر: (تهذيب التهذيب – لابن حجر العسقلاني – ج3/ص483)

[2] مسند الإمام أحمد – مسند النساء – مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها – ج42/ص183ح25302 ط الرسالة، يقول شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[3] المحرر الوجيز – لابن عطية – ج5/ص346 "بتصرف"

[4] التفسير الكبير – ج30/ص602

[5] تفسير القرآن العظيم – ج8/ص189

ويقول الإمام سيد قطب: "وتتجاوب أرجاء الوجود بهذا الثناء الفريد على النبي الكريم ويثبت هذا الثناء العلوي في صميم الوجود! ويعجز كل قلم، ويعجز كل تصور، عن وصف قيمة هذه الكلمة العظيمة من رب الوجود، وهي شهادة من الله، في ميزان الله، لعبد الله، يقول له فيها: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ومدلول الخلق العظيم هو ما هو عند الله مما لا يبلغ إلى إدراك مداه أحد من العالمين! ودلالة هذه الكلمة العظيمة على عظمة محمد ﷺ تبرز من نواح شتى:

1 – تبرز من كونها كلمة من الله الكبير المتعال، يسجلها ضمير الكون، وتثبت في كيانه، وتتردد في الملأ الأعلى إلى ما شاء الله ﷻ.

2– وتبرز من جانب آخر، من جانب إطاقة محمد ﷺ لتلقيها، وهو يعلم من ربه هذا، قائل هذه الكلمة، ما هو؟ ما عظمته؟ ما دلالة كلماته؟ ما مداها؟ ما صداها؟ ويعلم من هو إلى جانب هذه العظمة المطلقة، التي يدرك هو منها مالا يدركه أحد من العالمين.

إن إطاقة محمد ﷺ لتلقي هذه الكلمة، من هذا المصدر، وهو ثابت، لا ينسحق تحت ضغطها الهائل– ولو أنها ثناء– ولا تتأرجح شخصيته تحت وقعها وتضطرب، فقد تلقاها في طمأنينة وفي تماسك وفي توازن، هو ذاته دليل على عظمة شخصيته فوق كل دليل، ولقد رويت عن عظمة خلقه في السيرة، وعلى لسان أصحابه روايات منوعة كثيرة، وكان واقع سيرته أعظم شهادة من كل ما روي عنه، ولكن هذه الكلمة أعظم بدلالتها من كل شيء آخر، أعظم بصدورها عن العلي الكبير، وأعظم بتلقي محمد لها وهو يعلم من هو العلي الكبير، وبقائه بعدها ثابتا راسخا مطمئنا، لا يتكبر على العباد، ولا ينتفخ، ولا يتعاظم."[1]

وهذه الأخلاق الكريمة الفاضلة، مطبقة في حياته العملية، متجسدة على أرض الواقع، وذلك بشهادة الشهود من أهل بيته، حيث روي عن أم المؤمنين عائشةَ رضيَ اللهُ عنهَا، قالتْ: "مَا لَعَنَ رسولُ اللهِ ﷺ مُسْلِماً منْ لعنةٍ تذكرُ، ولا ضربَ بيدهِ شيئاً قطُّ إلَّا أنْ يضربَ بهَا فِي سبيلِ اللهِ، وَلَا سُئِلَ عنْ شيءٍ قطُّ فَمَنَعَهُ، إلَّا أنْ يُسْأَلَ مَأْثَمًا كانَ أبعدَ الناسِ مِنْهُ، وَلَا انْتَقَمَ لِنفسِهِ منْ شيءٍ قطُ يُؤْتَى إليهِ إلَّا أنْ تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللهِ فَيَكُونَ لِلَّهِ يَنْتَقِمُ، وَلَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، وكَانَ إِذَا أَحْدَثَ الْعَهْدَ بِجِبْرِيلَ يُدَارِسُهُ كَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ"[2]

---

[1] في ظلال القرآن – ج6/ص3656

[2] المستدرك على الصحيحين – للحاكم النيسابوري – كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين – كتاب آيات رسول الله ﷺ (دلائل النبوة) – ج2/ص670/ح4223، يقول الإمام الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

ويؤكد على هذا الخلق العظيم ما جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: "خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي: أف قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا؟"[1]

بل يتعدى هذا الخلق الكريم ليعم ويشمل غير المسلمين – المؤذين لشخصه عليه السلام – حيث روي عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ،[2] أَنَّ عائشةَ، رضيَ اللهُ عنهَا زَوْجَ النبيِّ ﷺ قالتْ: دخلَ رهطٌ[3] مِنَ اليهودِ على رسولِ اللهِ ﷺ، فَقالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قالتْ عائشةُ: فَفَهِمْتُهَا فقلتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قالتْ: فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "**مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ**" فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، أولمْ تسمَعْ ما قالُوا؟ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "**قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ**"[4]

فحقاً كان خلقه القرآن، كان قرآناً يمشي على الأرض، يعفو ويصفح عمن يسيء إليه، والشواهد على ذلك كثيرة منها: عفوه عن أهل الطائف الذين أدموا قدميه الشريفتين، وعفوه عن أهل مكة – الذين آذوه وعذبوه وآذوا المسلمين – حينما دخلها فاتحاً.

وهنا يلحظ الباحث أن الله تعالى حينما أثنى على النبي ﷺ لم يثني عليه بما قام به من عبادات تطوعية من صلاة وصيام وحج وزكاة...الخ، إنما أثنى عليه بسلوكه العظيم في المعاملات مع الآخرين.

ومن الآيات الكريمة التي تبين علو وعظمة ومكانة النبي محمد ﷺ في كل وقت وحين عند رب العالمين قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ {الشرح/4}

والمعنى: "فلا أُذْكَرُ إلا ذُكِرْتَ معي، وذلك قول: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)."[5] فحيثما ذكر الله تعالى، ذكر الرسول محمد ﷺ.

---

[1] صحيح مسلم – كتاب الفضائل – باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا – ج4/ص1804/ح2309

[2] عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي الأسدي أبو عبد الله المدني، روى عن أبيه وأخيه عبد الله وأمه أسماء بنت أبي بكر وخالته عائشة وعلي بن أبي طالب. انظر: (تهذيب التهذيب – لابن حجر العسقلاني – ج7/ص180 ، سير أعلام النبلاء – لشمس الدين الذهبي – ج5/ص541)

[3] رهط: رَهْطُ الرجلِ: قومُه وَقَبِيلَتُهُ ... والرَّهْطُ: عَدَدٌ يَجْمَعُ مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلى عَشَرَةٍ، وَبَعْضٌ يَقُولُ مِنْ سَبْعَةٍ إِلى عَشَرَةٍ، وَمَا دُونَ السَّبْعَةِ إِلى الثَّلَاثَةِ نَفَرٌ، وَقِيلَ: الرَّهْطُ مَا دُونَ الْعَشَرَةِ مِنَ الرِّجَالِ لَا يَكُونُ فِيهِمُ امرأَة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ...﴾ {النمل/48} فَجَمْعٌ وَلَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ (لسان العرب – لأبن منظور – ج7/ص305)

[4] صحيح البخاري – كتاب الأدب – باب الرفق في الأمر كله – ج8/ص12/ح 6024

[5] جامع البيان – للطبري – ج24/ص494

يقول الإمام المراغي في هذه الآية الكريمة: "وجعلناك عالي الشأن، رفيع المنزلة، عظيم القدر، وأي منزلة أرفع من النبوة التي منحكها الله ﷻ؟ وأي ذكر أنبه من أن يكون لك في كل طرف من أطراف المعمورة أتباع يمتثلون أوامرك، ويجتنبون نواهيك، ويرون طاعتك مغنما، ومعصيتك مغرما، وهل من فخار بعد ذكرك في كلمة الإيمان مع العلىّ الرحمن؟"[1]

ويقول الإمام السعدي في هذه الآية الكريمة: "أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا يذكر الله إلا ذكر معه رسوله صلى الله عليه وسلم، كما في الدخول في الإسلام، وفي الأذان، والإقامة، والخطب، وغير ذلك من الأمور التي أعلى الله بها ذكر رسوله محمد ﷺ.

وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره، بعد الله تعالى، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزا نبياً عن أمته."[2]

ويقول الإمام سيد قطب: "رفعناه في الملأ الأعلى، ورفعناه في الأرض، ورفعناه في هذا الوجود جميعا، رفعناه فجعلنا اسمك مقرونا باسم الله كلما تحركت به الشفاه: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)، وليس بعد هذا رفع، وليس وراء هذا منزلة، وهو المقام الذي تفرد به ﷺ دون سائر العالمين.

ورفعنا لك ذكرك في اللوح المحفوظ، حين قدر الله أن تمر القرون، وتكر الأجيال، وملايين الشفاه في كل مكان تهتف بهذا الاسم الكريم، مع الصلاة والتسليم، والحب العميق العظيم."[3]

فذكره ﷺ بالخير مرفوعا في كل وقت وحين وفي كل الميادين، فقد مدحه كتب الأنبياء السابقين، وذكره كفار قريش بالصادق الأمين، وأثنى عليه جميع المسلمين، وكذلك الجن وملائكة الرحمن، فهو صاحب الخلق العظيم بشهادة الله الرب الكريم.

---

[1] تفسير المراغي – ج30/ص189

[2] تيسير الكريم الرحمن – ص/929

[3] في ظلال القرآن – ج6/ص3930

المبحث الثاني

أمثلة ثناء الله على رسله من غير أولي العزم

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: ثناء الله على أدم عليه السلام.

المطلب الثاني: ثناء الله على إدريس عليه السلام.

المطلب الثالث: ثناء الله على إسماعيل عليه السلام.

المطلب الرابع: ثناء الله على إسحق ويعقوب عليهما السلام.

المطلب الخامس: ثناء الله على يوسف عليه السلام.

المطلب السادس: ثناء الله على أيوب عليه السلام.

المطلب السابع: ثناء الله على يونس عليه السلام.

المطلب الثامن: ثناء الله على داوود عليه السلام.

المطلب التاسع: ثناء الله على سليمان عليه السلام.

المبحث الثاني

أمثلة ثناء الله على رسله من غير أولي العزم

قُدِمَ أولو العزم من الرسل على غيرهم من سائر الرسل والأنبياء، في المدح والثناء؛ وذلك لأنهم كانوا أكثر صبراً على أقوامهم، سواء في الدعوة إلى الله تعالى أم في تحمل الأذى، لكن الثناء موصول أيضاً إلى جميع الرسل دون استثناء، فجميعهم أمناء مؤتمنون في تبليغ الوحي ، وجميعهم معصومون من الله تعالى عن الوقوع في الكبائر، فهم الذين جاهدوا في سبيل نشر هذا الإسلام العظيم.

وسوف يتحدث الباحث في هذا المبحث عن الرسل من غير أولي العزم، ويتمثل ذلك في تسعة مطالب.

المطلب الأول: ثناء الله على آدم عليه السلام:

خلقه الله تبارك وتعالى بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلمه من علمه، وأسجد له الملائكة، وأسكنه في جنته، واصطفاه بالنبوة، فأثنى عليه تبارك وتعالى حيث قال:﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾{طه/122}

والمعنى: "اصطفاه ربه من بعد معصيته إياه فرزقه الرجوع إلى ما يرضى عنه، والعمل بطاعته، وبذلك كانت توبته التي تابها عليه، وهداه للتوبة، فوفقه لها."[1]

يقول الإمام السمرقندي: "اصطفاه ربه واختاره بالنبوة فتاب عليه، وتجاوز عنه وقبل توبته، وهداه الله تعالى للتوبة بكلمات تلقاها آدم عليه السلام."[2]

ويقول الإمام الرازي: "اصطفاه فتاب عليه، وعاد عليه بالعفو والمغفرة، وهداه رشده حتى رجع إلى الندم والإستغفار، وقبل الله منه ذلك."[3]

---

[1] جامع البيان – للطبري – ج18/ص388

[2] بحر العلوم – ج2/ص415

[3] التفسير الكبير – ج22/ص109

وبالنظر إلى الأحاديث النبوية الشريفة يلحظ أن هذه الخطيئة التي قام بها آدم عليه السلام لم تكن إلا بتقدير من الله ﷻ، والدليل على ذلك ما روي عن أَبَي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عِنْدَ رَبِّهِمَا، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، قَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَأَسْكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ، ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الْأَرْضِ، فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ وَأَعْطَاكَ الْأَلْوَاحَ فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا، فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟، قَالَ مُوسَى: بِأَرْبَعِينَ عَامًا، قَالَ آدَمُ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى؟، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ " قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى**"[1]

ويزيد في تبرئة ساحة آدم عليه السلام ما ذهب إليه الإمام الطاهر بن عاشور حيث يقول: "والغواية: ضد الرشد، فهي عمل فاسد أو اعتقاد باطل، وإثبات العصيان لآدم عليه السلام دليل على أنه لم يكن يومئذ نبياً؛ لأنه كان في عالم غير عالم التكليف وكانت الغواية كذلك، فالعصيان والغواية يومئذ: الخروج عن الامتثال في التربية، كعصيان بعض العائلة أمر كبيرها، وإنما كان شنيعا لأنه عصيان أمر الله ﷻ.

وليس في هذه الآية مستند لتجويز المعصية على الأنبياء ولا لمنعها؛ لأن ذلك العالم لم يكن عالم تكليف."[2]

فمعصية آدم عليه السلام كانت بتقدير من الله تعالى، وهي لا تقدح في آدم عليه السلام؛ لأنه – وهو في الجنة – لم يكن في عالم التكليف، أما في الأرض فهو رسول مصطفى من الله ﷻ.

المطلب الثاني: ثناء الله على إدريس عليه السلام:

أثنى الله ﷻ على نبيه إدريس عليه السلام، بما اتصف به من الصبر والصلاح والصدق، كما ورفعه الله تبارك وتعالى قدراً عالياً ومنزلة سامية في الجنان، حيث قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا﴾{مريم/56 – 57}

والمعنى: "واذكر يا محمد ﷺ في كتابنا هذا إدريس عليه السلام، إنه كان صديقا لا يقول الكذب، نبياً نوحي إليه من أمرنا ما نشاء، ورفعناه إلى مكان ذي علو وارتفاع."[3]

---

[1] صحيح مسلم – كتاب القدر – باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام – ج4/ج2043/ح2652

[2] التحرير والتنوير – ج16/ص327

[3] جامع البيان – للطبري – ج18/ص212

ويبين الإمام السعدي أن: ذكر إدريس عليه السلام في القرآن الكريم كان على وجه التعظيم والإجلال، والوصف بصفات الكمال، حيث جمع الله جل جلاله له بين الصديقية، الجامعة للتصديق التام، والعلم الكامل، واليقين الثابت، والعمل الصالح، وبين اصطفائه لوحيه، واختياره لرسالته، كما ورفع الله تعالى ذكره في العالمين، ومنزلته بين المقربين، فكان عالي الذكر، عالي المنزلة.[1]

وأشار الإمام الطاهر بن عاشور إلى اختلاف علماء التفسير في أمر رفع إدريس عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ حيث ذهب جماعة من المفسرين إلى أن الرفع مجازي، والمراد: رفع المنزلة، لما أوتي من العلم الذي فاق به على من سلفه، وهذا ما ذهب إليه الإمام الزحيلي.[2]

وذهب آخرون إلى أن الرفع حقيقي إلى السماء، وعلى هذا فرفعه مثل رفع عيسى عليه السلام، وهذا ما ذهب إليه الإمام الطاهر ابن عاشور.[3]

ويفضل الباحث عدم ترجيح أي من تلك الأقوال؛ وذلك لعدم وجود الأدلة الصحيحة.

ويقول الإمام الشعراوي: "الصديق: هو الذي يبالغ في تصديق ما جاءه من الحق، فيجعل الله له بذلك فرقانا وإشراقا يميز به الحق فلا يتصادم معه شيطان؛ لأن الشيطان قد ينفذ إلى عقلي وعقلك.

أما الوارد من الحق سبحانه وتعالى فلا يستطيع الشيطان أن يعارضه أو يدخل فيه، لذلك فالصديق وإن لم يكن نبيا فهو ملحق بالأنبياء والشهداء، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ {النساء/69}"[4]

ويذكر الإمام الزحيلي الجهود الدعوية للنبي إدريس عليه السلام حيث يقول: "إنه دعا إلى دين الله جل جلاله، والتوحيد وعبادة الخالق، وتخليص النفوس من العذاب في الآخرة بالعمل الصالح في الدنيا، وحض على الزهد في الدنيا والعمل بالعدل، وأمر بالصلاة، وبصيام أيام من كل شهر، وحث على جهاد الأعداء، وأمر بالزكاة معونة للضعفاء، وغلظ في الطهارة من الجنابة والكلب،

---

[1] تيسير الكريم الرحمن – ص/496 "بتصرف يسير"

[2] انظر: (التفسير المنير) – ج16/ص125

[3] انظر: (التحرير والتنوير) – ج16/ص131

[4] تفسير الشعراوي – ج15/ص9127

وحرم المسكر من كل شيء... ثم يعدد الإمام الصفات التي وصفها الله تعالى لإدريس عليه السلام وهي ثلاث صفات:

1- إنه كان صديقا، أي كثير الصدق، قوي التصديق بآيات الله تعالى.

2- وكان رسولاً نبياً، أي موحى إليه بشرع، مأمورا بتبليغه إلى قومه...

3- ورفعه الله مكاناً علياً، أي أعلى قدره، وشرفه بالنبوة، وجعله ذا منزلة عالية...[1]

وجاء في حديث الإسراء أن رسول الله ﷺ مر بإدريس عليه السلام في السماء الرابعة، حيث روي عن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: "...**ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ**،" قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا "**فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ**،" قَالَ اللهُ عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾...[2]

ومن الآيات الكريمة الذاكرة لصبر وصلاح إدريس عليه السلام، قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ {الأنبياء/85 – 86}

والمعنى: "واذكر يا محمد ﷺ عبادنا المصطفين، وأنبياءنا المرسلين بأحسن الذكر، وأثن عليهم أبلغ الثناء، إسماعيل بن إبراهيم، وإدريس، وذا الكفل، نبيين من أنبياء بني إسرائيل، فكل من هؤلاء المذكورين من الصابرين... فهؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قد وصفهم الله عز وجل بالصبر، فدل أنهم وفوها حقها، وقاموا بها كما ينبغي، ووصفهم أيضا بالصلاح، وهو يشمل صلاح القلب، بمعرفة الله عز وجل ومحبته، والإنابة إليه كل وقت، وصلاح اللسان، بأن يكون رطبا من ذكر الله عز وجل، وصلاح الجوارح، باشتغالها بطاعة الله وكفها عن المعاصي، فبصبرهم وصلاحهم، أدخلهم الله برحمته، وجعلهم مع إخوانهم من المرسلين، وأثابهم الثواب العاجل والآجل، ولو لم يكن من ثوابهم، إلا أن الله تعالى نوه بذكرهم في العالمين، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين، لكفى بذلك شرفا وفضلا."[3]

---

[1] (التفسير المنير) – ج16/ص124 – 125

[2] صحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات – ج1/ص145/ح162

[3] تيسير الكريم الرحمن – للسعدي – ص/529

فبصبر إدريس عليه السلام على دعوة قومه، وشدة حرصه على إبعادهم عن الحرام، وقوة تصديقه لآيات الله ﷻ، نال ثناء الله تعالى حيث وصفه بالصدق والصبر والصلاح.

المطلب الثالث: ثناء الله على إسماعيل عليه السلام:

هو أبو العرب، وصف بالخيار، وبالكريم، وبالحليم، والصدق في الوعد، والإخلاص في الدعوة إلى الإسلام، وذو عمل محمود، فاستحق الثناء الجليل من الله ﷻ، قال تعالى:﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴾ {مريم/54 – 55}

والمعنى: واذكر يا محمد ﷺ لقومك صفات أبيهم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، لعلّهم يهتدون بهديه، ويحتذون حذوه، ويتخلقون بمثل ما له من مناقب وفضائل منها:
﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾ فما وعد وعداً إلا وفّى به، حتى وعد أباه بالصبر على الذبح فقال: ﴿... يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾{الصافات/102} فصدق في ذلك ووفّى بما قال وامتثل حتى جاءه الفداء،وخُصَّ إسماعيل عليه السلام بصدق الوعد، مع وجود هذه الخصيصة في سائر الرسل والأنبياء؛ لأنه عليه السلام، عانى في الوفاء بالوعد ما لم يعانه غيره من الأنبياء، فأُثني عليه بذلك،﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ حيث أرسل إلى قومه الذين حلّوا بمكة معه ومع أمه، وكان مرسلا من الله بتبليغ شريعة إبراهيم عليه السلام، فنبأ بها قومه وأنذرهم وخوفهم، وكان يأمر قومه بالصلاة والزكاة، وهما العبادتان المعروفتان،﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾ فعمله محمود فيما كلفه به تبارك وتعالى، غير مقصّر في طاعته.[1]

ففي هذه الآية الكريمة ثناء من الله تعالى على إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليهما السلام، وهو والد عرب الحجاز كلهم بأنه﴿كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾، وفي قوله تعالى:﴿ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴾: هذا أيضا من الثناء الجميل، والصفة الحميدة، والخلة السديدة، حيث كان مثابرا على طاعة ربه آمراً بها لأهله.[2]

---

[1] انظر: (تفسير مقاتل بن سليمان) للأزدي – ج2/ص631 ، (زاد المسير) – ج3/ص135 ، (تفسير المراغي) – للمراغي – ج16/ص62 – 63

[2] انظر: (تفسير القرآن العظيم) – لابن كثير – ج5/ص238 – 240

يقول الإمام سيد قطب: "ومن صفات إسماعيل عليه السلام أنه كان صادق الوعد، وصدق الوعد صفة كل نبي وكل صالح، فلا بد أن هذه الصفة كانت بارزة في إسماعيل بدرجة تستدعي إبرازها والتنويه بها بشكل خاص... ويذكر السياق من أركان العقيدة التي جاء بها الصلاة والزكاة وكان يأمر بهما أهله، ثم يثبت له أنه كان عند ربه مرضيا، والرضا سمة من سمات هذه السورة البارزة في جوها، وهي شبيهة بسمة الرحمة، وبينهما قرابة!"[1]

ويقول الإمام الشنقيطي: "أثنى الله جل جلاله على إسماعيل عليه السلام بأنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا، ومما يبين من القرآن شدة صدقه في وعده: أنه وعد أباه بصبره له على ذبحه ثم وفى بهذا الوعد، ومن وفى بوعده في تسليم نفسه للذبح فإن ذلك من أعظم الأدلة على عظيم صدقه في وعده، قال تعالى:﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ {الصافات/102} فهذا وعده..."[2]

ويعدد الإمام الزحيلي الصفات التي وصفها الله تعالى لإسماعيل عليه السلام وهي أربع صفات:

1- "إنه كان صادق الوعد مشهوراً بالوفاء، مبالغاً بإنجاز ما وعد، فما وعد وعدا مع الله أو مع الناس إلا وفى به، فكان لا يخالف شيئا مما يؤمر به من طاعة ربه، وإذا وعد الناس بشيء أنجز وعده، وناهيك من صدق وعده أنه وعد أباه أن يصبر على الذبح، فوفى بذلك، قائلا:

﴿ ... سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾{الصافات/102} وصدق الوعد من الصفات الحميدة في كل زمان ومكان، وخلفه من الصفات الذميمة، قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ {الصف/2 – 3}...

2- وكان رسولا نبيا جمع الله جل جلاله له بين الوصفين كأبيه وكموسى عليهم السلام، فكان رسولا إلى قومه في مكة، لتبليغهم شريعة إبراهيم، وإخبارهم بما أنزل الله تعالى...وفي هذا دلالة على شرف إسماعيل على أخيه إسحاق؛ لأنه إنما وصف بالنبوة فقط، وإسماعيل وصف بالنبوة والرسالة...

3- وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة أي وكان يأمر أمته وعشيرته وأهله بهاتين العبادتين الشرعيتين المهمتين جدا، فكان صابرا على طاعة ربه...

4- وكان عند ربه مرضيا أي رضياً صالحاً، مرضي العمل غير مقصر في طاعة ربه، فعلى المؤمن الاقتداء به."[3]

---

[1] في ظلال القرآن – ج4/ص2313

[2] أضواء البيان – ج3/ص437

[3] التفسير المنير – ج16/ص121 – 122

كما ووصف الله ﷻ إسماعيل عليه السلام بأنه حليم، وذلك حينما بشر به أباه إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾{الصافات/101}، يقول الإمام الطبري: "يعني: بغلام ذي حلم إذا هو كَبِر، فأما في طفولته في المهد، فلا يوصف بذلك."[1]

فالله تعالى أثنى على إسماعيل عليه السلام وهو في أحشاء أمه بأنه حليم، وفجر له ماء زمزم حينما قضى بإسكانه في واد غير ذي زرع، وفداه بذبح عظيم حينما صدق والده إبراهيم عليه السلام الرؤيا، وكلفه بالرسالة، فكان عليه السلام وفياً صادق الوعد، يأمر بعبادة الله تعالى.

المطلب الرابع: ثناء الله على اسحق ويعقوب عليهما السلام:

وصف الله ﷻ كلاً من الأب إسحاق والابن يعقوب عليهما السلام بالصلاح، والقدوة الحسنة، وفعل الطاعات وترك المحرمات، والإخلاص في طاعة الله ﷻ فهداهم الله تعالى للحق والخير والرشاد حيث قال:﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ...﴾ {الأنعام/84}

والمعنى: "فجزينا إبراهيم عليه السلام على طاعته إيانا، وإخلاصه توحيد ربه، ومفارقته دين قومه المشركين بالله، بأن رفعنا درجته في عليين، وآتيناه أجره في الدنيا، ووهبنا له أولادا خصصناهم بالنبوة، وذرية شرفناهم منا بالكرامة، وفضلناهم على العالمين، منهم: ابنه إسحاق، وابن ابنه يعقوب،﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ أي هدينا جميعهم لسبيل الرشاد، فوفقناهم للحق والصواب."[2]

يقول الإمام المراغي: "أي ووهبنا لإبراهيم عليه السلام إسحاق نبيا من الصالحين، وجعلنا من ذريته يعقوب نبيا منجيا للأنبياء والمرسلين، وهدينا كلا منهما كما هدينا إبراهيم بما آتيناه من النبوة والحكمة وقوة العارضة والحجة.

وإنما ذكر إسحق دون إسماعيل؛ لأنه هو الذي وهبه الله تعالى بآية منه بعد كبر سنه وعقم امرأته سارّة، جزاء إيمانه وإحسانه وكمال إسلامه وإخلاصه بعد ابتلائه بذبح ولده إسماعيل ولم يكن له ولد سواه على كبر سنه."[3]

---

[1] جامع البيان – ج21/ص72

[2] المرجع السابق – للطبري – ج11/ص507

[3] تفسير المراغي – ج7/ص180

ويقول الإمام السعدي: "لما ذكر الله تعالى عبده وخليله، إبراهيم عليه السلام، وذكر ما من الله عليه به، من العلم والدعوة، والصبر، ذكر ما أكرمه الله به من الذرية الصالحة، والنسل الطيب، وأن الله جعل صفوة الخلق من نسله، وأعظم بهذه المنقبة والكرامة الجسيمة، التي لا يدرك لها نظير...فكلاً منهما هدينا للصراط المستقيم، في علمه وعمله."[1]

ويقول الإمام الطاهر بن عاشور: "وفائدة ذكر هديهما التنويه بإسحاق ويعقوب، أنهما نبيان نالا هدى الله كهديه إبراهيم عليه السلام، وفيه أيضا إبطال للشرك، ودمغ، لقريش ومشركي العرب، وتسفيه لهم بإثبات أن الصالحين المشهورين كانوا على ضد معتقدهم..."[2]

ومن الآيات الكريمة التي تثني على كلٍ من إسحاق ويعقوب عليهما السلام قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ {الأنبياء/72 – 73}

والمعنى: أنعم الله جل جلاله على إبراهيم عليه السلام، فوهب له ابنه إسحاق حين دعاه، ووهب له من إسحاق يعقوب زيادة على ذلك؛ لأنه دعا في إسحاق وزيد يعقوب من غير دعاء فكان ذلك نافلة، أي زيادة على ما سأل، إذ قال:﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ {الصافات/100}، ويقال لولد الولد نافلة؛ لأنه زيادة على الولد.﴿ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾ أي وكلا من إبراهيم وإسحاق ويعقوب جعلناه صالحا عاملا بطاعة الله جل جلاله،﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ أي رؤساء يقتدى بهم في الخيرات وأعمال الطاعات، بما أنزلنا عليهم من الوحي والأمر والنهي، كما وأنهم يفعلوا الطاعات، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وكانوا لنا مطيعين.[3]

يقول الإمام الزحيلي: "ذكر الله تعالى نعماً أخرى على إبراهيم بعد نعمتي النجاة من النار والهجرة إلى الأرض المباركة فقال:

1- ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ ﴾ أي ومنحنا إبراهيم من الذرية المباركة إسحاق ويعقوب...

2- ﴿ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾ أي وكلا من إبراهيم وإسحاق ويعقوب، جعلنا الجميع أهل خير وصلاح، يطيعون ربهم، ويتجنبون محارمه، وجعلناهم أنبياء مرسلين...

---

[1] تيسير الكريم الرحمن – ص/263

[2] التحرير والتنوير – ج7/ص337

[3] الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – ج11/ص305 "بتصرف"

3- ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي وصيرناهم قادة وأئمة يقتدى بهم، يدعون إلى دين الله بإذنه، وإلى الخيرات بأمره...

4- ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ أي وأنزلنا عليهم أن يفعلوا الخيرات وهي الأعمال الصالحات من فعل الطاعات وترك المحرمات، وهذا يدل على أنه سبحانه خصهم بشرف النبوة، وذلك من أعظم النعم على الأب إبراهيم عليه السلام.

5، 6- ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ أي وأوحينا إليهم أن يقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة المفروضتين... وفي كلتا العبادتين تعظيم أمر الله تعالى.

وبعد تعداد هذه النعم ووصفهم بالصلاح أولا، ثم بالإمامة، ثم بالنبوة والوحي، أبان اشتغالهم بالعبودية والعبادة لله تعالى، فقال:﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ أي وكانوا لجناب الله خاشعين خاضعين، طائعين فاعلين ما يأمرون به الناس، وفي هذا دلالة على أنهم كانوا أوفياء لإحسان الله ونعمه عليهم، فلما أكرمهم الله بالإنعام وتفضل عليهم بالإحسان، كانوا أوفياء له بالعبودية وهو الطاعة والعبادة."[1]

المطلب الخامس: ثناء الله على يوسف عليه السلام:

هو الكريم ابن الكريم، ابتلاه الله تبارك وتعالى بالعديد من الابتلاءات، وحماه من مكر الماكرين، وحسد الحاسدين، فصبر واحتسب، فهو من عباد الله ﷻ المخلصين الذين استحقوا الثناء عليهم، قال تعالى:﴿... وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ {يوسف/21 – 22}

والمعنى: ولما بلغ يوسف عليه السلام أشده، بأن كملت قوته المعنوية والحسية، وصلح لأن يتحمل الأحمال الثقيلة، من النبوة والرسالة، جعله الله تبارك وتعالى نبياً رسولاً وعالماً ربانياً، ومثل هذا الجزاء الذي جزينا به يوسف عليه السلام على إحسانه، نجزي المحسنين على إحسانهم في عبادة الخالق...ودل هذا على أن يوسف عليه السلام في مقام الإحسان، فأعطاه الله ﷻ الحكم بين الناس والعلم الكثير والنبوة.[2]

---

[1] التفسير المنير – ج17/ص89

[2] تيسير الكريم الرحمن – للسعدي – ص/395 "بتصرف يسير"

يقول الإمام الشعراوي: "ولما بلغ أشده، ووصل إلى غايته في النضج والاستواء...وحين يبلغ إنسان مثل يوسف عليه السلام أشده، وهو قد عاش في بيت ممتلئ بالخيرات، فهذا البلوغ إن لم يكن محروسا بالحكمة والعلم، ستتولد فيه رعونة، ولهذا فقد حرسه الحق بالحكمة والعلم.

والحكم: هو الفيصل بين قضيتين متعاندتين متعارضتين، حق وباطل، وما دام قد أعطاه الله الحكم، فهو قادر على أن يفصل بين الصواب والخطأ، وقد أعطاه الله ﷻ العلم، الذي يستطيع أن ينقله إلى الغير، والذي سيكون منه تأويل الرؤى، وغير ذلك من العلم الذي سوف يظهر حين يولى على خزانة مصر، فهنا بلغ يوسف أشده وحرسه الحق بالحكمة والعلم..."[1]

ويقول الإمام الزحيلي: "بين الله تعالى ما جازى به يوسف عليه السلام لما صبر على إسائة إخوته إليه، وعلى الشدائد والمحن التي مر بها، فمكنه الله تعالى في الأرض...ولما بلغ أشده آتاه الله النبوة التي عبر عنها بالحكم والعلم، وهي أكمل درجات العلم، فقال:﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ﴾ أي ولما استكمل يوسف قواه الجسمية والعقلية، ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾ أي النبوة التي حباه بها بين أولئك الأقوام، كالجزاء على صبره على تلك المحن وعلى الأعمال الحسنة...﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي ومثل ذلك الجزاء، نجزي المحسنين الذين يحسنون لأنفسهم أعمالهم، وهذا دليل على أن يوسف عليه السلام كان محسناً في عمله، عاملا بطاعة الله تعالى، وأن ما آتاه الله من سلطان ونفوذ، وعلم وحكمة، ونبوة ورسالة كان جزاء على إحسانه في عمله، وتقواه في حال شبابه، إذ للإحسان تأثير في صفاء العقول، وللإساءة تأثير في تعكير النفوس وسوء فهم الأمور."[2]

ومن الآيات الكريمة التي تثني على يوسف عليه السلام قوله تعالى:﴿ ...كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ {يوسف/24}

والمعنى: "كذلك نقيه السوء والفحشاء في جميع أموره، فهو من عبادنا المجتبين المطهرين المختارين المصطفين الأخيار، صلوات الله وسلامه عليه."[3]

يقول الإمام الرازي: "فقد شهد الله تعالى في هذه الآية على طهارة يوسف عليه السلام أربع مرات:

---

[1] تفسير الشعراوي – ج11/ص6901

[2] التفسير المنير – ج12/ص236

[3] تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج4/ص382

أولها: قوله تعالى: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ واللام للتأكيد والمبالغة.

والثاني: قوله تعالى: ﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ أي كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء.

والثالث: قوله تعالى:﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا﴾ مع أنه تعالى قال:﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ {الفرقان/63}

والرابع: قوله تعالى: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ وفيه قراءتان: تارة باسم الفاعل: (المخلِصين) ويدل على كونه آتِياً بالطاعات والقربات مع صفة الإخلاص، وأخرى باسم المفعول: (المخلَصين) ويدل على أن الله تعالى استخلصه لنفسه واصطفاه لحضرته، وعلى كلا الوجهين فإنه من أدل الألفاظ على كونه منزها عما أضافوه إليه.[1]

وأما بيان أن إبليس أقر بطهارته، فلأنه قال:﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ {ص/82 – 83} فأقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين ويوسف من المخلصين لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ فكان هذا إقرارا من إبليس بأنه ما أغواه وما أضله عن طريقة الهدى.

وعند هذا نقول هؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام هذه الفضيحة إن كانوا من أتباع دين الله تعالى فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته، وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا شهادة إبليس على طهارته..."[2]

فبصبر يوسف عليه السلام على إساءة إخوته، وإعراضه عن فتنة ومغريات القصر الذي سكنه، وإحسانه وتقواه في شبابه، أكرمه الله تبارك وتعالى وأعزه وآتاه النبوة.

وينبه الباحث أن هذه الآية جاءت في معرض تبرئة يوسف عليه السلام من الوقوع في الزنا، وسيرد الحديث بهذا الأمر بشيء من التفصيل ص128

المطلب السادس: ثناء الله على أيوب عليه السلام:

عنوان الصبر والصابرين، وحيثما ذكر الصبر ذكر أيوب عليه السلام، فقد ابتلاه الله جل جلاله في الجسد والمال والأهل والولد، فلم يبق له من ذلك شيء، لكنه صبر واحتسب، فأثنى عليه تبارك

---

[1] للاستزادة، انظر: (جامع البيان) – للطبري – ج16/ص49 – 50 ، (الحجة في القراءات السبع) – لابن خالويه – ص/194

[2] التفسير الكبير – ج18/ص441

وتعالى حيث قال: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ ... وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾{ص/41 – 44}

"وذلك أن أيوب عليه السلام كان قد غضب على زوجته ووجد عليها في أمر فعلته، قيل: إنها باعت ضفيرتها بخبز، فأطعمته إياه فلامها على ذلك، وحلف إن شفاه الله ليضربنها مائة جلدة. وقيل: لغير ذلك من الأسباب، فلما شفاه الله وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب فأفتاه الله ﷻ أن يأخذ ضغثا [هو حزمة من حشيش أو قضبان][1] فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة، وقد برت يمينه، وخرج من حنثه ووفى بنذره، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأناب إليه ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ فأثنى الله تعالى عليه ومدحه بأنه﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ أي: رجاع منيب..."[2]

يقول الإمام الشوكاني: "أثنى الله سبحانه وتعالى على أيوب عليه السلام فقال:﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗا ﴾ أي: على البلاء الذي ابتليناه به، فإنه ابتلي بالداء العظيم في جسده وذهاب ماله وأهله وولده فصبر﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ ﴾ أيوب عليه السلام ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ أي: رجاع إلى الله بالاستغفار والتوبة."[3]

ويقارن الإمام الطاهر بن عاشور بين الثناء على أيوب وعلى سليمان عليهما السلام، حيث يقول: "وقوله تعالى:﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ مثل قوله في سليمان﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ {ص/30} ، فكان سليمان عليه السلام أوابا لله ﷻ من فتنة الغنى والنعيم، وأيوب عليه السلام أوابا لله ﷻ من فتنة الضر والاحتياج، وكان الثناء عليهما متماثلاً لاستوائهما في الأوبة وإن اختلفت الدواعي. قال سفيان الثوري:[4] أثنى الله ﷻ على عبدين ابتليا: أحدهما صابر، والآخر شاكر، ثناء واحدا. فقال لأيوب ولسليمان:﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾."[5]

---

[1] تفسير الجلالين – لجلال الدين المحلي والسيوطي – ص/603

[2] تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج7/ص76

[3] فتح القدير – ج4/ص501

[4] سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، الكوفي (أبو عبد الله) هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، محدث، فقيه، مصنف كتاب الجامع الكبير، ولد سنة سبع وتسعين اتفاقا، وطلب العلم وهو حدث باعتناء والده المحدث الصادق، ومات سنة ست وعشرين ومائة. انظر: (سير أعلام النبلاء – لشمس الدين الذهبي – ج6/ص620 – 621 ، معجم المؤلفين– عمر بن رضا كحالة – ج4/ص234)

[5] التحرير والتنوير – ج23/ص275

ويقول الإمام الزحيلي: "أثنى الله سبحانه على أيوب عليه السلام قائلا:﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي لقد وجدناه صابرا على البلاء الذي ابتليناه به في جسده، وذهاب ماله وأهله وولده، نعم العبد أيوب، إنه رجاع إلى الله عز وجل بالتوبة والاستغفار، زيادة في حسناته ورفع درجته، لا بسبب ذنب جناه، فجازيناه بتفريج كربته..."[1]

المطلب السابع: ثناء الله على يونس عليه السلام:

بعدما غضب يونس بن متى عليه السلام[2] من قومه الذين تمردوا عليه وكذبوه، فوعدهم بالعذاب وتركهم، ثم التقمه الحوت، فسرعان ما استرجع واستغفر الله تعالى، فتقبله سبحانه بقبول حسن، وأثنى عليه ووصفه بالصلاح، حيث قال تعالى:﴿لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾{القلم/49 – 50}

والمعنى: لو لم يوفقه سبحانه إلى نعمة التوبة والإنابة والرجوع إلى الله عز وجل على وجه الإخلاص والندامة، لَطُرِح مِن بطن الحوت بالأرض الفضاء، المهلكة الخالية من الشجر، وهو آتٍ بما يلام عليه، لكن قد أدركته العناية الإلهية وانفتح له باب التوبة والاستغفار على وجه الندم والانكسار، فاستغفر ربه، وتاب عليه واستجاب له تفضلا وامتنانا.

فاجتباه ربه أيضاً لمصلحة النبوة وقَبِلَهُ فأرسله مرة أخرى إلى قومه، فجعله حسب فضله وطَولِه من الصالحين الكاملين في الصلاح الفائزين بالعصمة والفلاح، اللائقين لشأن النبوة والهداية والإرشاد والتكميل. [3]

أقوال علماء التفسير في قوله تعالى:﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾:

يقول الإمام الشوكاني: "أي: استخلصه واصطفاه واختاره للنبوة فجعله من الصالحين أي: الكاملين في الصلاح وعصمه من الذنب." [4]

---

[1] التفسير المنير – ج23/ص209

[2] يونس بن متى، وهو من ولد بنيامين بن يعقوب، أختلف في (متى) فقيل بأنه إسم أمه، حيث قيل: "لم يشتهر نبي بأمه غير عيسى ويونس عليهما السلام"، انظر: (تاريخ ابن الوردي – لعمر بن الوردي – ج1/ص28 ، المختصر في أخبار البشر – لإسماعيل بن علي – ج1/ص32 ، الكامل في التاريخ – لابن الأثير – ج1/ص329)، وقيل بأنه إسم أبيه، انظر: (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم – لجمال الدين الجوزي – ج1/ص395 ، الأنس الجليل – لعبد الرحمن العليمي – ج1/ص156)

[3] الفواتح الإلهية – للشيخ علوان – ج2/ص438"بتصرف يسير"

[4] فتح القدير – ج5/ص330

ويقول الإمام السعدي: "أي: اختاره واصطفاه ونقاه من كل كدر، فجعله من الصالحين الذين صلحت أعمالهم وأقوالهم ونياتهم، وأحوالهم."[1]

بينما يقول الإمام الطاهر بن عاشور: "والمراد بـ ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ المفضلون من الأنبياء، وقد قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ {الشعراء/83} وذلك إيماءً إلى أن الصلاح هو أصل الخير ورفع الدرجات..."[2]

ويقول الإمام الزحيلي: "أي: فاصطفاه ربه واستخلصه واختاره للنبوة والوحي، وجعله من الأنبياء المرسلين لقومه، الكاملين في الصلاح، وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون، فآمنوا جميعا."[3]

ويرى الباحث أن في قصة يونس عليه السلام دعوة لجميع من جانب الصواب، أن يتوب ويستغفر الله تعالى، فإنه يقبل التوبة عن عباده.

المطلب الثامن: ثناء الله على داود عليه السلام:

هو خير قدوة لخير البشر ﷺ في العبادة، آتاه الله ﷻ القوة، فسخرها في طاعته، فكان كثير الرجوع لله تعالى، كثير التسبيح مع الجبال والطير، المسخرة لتسبح معه، فاستحق ثناء الله تعالى عليه، وآتاه السلطان، والنبوة، والعلم، حيث قال تعالى: ﴿...وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ...﴾{البقرة/251}

وذلك أن الملك طالوت اختار داود من بين قومه لقتال جالوت، وكان جالوت قائدَ الجبابرة، من أشد الناس وأقواهم، وكان يهزم الجيوش وحده، وكان قتل جالوت وهو رأس العمالقة على يد داود، فأعطاه الله ﷻ الملك والسلطان، وكان ذلك عند موت طالوت بعد سبع سنين من قتل جالوت، وأيضاً أعطاه الله ﷻ النبوة، والذي علمه إياه هي صنعة الدروع ومنطق الطير، وغير ذلك من أنواع علمه عليه السلام.[4]

---

[1] تيسير الكريم الرحمن – ص/882

[2] التحرير والتنوير – ج29/ص107

[3] التفسير المنير – ج29/ص75

[4] انظر: (النكت والعيون) – للماوردي – ج1/ص320 ، (المحرر الوجيز) – لابن عطية – ج1/ص337 ، (الجامع لأحكام القرآن) – للقرطبي – ج3/ص256

ومن الآيات الكريمة التي تثني على داود عليه السلام بما اتصف به من الصفات الجليلة، قوله تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ {ص/17}

والمعنى: "اصبر يا محمد ﷺ على ما يقوله فيك المشركون، من هذه الأقاويل التي يريدون بها الاستخفاف ولا تلتفت إليها، واذكر داود عليه السلام ذا القوة في البدن والدين، فتأس به وتأيد كما تأيد، إنه كان رجَّاعاً إلى طاعة الله ﷻ في جميع أحواله."[1]

ويعدد الإمام الرازي الصفات العشرة، التي وصف بها داود عليه السلام، وسيقتصر الباحث على إيراد الصفات الأربع التي ذكرتها هذه الآية الكريمة:

"الأولى: قوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ﴾ فأمر محمدا ﷺ على جلالة قدره بأن يقتدي في الصبر على طاعة الله بداود عليه السلام، وذلك تشريف عظيم وإكرام لداود عليه السلام حيث أمر الله أفضل الخلق محمدا ﷺ بأن يقتدي به في مكارم الأخلاق.

والثانية: أنه قال في حقه: ﴿عَبْدَنَا دَاوُودَ﴾ فوصفه بكونه عبدا له، وعبر عن نفسه بصيغة الجمع الدالة على نهاية التعظيم، وذلك غاية التشريف، ألا ترى أنه سبحانه وتعالى لما أراد أن يشرف محمدا ﷺ ليلة المعراج قال:﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ...﴾ {الإسراء/1} فذلك يدل على التشريف لداود عليه السلام، وهو دليل على علو درجته أيضا، فإن وصف الله تعالى الأنبياء بعبوديته مشعر بأنهم قد حققوا معنى العبودية بسبب الاجتهاد في الطاعة.

والثالثة: قوله تعالى:﴿ذَا الْأَيْدِ﴾ أي ذا القوة على أداء الطاعة والاحتراز عن المعاصي؛ وذلك لأنه تعالى لما مدحه بالقوة، وجب أن تكون تلك القوة موجبة للمدح، والقوة التي توجب المدح العظيم ليست إلا القوة على فعل ما أُمر به وترك ما نُهى عنه، والأيد المذكورة هاهنا كالقوة المذكورة في قوله:﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ...﴾ {مريم/12} وقوله تعالى:﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ...﴾ {الأعراف/145} أي باجتهاد في أداء الأمانة، وتشدد في القيام بالدعوة، وترك إظهار الوهن والضعف ...

الرابعة: قوله تعالى:﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي أن داود عليه السلام كان رجاعاً في أموره كلها إلى طاعتي، والأواب فعال من آب إذا رجع كما قال تعالى:﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ {الغاشية/25}، وفعال بناء المبالغة، كما يقال: قتال وضراب، فإنه أبلغ من قاتل وضارب."[2]

---

[1] المحرر الوجيز – لابن عطية – ج4/ص496 "بتصرف يسير"

[2] التفسير الكبير – ج26/ص374

ويقارن الإمام سيد قطب بين قوة داود عليه السلام، وقوة الأقوام السابقة مثل قوم نوح وعاد وفرعون ذي الأوتاد وثمود، الخ حيث يقول فيهم: "كان مظهر قوتهم هو الطغيان والبغي والتكذيب، فأما داود عليه السلام فقد كان ذا قوة، ولكنه كان أوابا، يرجع إلى ربه طائعا تائبا عابدا ذاكرا..."[1]

كما ويؤكد على هذا المعنى الإمام الطاهر بن عاشور حيث يقول: "كان داود عليه السلام قد أعطي قوة نادرة وشجاعة وإقداما عجيبين وكان يرمي الحجر بالمقلاع فلا يخطئ الرمية، وكان يلوي الحديد ليصنعه سردا للدروع بأصابعه، وهذه القوة محمودة؛ لأنه استعملها في نصر دين التوحيد... وهو كثير الأوب والرجوع إلى ما أمر الله به والوقوف عند حدوده وتدارك ما فرط فيه."[2]

وأيضاً يؤكد النبي محمد ﷺ على شدة محبته وعبادته لله ﷻ، حيث روي عن أبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه،[3] عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: "**قَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَبِّ أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَالْعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ، رَبِّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي، وَمِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ**"، وكانَ النبيُّ ﷺ إذا ذكرَ داودَ عليه السلام وَحَدَّثَ عنهُ قالَ: "**كَانَ أَعْبَدَ الْبَشَرِ**"[4]

كما ويصف النبي محمد ﷺ كيفية عبادته عليه السلام، حيث روي عن عبد الله بن عمرو بن العاصِ رضيَ اللهُ عنهمَا، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ لهُ: "**أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا**"[5]

---

[1] في ظلال القرآن – ج5/ص3017

[2] التحرير والتنوير – ج23/ص227

[3] هو عويمر بن عَامِر بن مالك بن زيد بن قيس بن أمية بن عَامِر بن عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، وقيل: اسمه عَامِر بن مالك، وعويمر لقب... وأمه محبة بنت واقد بن عَمْرو بن الإطنابة، تأخر إسلامه قليلا، كَانَ آخر أهل داره إسلاما، وحسن إسلامه، وَكَانَ فقيها عاقلا حكيما، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمَان الفارسي...شهد ما بعد أحد من المشاهد، واختلف فِي شهوده أحدا...ولي أبو الدرداء قضاء دمشق فِي خلافة عثمان، وتوفي قبل أن يقتل عثمان بسنتين. (أسد الغابة في معرفة الصحابة – لابن الأثير – ج6/ص94)

[4] المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري – كتاب التفسير – تفسير سورة ص – ج2/ص470/ح3621، يقول الإمام الذهبي: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

[5] صحيح البخاري – كتاب الجمعة – باب من نام عند السحر – ج2/ص50/ح1131

فداود عليه السلام هو أعبد البشر بشهادة خير البشر محمد ﷺ، فصلاته وصيامه وقيامه من أحب العبادات إلى الله تعالى، اللهم اجعلنا أعبد من عبدك، وأقرب من تقرب إليك.

المطلب التاسع: ثناء الله على سليمان عليه السلام:

أعطاه الله ﷻ النبوة والملك، وفهمه الفتوى بين الناس، وعلمه منطق الطير، وسخر له الريح والجن والشياطين لخدمته، كما وله يوم القيامة المكانة العالية عند الله تعالى، وذلك لكونه كثير الرجوع والإنابة والتوبة لله ﷻ قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴾ {ص/30 – 31}

والمعنى: وهب الله تعالى لداود ابنه سليمان عليهما السلام، فأنعم به عليه، وأقرر به عينه، وأثنى سبحانه وتعالى على سليمان عليه السلام، بأنه كان كثير الرجوع إلى الله ﷻ والإنابة إليه بالتوبة مما يقع منه من السهو والغفلة.[1]

ويقول الإمام المراغي: "مدحه سبحانه وأثنى عليه فقال:﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾...؛ لأنه كان كثير الطاعة والعبادة والإنابة إلى ربه في أكثر الأوقات، وفي كثير من المهمات، اعتقادا منه بأن كل شيء من الخير لا يتم إلا بإعانته وتوفيقه.

ثم ذكر سبحانه وتعالى حالاً من أحواله التي تستحق الإطراء والثناء فقال:﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴾أي مدحه حين عرضت عليه الجياد الصافنات، من العصر حتى آخر النهار، لينظر إليها ويتعرف أحوالها، ومقدار صلاحيتها للقيام بالمهام التي توكل إليها حين الغزو وغيره..."[2]

"الصافنات: الخيل جمع صافنة وهي القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر ...، والجياد: جمع جواد وهو أنها إذا استوقفت سكنت وإن ركضت سبقت."[3]

---

[1] انظر: (المحرر الوجيز) – لابن عطية – ج4/ص503 ، (زاد المسير في علم التفسير) – لابن الجوزي – ج3/ص570

[2] تفسير المراغي – ج23/ص118

[3] تفسير الجلالين – لجلال الدين المحلي والسيوطي – ص/601

ويقول الإمام السعدي: "لما أثنى تعالى على داود، وذكر ما جرى له ومنه، أثنى على ابنه سليمان عليهما السلام فقال: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ﴾ أي: أنعمنا به عليه، وأقررنا به عينه، ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ﴾ سليمان عليه السلام، فإنه اتصف بما يوجب المدح، وهو ﴿ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ أي: رجاع إلى الله ﷻ في جميع أحواله، بالإنابة والمحبة والذكر والدعاء والتضرع، والاجتهاد في مرضاة الله، وتقديمها على كل شيء."[1]

كما ويقول الإمام الزحيلي في هذه الآية: "أي وآتينا داود ابناً نبياً، كما قال عز وجل: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾ {النمل/16} وإلا فقد كان له بنون غيره، وهذا الابن ما أحقه بالمدح والثناء، فهو نعم العبد؛ لأنه تواب رجاع إلى الله ﷻ، كثير الطاعة والعبادة والإنابة إلى الله عز وجل في أكثر الأوقات."[2]

ولم يقتصر إنعام الله ﷻ على سليمان عليه السلام في الدنيا بأن وهبه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، حيث سخر له الرياح والشياطين، القوية الطائعين، بل وأنعم عليه بالنعم الجليلة يوم القيامة حيث قال تعالى:﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ {ص/40}

ويقول الإمام المراغي: "وبعد أن ذكر سبحانه وتعالى ما أوتيه من نعم الدنيا التي يحار العقل في إدراكها، أبان ماله في الآخرة عند ربه، من مقام كريم وجنات ونعيم فقال:﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ أي وإن له في الآخرة لقربى وكرامة لدينا، فنبوئه جنات النعيم، ونؤتيه الإجلال والتعظيم، فهو كما كان سعيداً في الدنيا يكون سعيداً في الآخرة، ويفوز برضا ربه، وعظيم كرامته، جعلنا الله ﷻ ممن كتبت له السعادة في الدارين والكرامة والمثوبة لديه في جنات النعيم."[3]

ويقول الإمام الزحيلي: "وإن له في الآخرة لقربة وكرامة عند الله ﷻ، وحسن مرجع، وهو الجنة، وفيض ثواب، فهو ذو حظ عظيم عند الله يوم القيامة ... فهو مقرب عند الله ﷻ، مكرم عند ربه في الجنة، مغمور بالثواب الجزيل، فائز برضا ربه، والخلاصة: لقد منح الله ﷻ سليمان عليه السلام خيري الدنيا والآخرة، وجمع له بين الملك والنبوة كأبيه داود عليهما السلام، وسخر الله له ملكاً عظيماً وسلطة شاملة على الإنس والجن والشياطين، وهذا لم يتأت لأحد قبله ولا بعده."[4]

---

[1] تيسير الكريم الرحمن – ص/712

[2] التفسير المنير – ج23/ص199

[3] تفسير المراغي – ج23/ص123

[4] التفسير المنير – ج23/ص203 – 205

المبحث الثالث

ثناء العباد على بعضهم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ثناء صاحبي يوسف عليه في السجن.

المطلب الثاني: ثناء النسوة على يوسف عليه السلام قبل دخوله السجن وخروجه منه.

المطلب الثالث: ثناء امرأة العزيز على يوسف وهو في السجن.

المطلب الرابع: ثناء ابنة شعيب عليه السلام على موسى عليه السلام.

المبحث الثالث

ثناء العباد على بعضهم

ذكر القرآن الكريم الصور العديدة والنماذج الفريدة، المبينة لثناء العباد على بعضهم، وذلك بما اتصف به المثنى عليه من محامد الصفات، فالثناء يكون بين الأخيار، لا بين الأشرار، وقد نوه القرآن الكريم على ذلك، حيث قال تعالى:﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾{الزخرف/67}

والمعنى: "كل صداقة وصحبة لغير الله ﷻ، فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة، إلا ما كان لله عَزَّ وَجَلَّ، فإنه دائم بدوامه."[1]

وقد أمرنا النبي ﷺ بالثناء على المحسنين، وذلك أبسط الشكر، حيث جاء عن جابِرِ بنِ عبدِ اللهِ ﷺ، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **"مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ بِهِ، فَمَنْ أَثْنَى بِهِ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ"**[2]

كما وطبق النبي ﷺ هذا الأمر في حياته واقعاً عملياً، فقد روي عن عائشةَ، قالتْ: كانَ النبيُ ﷺ إذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عليهَا، فأحسنَ الثَّنَاءَ، قالتْ: فَغِرْتُ يوماً، فقلتُ: ما أكثرَ ما تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ،[3] قدْ أبدلكَ اللهُ عزَّ وجلَّ خيراً منهَا، قالَ: **"مَا أَبْدَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ"**[4]

وسوف يتحدث الباحث في هذا المبحث عن نماذج من ثناء العباد على بعضهم، ويتمثل في أربعة مطالب.

---

[1] تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج7/ ص237

[2] سنن أبي داود – كتاب الأدب – باب في شكر المعروف – ج4/ص255/ح4813، يقول الإمام الألباني: حسن.

[3] الشدق جانب الفم، أرادت أنها عجوز كبيرة جدا قد سقطت أسنانها من الكبر ولم يبق في فمها بياض من الأسنان وإنما حمرة اللثاث. (فتح الباري – لابن حجر العسقلاني – ج7/ص139)

[4] مسند الإمام أحمد – مسند النساء – مسند الصديقة عائشة – ج41/ص356/ح24864، يقول الإمام شعيب الأرنؤوط وآخرون: حديث صحيح.

المطلب الأول: ثناء صاحبي يوسف عليه في السجن:

أثنى كلٌ من الصاحبين في السجن على يوسف عليه السلام، وذلك بما اتصف به من الصدق في الحديث وتأويل الرؤا وإسداء الخدمة، دون ضجرٍ أو مللٍ أو مقابل، بل وصفوه بما هو أجلُّ وأعظمُ من ذلك، وهو الإحسان، حيث قال تعالى على لسان صاحبيه في السجن: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾{يوسف/36}

والمعنى: ودخل السجن مع يوسف عليه السلام فَتَيَان – كان أحدهما خازن الملك على طعامه، وكان الآخر ساقي الملك على شرابه، وكان الملك قد اتهمهما بِسَمِّه فحبسهما – قال أحدهما أي الشرّاب: إني أرى في المنام أني أعصر عنبا ليصير خمرا، وقال الآخر أي الخباز: إني أرى في المنام أني أحمل فوق رأسي خبزا، تأكل وتنهش الطير منه، أخبرنا يا يوسف عليه السلام بتفسير ما رأينا، إنا نراك من المحسنين، الذين يحسنون تأويل الرؤيا، أو من المحسنين إلى أهل السجن، فأحسن إلينا بتأويل ما رأينا، إن كنت تعرفه.[1]

ويقول الأستاذ محمد رشيد رضا: "عللوا سؤالهم عن أمر يهمهم ويعنيهم، برؤيتهم إياه من المحسنين، الذين يريدون الخير والنفع للناس، وإن لم يكن لهم فيه منفعة خاصة ولا هوى...وما قالا هذا القول؛ إلا بعد أن رأيا من سعة علمه، وحسن سيرته مع أهل السجن..."[2]

ويقول الإمام المراغي: "ثم بينا له ثقتهما به فقالا:﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الذين يحسنون تأويل الرؤيا؛ وما قالا هذا إلا بعد أن رأيا من سعة علمه، وحسن سيرته مع أهل السجن، ما جعله كعبة قصدهم وقبلة استفتائهم، وقد يكون المعنى: إنا نراك من الذين يحسنون بمقتضى غريزتهم، ويريدون الخير للناس وإن لم يكن لهم فيه منفعة خاصة لهم."[3]

ويقول الإمام الشعراوي: "وبعد فترة من حياة الاثنين مع يوسف عليه السلام داخل السجن، وبعد معايشة يومية له، تكشف لهما سلوك يوسف كواحد من المحسنين، وحدث أن رأى كل منهما

---

[1] انظر: (النكت والعيون) – للماوردي – ج3/ص35 ، (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) – للبيضاوي – ج3/ص163

[2] تفسير المنار – ج12/ص251

[3] تفسير المراغي – ج12/ص145

حلماً، فقررا أن يطلبا منه تأويل هذين الحلمين، والسجين غالبا ما يكون كثير الوساوس، وغير آمن على غده؛ ولذلك اتجها إليه في الأمر الذي يهمهم."[1]

وبعد أن فسر يوسف عليه السلام رؤيا صاحبيه في السجن، بأن الذي رأى أنه يعصر العنب في رؤياه، فإنه يخرج من السجن ويكون ساقي الخمر للملك، وأما الآخر الذي رأى أنه يحمل على رأسه خبزًا، فإنه يُصْلب ويُتْرك، وتأكل الطير من رأسه، حينها قال يوسف عليه السلام للذي علم أنه ناجٍ من صاحبيه: اذكرني عند سيِّدك الملك وأخبره بأني مظلوم محبوس بلا ذنب، فأنسى الشيطان ذلك الرجل أن يذكر للملك حال يوسف عليه السلام، فمكث عليه السلام بعد ذلك في السجن عدة سنوات، إلى أن حلم الملك بحلم أدهشه، حيث قال تعالى على لسانه: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ {يوسف/43}

لكن جميع مفسري الأحلام عجزوا عن تفسير هذا الحلم المدهش، وحينئذ تذكر الذي نجا من الموت من صاحبي يوسف عليه السلام في السجن، فقال للملك والملأ الذين جمعهم حوله: أنا أخبركم بتأويل هذا المنام، فابعثوني إلى يوسف الصديق عليه السلام الموجود حاليا في السجن،[2]فقد قال تعالى على لسانه: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ {يوسف/46}

والمعني: أيها الصادق فيما عبرت لنا، فسِّر لنا رؤيا مَن رأى سبع بقرات سمان، يبتلعهن سبع عجاف هزلى، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات، لعلي أرجع إلى الملك لكي يعلم مكانتك، فيكون ذلك سببا لخلاصك إذا علم تعبير رؤياه، فعبر يوسف رؤياه وهو في الحبس...[3]

ويقول الإمام القاسمي: "وصفه بالمبالغة في الصدق، حسبما شاهد من أحواله، وتعرف صدقه في أفعاله."[4]

---

[1] تفسير الشعراوي – ج11/ص6948

[2] التفسير الميسر – نخبة من أساتذة التفسير – ج1/ص239 – 241"بتصرف"

[3] انظر: (بحر العلوم) – للسمرقندي – ج2/ص196

[4] محاسن التأويل – ج6/ص182

ويقول الإمام المراغي: "أي يا يوسف البالغ غاية الكمال، بصدقك في أقوالك وأفعالك وتأويل الأحاديث وتعبير الأحلام، أفتنا في ذلك المنام الذي رآه الملك، وإني لأرجو أن يحقق الله ﷻ أملك بالخروج من السجن، وانتفاع الملك وملئه بفضلك وعلمك."[1]

ويقول الإمام الزحيلي: "قال له صاحبه في السجن: يا يوسف، أيها الرجل كثير الصدق في أقوالك وأفعالك، وتأويل الأحاديث وتعبير الأحلام، أفتنا في منام رآه الملك، لعل الله ﷻ يجعل لك فرجا ومخرجا بسبب تأويلك رؤياه، فذكر له يوسف عليه السلام تعبيره من غير لوم وعتاب على نسيانه ما وصاه به، ومن غير اشتراط للخروج قِبَلَ ذلك، فقال: مبينا لهم خطة أربع عشرة سنة: إنه يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات.

ففسر البقر بالسنين؛ لأنها تثير الأرض التي تكون سببا للثمرات والزروع، وهن السنبلات الخضر، ثم أرشدهم إلى ما يفعلون في سني الخصب، فقال: مهما جنيتم في هذه السبع السنين الخصب من الغلال والزروع، فادخروه في سنبله، لئلا يأكله السوس، إلا المقدار القليل الذي تأكلونه، فادرسوه، ولا تسرفوا فيه لتنتفعوا بالباقي في السبع الشداد الصعاب، وهن السبع السنين الجدب التي تعقب هذه السنوات السبع المتواليات، وهن البقرات العجاف، اللاتي تأكل السمان؛ لأن سنين الجدب يؤكل فيها ما جمعوه في سنين الخصب، وهن السنبلات اليابسات، ففي سنين القحط لا تنبت الأرض شيئا، وما بذروه لا يرجع منه شيء..."[2]

فقد أثنى على يوسف عليه السلام كل من صاحبيه في السجن بما رأوا فيه من الإحسان، بل ولقبه صديقه الذي نجا من السجن والموت، في أول لقاء وفي أول كلمة بالصديق.

المطلب الثاني: ثناء النسوة على يوسف عليه السلام قبل دخوله السجن وخروجه منه:

أثنت النساء على شخصيةِ يوسف عليه السلام، فلم يقوَ خلدهن على تخيلها إلا عند رؤيتها، فقد أثنين عليه وهو في القصر قبل أن يسجن، وحال كونه في السجن، وذلك بما اتصف به من الصفات الملائكية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ {يوسف/31}

---

[1] تفسير المراغي – ج12/ص155

[2] التفسير المنير – ج12/ص276 – 277

والمعنى: فلما سمعت امرأة العزيز – زليخا – بغِيْبتهن إياها، حيث تشمتن بها وعيرنها بمحبتها ليوسف عليه السلام، حينها أرسلت إليهن تدعوهن لزيارتها، وهيَّأت لهن وسائد يتكئن عليها لجلوسهن، وأحضرت الضيافة، وهي كل شيء يقطع بالسكين، وأعطت زليخا كل واحدة من النسوة سكينا، وأمرت يوسف عليه السلام بأن يلبس أحسن ثيابه، وزينته أحسن الزينة وقالت: اخرج على النساء، فخرج عليهن، فلما رأينه أعظمن شأنه وتحيرن، وبقين مدهوشات طائرة عقولهن، وحززن وخدشن أيديهن بالسكين، ولم يشعرن بذلك، وقلن: معاذ الله، ما هذا من جنس البشر، فمثل هذا لا يكون آدميا، إن هذا إلا ملك كريم على ربه.[1]

يقول الإمام الرازي: "إن المشهور عند الجمهور: أن الملائكة مطهرون عن بواعث الشهوة، وجواذب الغضب، ونوازع الوهم والخيال، فطعامهم توحيد الله تعالى، وشرابهم الثناء على الله تعالى، ثم إن النسوة لما رأين يوسف عليه السلام لم يلتفت إليهن البتة، ورأين عليه هيبة النبوة وهيبة الرسالة، وسيما الطهارة، قلن: إنَّا ما رأينا فيه أثرا من أثر الشهوة، ولا شيئا من البشرية، ولا صفة من الإنسانية، فهذا قد تطهر عن جميع الصفات المغروزة في البشر، وقد ترقى عن حد الإنسانية ودخل في الملكية."[2]

أقوال علماء التفسير في قوله تعالى:﴿ ...مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾

يقول الإمام ابن عجيبة:"﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾؛ لأن هذا الجمال غير معهود للبشر،﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ على الله عز وجل؛ لأن الجمع بين الجمال الرائق، والكمال الفائق، والعصمة البالغة، من خواص الملائكة."[3]

يقول الإمام الزحيلي:"ما هذا الذي رأيناه من جنس البشر، وما هو إلا ملك كريم من الملائكة، تمثل في صورة بشر، والمقصود: إثبات الحسن العظيم له؛ لأنه استقر في الطباع أن لا حي أحسن من الملك، وأن لا حي أقبح من الشيطان، فلما رأت النساء روعة جمال يوسف عليه السلام شبهنه بالملك، ونفين عنه البشرية، لغرابة جماله وروعة حسنه."[4]

ويرى الباحث أن الإمام الرازي رجح أن يوسف عليه السلام يشبه الملائكة في الصفات الخُلُقِيّة، من تطهر وعفة وعدم الشهوة.

---

[1] بحر العلوم – للسمرقندي – ج2/ص190 – 191 "بتصرف"

[2] التفسير الكبير – ج18/ص449

[3] البحر المديد – ج2/ص593

[4] التفسير المنير ج12/ص254 – 255

بينما الإمام الزحيلي رجح أن يوسف عليه السلام يشبه الملائكة في الصفات الخَلْقِيّة، من الحسن والجمال.

ويرجح الباحث ما ذهب إليه الإمام ابن عجيبة، حيث جمع بين قولي كلٍ من الإمام الرازي والإمام الزحيلي، فيوسف عليه السلام معصوم من الله تبارك وتعالى، كما ورزقه الله جل جلاله شطر الجمال، حيث جاء في حديث الإسراء أن رسول الله ﷺ مر بيوسف عليه السلام في السماء الثالثة، حيث روي عن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: ... "**ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟**" قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، "**فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا هُوَ قَدِ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ**"...[1]

وبعد ذلك الثناء من النسوة على يوسف عليه السلام، قالت امرأة العزيز لهن: ﴿ ...**فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ** ﴾ {يوسف/32}

وزج بيوسف عليه السلام في السجن، ومن ثم تعرف على صاحبين في السجن، وفسر لهما حلمهما، فكان نصيب أحدهما أن يخرج ليعود إلى سقاية الملك، ويقدر الله تعالى أن يرى الملك في منامه رؤيا مدهشة، يعجز عن تفسيرها مفسرو الأحلام، ليفسرها يوسف عليه السلام – سبق بيان ذلك في المطلب السابق – وبعد أن فسر يوسف عليه السلام رؤيا الملك، تنبه الملك إلى يوسف عليه السلام، وعزم على استدعائه فأمر أعوانه أن يحضروه، حيث قال تعالى على لسانه: ﴿ **وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ...** ﴾{يوسف/50} فلما جاءه رسول الملك يدعوه للخروج، رفض يوسف عليه السلام وآثر التمهل – حتى تظهر براءته – على التعجل بالخروج، وآثار التهمة عالقة به، فقال له ارجع إلى سيدك الملك، واطلب منه أن يسأل النسوة اللاتي جرحن أيديهن عن حقيقة أمرهن وشأنهن معي؛ لتظهر الحقيقة للجميع، وتتضح براءتي، إذ لا أود أن آتيه وأنا متهم بقضية عوقبت من أجلها بالسجن، وقد طال مكثي فيه دون تعرفه على الحقيقة، ولا البحث في صميم التهمة، إن ربي عليم بصنيعهن وأفعالهن لا يخفى عليه شيء من ذلك،[2] قال تعالى: ﴿ ...**فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ** ﴾ {يوسف/50}

---

[1] صحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات – ج1/ص145/ح162

[2] انظر: (تفسير المراغي) – للمراغي – ج12/ص157 ، (التفسير الميسر) – نخبة من أساتذة التفسير – ج1/ص241 ، (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) – لجنة من علماء الأزهر – ص/339

وقد روي أن نبينا ﷺ استحسن حزم يوسف عليه السلام وصبره عن التسرع إلى الخروج، حيث جاء عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ، ابْنِ الْكَرِيمِ، ابْنِ الْكَرِيمِ، يُوسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، وَلَوْ لَبِثْتُ مَا لَبِثَ يُوسُفُ ثُمَّ جَاءَنِي الدَّاعِي لَأَجَبْتُ إِذْ جَاءَهُ الرَّسُولُ فَقَالَ:﴿ ...ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴾** {يوسف/50}"[1]

حينها بدأ الملك بفتح ملف التحقيقات مع النسوة بما فيهن امرأة العزيز، حيث قال تعالى على لسانه: ﴿ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖ ... ﴾ {يوسف/51}

والمعنى: فخاطب الملك جميع النسوة – وهو يريد زوجت وزيره وهي امرأة العزيز – وقال لهن: ما شأنكن وقصتكن حين راودتنَّ يوسف عن نفسه يوم الضيافة؟ فجاوب النساء بجواب جيد، ظهر منه براءة أنفسهن، وأعطين يوسف بعض البراءة، لكنها غير تامة، وذلك حين قلن: حاش لله ما علمنا عليه أدنى شيء يَشينه.[2]

ويقول الأستاذ محمد رشيد رضا في بيان قوله تعالى على لسان النسوة:﴿ **قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖ** ﴾"أي معاذ الله، ما علمنا عليه أدنى شيء يشينه ويسوءه، لا كبير ولا صغير، ولا كثير ولا قليل، ودل على ذلك، نفي العلم، مع تنكير سوء، ودخول من عليها، وهو أبلغ من نفي رؤية السوء عنه."[3]

ويقول الإمام سيد قطب: "الخطب: هو الأمر الجلل والمصاب، فكأن الملك كان قد استقصى فعلم أمرهن قبل أن يواجههن، وهو المعتاد في مثل هذه الأحوال، ليكون الملك على بينة من الأمر وظروفه قبل الخوض فيه، فهو يواجههن مقررا الاتهام، ومشيرا إلى أمر لهن جلل...ومن هذا نعلم شيئا مما دار في حفل الاستقبال في بيت الملك، وما قالته النسوة ليوسف وما لمحن به وأشرن إليه، من الإغراء الذي يبلغ درجة المراودة...وفي مثل هذه المواجهة بالاتهام في حضرة الملك، يبدو أنه لم يكن هنالك مجال للإنكار﴿ **قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖ** ﴾وهي

---

[1] المستدرك على الصحيحين – للحاكم النيسابوري – كتاب التفسير – تفسير سورة يوسف– ج2/ص377ح/3325، يقول الإمام الذهبي: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة.

[2] انظر: (المحرر الوجيز) – لابن عطية – ج3/ص253 ، (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) – للبيضاوي – ج3/ص167 ، (قصص القرآن) – لسعد أبو عزيز – ص167

[3] تفسير المنار – ج12/ص266

الحقيقة التي يصعب إنكارها، ولو من مثل هؤلاء النسوة، فقد كان أمر يوسف ﷺ، فيه من النصاعة والوضوح، بحيث لا يقوم فيه جدال."[1]

ويقول الإمام الطاهر بن عاشور: "ونفي علمهن ذلك كناية عن نفي دعوتهن إياه إلى السوء ونفي دعوته إياهن إليه لأن ذلك لو وقع لكان معلوما عندهن، ثم إنهن لم يزدن في الشهادة على ما يتعلق بسؤال الملك فلم يتعرضن لإقرار امرأة العزيز في مجلسهن بأنها راودته."[2]

فقد أثنى النسوة على يوسف ﷺ في موطنين: الموطن الأول حين اجتماعهن عند امرأة العزيز (الزليخا) حيث نفين عنه صفة البشرية، وأثبتن له صفة الملائكية في الخَلقِ والخُلُق، أما الموطن الثاني فقد كان عندما استدعاهن الملك، حيث شهدن بأنهن لم يعلمن عنه في وقت من الأوقات أدنى شيء يشينه، فسلوكه سليم قويم لا يوجد به أي اعوجاج؛ لأنه معصوم من الله ﷻ.

المطلب الثالث: ثناء امرأة العزيز على يوسف ﷺ وهو في السجن:

طالما أخفت امرأة العزيز هذا الحب – غير المتبادل – ليوسف ﷺ، بل ووصل بها الهِيام في محبته إلى دعوته لفعل المنكر، وحينما رُفِضت هذه الدعوة الشريرة، من الكريم ابن الكريم عليهما السلام، مُزجت هذه المحبة بانتقام واتهام، ليزج بيوسف ﷺ في السجن، وبعد التحقيق في أمره، وشهادة الشهود من النسوة، جاءت امرأة العزيز بسيد الأدلة فأقرت واعترفت، فكان اعترافها هو عين الثناء على يوسف ﷺ، حيث قال تعالى على لسانها: ﴿...ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ {يوسف/51}

فتبين هذه الآية الكريمة أنه لما سمعت زوجة العزيز مقالة النسوة وحيدتهن عن الوقوع في الخزي، فقالت: الآن تبين وظهر الحق بعد خفائه، وانحسرت رغوة الباطل، ثم أقرت على نفسها بالمراودة والتزمت الذنب وأبرأت يوسف ﷺ البراءة التامة، حيث شهدت على نفسها شهادة إثبات بقولها ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ وهو لم يراودني، بل استعصم وأعرض عني ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيما اتهمني به من قبل، وحمله أدبه الأعلى، ووفاؤه الأسمى، لمن أكرم مثواه وأحسن إليه على السكوت عنه إلى الآن، ونحن جزيناه بالسيئة على الإحسان.[3]

---

[1] في ظلال القرآن – ج4/ص1995

[2] التحرير والتنوير – ج12/ص290

[3] انظر: (المحرر الوجيز) – لابن عطية – ج3/ص253 ، (تفسير المنار) – لمحمد رشيد رضا – ج12/ص266 – 267

ويقول الإمام المراغي في بيان قوله تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ "أي في قوله حين افتريت عليه: ﴿... هِيَ رَٰوَدتُّنِي عَن نَّفۡسِي ...﴾ {يوسف/26} والذي دعاها إلى هذا الاعتراف، مكافأة يوسف عليه السلام على ما فعله من رعاية حقها، وتعظيم جانبها، وإخفاء أمرها حيث قال: ﴿مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾ {يوسف/50} ولم يُعَرِض لشأنها، وفى هذا الإعتراف، شهادة مريحة من امرأة العزيز ببراءة يوسف عليه السلام من كل الذنوب، وطهارته من كل العيوب."[1]

ويقول الإمام سيد قطب: "وهنا تتقدم المرأة المحبة ليوسف عليه السلام، التي يأست منه، ولكنها لا تستطيع أن تخلص من تعلقها به، تتقدم لتقول كل شيء في صراحة:﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ...فتشهد شهادة كاملة، بنظافته وبراءته وصدقه، لا تبالي المرأة ما وراءها مما يلم ويلحق بها..."[2]

ويجمع الشيخ سعيد أبو عزيز شهادة الشهود على براءة يوسف عليه السلام حيث يقول: "بين القرآن الكريم براءته من الوقوع فيما لا ينبغي بشهادة الشهود وهي كالآتي:

1 – شهادة امرأة العزيز: ﴿... وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَ ...﴾ {يوسف/32}

2 – شهادة النسوة: ﴿قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖ﴾ {يوسف/51}

3 – شهادة الشاهد من أهلها: ﴿...إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ {يوسف/26 – 27}

4 – شهادة زوج المرأة (العزيز): ﴿...وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ﴾ {يوسف/29}

5 – شهادة إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ {الحجرات/39 – 40}

6 – شهادة يوسف عليه السلام لنفسه﴿... هِيَ رَٰوَدتۡنِي عَن نَّفۡسِي ...﴾ {يوسف/26}

7 – وهذه أعظم شهادة، وهي شهادة رب العالمين:﴿...كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ {يوسف/24}"[3]

---

[1] تفسير المراغي – ج12/ص157

[2] في ظلال القرآن – ج4/ص1995

[3] قصص القرآن – ص167 – 168

وينبه الباحث إلى أنه سبق تفصيل هذه الشهادة العظيمة (شهادة رب العالمين) ص112

فامرأة العزيز (الزليخا) لم تقتصر في ثنائها على يوسف عليه السلام بأن تعترف بذنبها، بل وصفته بالصادق في دعواه، وقد جاء ذلك بعدما اتهمته بالباطل، وزجت به في السجن، ولم تعترف إلا بعدما ظهر الحق المبرئ ليوسف عليه السلام.

المطلب الرابع: ثناء ابنة شعيب على موسى عليه السلام:

يأتي هذا الثناء دونما أي معرفة مسبقة من إبنة شعيب لموسى عليه السلام، فكل ما دار بينهما من أحداث عبارة عن: سؤال وجواب وسقاية لمواشيهن، ومن ثم دعوة لأخذ أجرة السقاية، لكن هذه الأحداث البسيطة تضمنت معاني عظيمة وسامية، أبرزت الموقف الشجاع القوي النبيل لموسى عليه السلام، فاستحق بذلك أن يثنى عليه، حيث قال تعالى على لسان إحدى ابنتي شعيب: ﴿... يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ {القصص/26}

جاء في بيان هذه الآية الكريمة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه "أن موسى عليه السلام لما ورد ماء مَدْيَنَ،[1] وجد عليه أُمَّةً من الناس يسقونَ، فلما فرغوا أعادوا الصخرةَ على البئر، ولا يطيقُ رفعَهَا إلا عَشَرَةُ رِجَالٍ، فإذا هو بِامْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ، قال: ما خطبكما؟ فأخبرتاه، فأتى الحجر فرفعه ثم لم يَسْتَقِ إلا ذنوباً واحداً حتى رُوِيَتِ الغنمُ ورجعتِ المرأتانِ إلى أبيهِمَا فحدثتاهُ، وتولى موسى عليه السلام إلى الظلِّ فقال:﴿ ...رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ {القصص/24} قال:﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ... ﴾ {القصص/25} واضعةً ثوبَهَا على وجهِهَا، قالت:﴿ ...إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ...﴾{القصص/25} قال لها: امْشِي خَلْفِي وصفي لي الطريقَ، فإني أكرهُ أنْ تصيبَ الريحُ ثوبَكِ فيصفَ لي جسدكِ، فلما انتهى إلى أبيها قصَّ عليهِ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ {القصص/26} قالَ: يا بُنَيَّةُ ما علمكِ بأمانتِهِ

---

[1] تقع مَدْيَنُ على بحر القلزم محاذية لتبوك، وهي أكبر من تبوك، وقيل: بلد بالشام معلوم تلقاء غزّة، وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام لبنات شعيب، وقيل: مدين اسم القبيلة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا...﴾ {الأعراف/85} وبعث رسول الله ﷺ سريّة إلى مدين، أميرهم زيد بن حارثة، فأصاب سبيا من أهل ميناء، وميناء هي السواحل. انظر: (معجم البلدان – لياقوت الحموي – ج5/ص77 – 78 ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع – لعبد الله البكري – ج4/ص1201)

وقوتِهِ؟ قالتْ: أما قوَّتُهُ فرفعُهُ الحجرَ ولا يطيقُهُ إلا عَشَرَةٌ، وأما أمانتُهُ فقالَ لي: امْشِي خلفِي وصِفِي لِي الطَّرِيقَ فإنِّي أخافُ أن تصيبَ الريحُ ثوبَكِ فتصِفَ جَسَدَكِ..."[1]

ويوضح الإمام السعدي معنى قوله تعالى:﴿...إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ أن موسى عليه السلام أولى من استؤجر؛ فإنه جمع القوة والأمانة، وخير أجير استؤجر، من جمعهما، أي: القوة والقدرة على ما استؤجر عليه، والأمانة فيه بعدم الخيانة، وهذان الوصفان، ينبغي اعتبارهما في كل من يتولى للإنسان عملا بإجارة أو غيرها، فإن الخلل لا يكون إلا بفقدهما أو فقد إحداهما، وأما باجتماعهما، فإن العمل يتم ويكمل، وإنما قالت ذلك؛ لأنها شاهدت من قوة موسى عند السقي لهما ونشاطه، ما عرفت به قوته، وشاهدت من أمانته وديانته، وأنه رحمهما في حالة لا يرجى نفعهما، وإنما قصده بذلك وجه الله تعالى.[2]

ويصور الإمام سيد قطب حال المعاناة التي يواجهها كل من موسى عليه السلام وابنتا شعيب، والحاجة الماسة لكلا الفريقين لبعضهما البعض، حيث يقول: "إنها وأختها تعانيان من رعي الغنم، ومن مزاحمة الرجال على الماء، ومن الاحتكاك الذي لا بد منه للمرأة التي تزاول أعمال الرجال، وهي تتأذى وأختها من هذا كله وتريد أن تكون امرأة تأوي إلى بيت امرأة عفيفة مستورة لا تحتك بالرجال الغرباء في المرعى والمسقى، والمرأة العفيفة الروح، النظيفة القلب، السليمة الفطرة، لا تستريح لمزاحمة الرجال، ولا للتبذل الناشئ من هذه المزاحمة.

وها هو ذا شاب غريب طريد وهو في الوقت ذاته قوى أمين، رأت من قوته ما يهابه الرعاء فيفسحون له الطريق ويسقي لهما وهو غريب، والغريب ضعيف مهما اشتد، ورأت من أمانته ما يجعله عف اللسان والنظر حين توجهت لدعوته، فهي تشير على أبيها باستئجاره ليكفيها وأختها مؤنة العمل والاحتكاك والتبذل، وهو قوي على العمل، أمين على المال، فالأمين على العرض هكذا أمين على ما سواه، وهي لا تتلعثم في هذه الإشارة ولا تضطرب، ولا تخشى سوء الظن والتهمة، فهي بريئة النفس، نظيفة الحس، ومن ثم لا تخشى شيئا، وهي تعرض اقتراحها على أبيها."[3]

فكما أن الثناء على موسى عليه السلام لم يكن مبنياً على جهل، بل كان بحسب ما اتصف به من الصفات الحميدة الكريمة، وكذلك فإنَّ من أثنت عليه – ابنة شعيب – لم تكن سفيهة، بل

---

[1] الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار – لابن أبي شيبة – كتاب الفضائل – ما ذكر في موسى عليه السلام من الفضل – ج6/ص334/ح31842

[2] تيسير الكريم الرحمن – ص/614

[3] في ظلال القرآن – ج5/ص2687

كانت موصوفةً بالفطنة والفراسة حيث جاء عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "أفْرَسُ الناسِ ثلاثةٌ: العزيزُ حين قال لامرأتِهِ:﴿...أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا...﴾{يوسف/21} والتي قالت:﴿...يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ {القصص/26} وأبو بكرٍ حينَ تَفَرَّسَ في عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهما[1]

ويرى الباحث أن من الأهمية بمكان ضرورة التنويه إلى أن علماء التفسير اختلفوا في الشيخ الكبير أب ألامرأتين، الذي ورد ذكره في قوله تعالى على لسانهما:﴿...قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ {القصص/23}

فمنهم من قال بأنه النبي شعيب عليه السلام الذي أرسله الله تعالى إلى أهل مَدْيَنَ، عاش عمراً طويلاً بعد هلاك قومه، حتى أدركه موسى عليه السلام وتزوج بابنته، ومنهم من قال بأنه ليس بالنبي، بل هو رجل مؤمن من أقرباء النبي شعيب عليه السلام، وكلا الفريقين اعتمد على أدلة غير صحيحة.

لذا لا يصح الترجيح دون مرجح، بل يجب علينا أن نسكت عما سكت عنه القرآن الكريم – فلم يبين من هو الشيخ الكبير – والسنة النبوية المطهرة.

وإن سلمنا بصحة القول القائل بأن: شعيب هو النبي الذي أرسله الله تعالى إلى أهل مَدْيَنَ، فإنه قد يسأل سائل: كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب عليه السلام أن يرضى لا بنتيه بسقي الماشية؟ قيل له: ليس ذلك بمحظور ولا مفسدة فيه؛ لأن الدين لا يأباه، وأما المروءة فالناس فيها مختلفون وأحوال أهل البادية غير أحوال أهل الحضر، لا سيما إذا كانت الحالة حالة الضرورة.[2]

---

[1] المستدرك على الصحيحين – للحاكم النيسابوري كتاب التفسير – تفسير سورة يوسف – ج2/ص376/ح3320، يقول الإمام الذهبي: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

[2] انظر: (التفسير الكبير) – للرازي – ج24/ص589 ، (الجامع لأحكام القرآن) – للقرطبي – ج13/ص269 ، (مدارك التنزيل) – للنسفي – ج2/ص636 ، (قصص الأنبياء) – لابن كثير – ص222 – 223 ، (البحر المديد) – لابن عجيبة – ج4/ص242

الفصل الثالث

ثمرات الثناء في الدنيا والآخرة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ثمرات الثناء الدنيوية.

المبحث الثاني: ثمرات الثناء الأخروية.

المبحث الأول

ثمرات الثناء الدنيوية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: استجابة الدعاء وتفريج الكربات.

المطلب الثاني: الشعور بفضل الله تعالى ودوام شكره.

المطلب الثالث: سعة الرزق.

المبحث الأول

ثمرات الثناء الدنيوية

تتعدد هذه الثمرات؛ لأنها من عند الله ﷻ المعطاء الكريم المكافيء لعباده الصالحين الشاكرين نعمه، المثنين على ذاته المقدسة.

فالإنسان المسلم يحيا في هذه الدنيا حياة سعيدة رغيدة بالإيمان.

وسوف يتحدث الباحث في هذا المبحث عن بعض ثمرات الثناء الدنيوية، ويتمثل ذلك في ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: استجابة الدعاء وتفريج الكربات:

فحينما يتوجه العبد – الشاكر الصابر المنيب المثني على الله تعالى – لله ﷻ، فإنه يستجيب له، ويكشف عنه ما به من غم وسوء، ويهبه من العطايا والخير الكثير؛ ليكون نبراساً لغيره من العابدين المنيبين، وهذا ما حدث مع إمام الصابرين أيوب عليه السلام، حيث قال تعالى في شأنه: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ {الأنبياء/83 – 84}

والمعنى: واذكر يا محمد ﷺ، أيوب عليه السلام إذ نادى ربه وقد مسه الضر والبلاء﴿...أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ فاستجاب الله تبارك وتعالى لأيوب عليه السلام دعاءه حين ناداه، وكشف ما كان به من ضر وبلاء وجهد، وكان الضر الذي أصابه والبلاء الذي نزل به امتحانا من الله له واختبارا.[1]

فهذا الدعاء[2] من أيوب عليه السلام يتضمن الثناء على الله ﷻ، فهو يومئ إيماءً بما أصابه من ضر وبلاء وجهد،لأرحم الراحمين المالك للنفع وكشف الضر، فهو وحده المستحق للعبادة دون غيره.

---

[1] جامع البيان – للطبري – ج18/ص483"بتصرف يسير"

[2] الدُّعَاء كالنِّداء، إلّا أنّ النِّداء قد يقال بياء، أو أيا...وقد يستعمل كلّ واحد منهما موضع الآخر، قال تعالى: ﴿ ...كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً... ﴾ {البقرة/171}، (المفردات في غريب القرآن – للراغب الأصفهاني – ص/315)

"ولقد وصف أيوب نفسه بما يستحق به الرحمة، ووصف ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بمطلوبه إيماءً منه بأن ربه به عليم، فكأنه يقول: أنا أهل لأن أرحم، وأنت الكريم الجواد الذي يرحم، فأفض على من جودك ورحمتك ما يسعفني ويدفع الضر عنى فأنت أرحم الراحمين."[1]

ويقول الإمام سيد قطب: "فهو نموذج للعبد الصابر، لا يضيق صدره بالبلاء، ولا يتململ من الضر الذي تضرب به الأمثال في جميع الأعصار، بل إنه ليتحرج أن يطلب إلى ربه رفع البلاء عنه، فيدع الأمر كله إليه، اطمئنانا إلى علمه بالحال وغناه عن السؤال.

وفي اللحظة التي توجه فيها أيوب إلى ربه بهذه الثقة وبذلك الأدب كانت الاستجابة، وكانت الرحمة، وكانت نهاية الابتلاء: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ...﴾ فرفع عنه الضر في بدنه فإذا هو معافى صحيح، ورفع عنه الضر في أهله فعوضه عمن فقد منهم، ورزقه مثلهم، وقيل هم أبناؤه فوهب الله له مثليهم، أو أنه وهب له أبناء وأحفادا ﴿...رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا...﴾ فكل نعمة فهي رحمة من عند الله ﷻ ومنة. ﴿...وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ تذكرهم بالله تعالى وبلائه، ورحمته في البلاء وبعد البلاء، وإن في بلاء أيوب عليه السلام لمثلا للبشرية كلها، وإن في صبر أيوب لعبرة للبشرية كلها، وإنه لأفق للصبر والأدب وحسن العاقبة تتطلع إليه الأبصار."[2]

ومن الأمثلة القرآنية للتائبين الراجعين أيضاً، نبي الله يونس بن متى عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ {الأنبياء/87 – 88}

والمعنى: واذكر يا محمد ﷺ، يونس بن متى عليه السلام إذ غضب على قومه مما قاسى منهم لما دعاهم إلى الله تعالى وكذبوه، ففارقهم من غير أن يؤمنوا، ولم يؤذن له في ذلك، فظن أن الله ﷻ لن يضيِّق عليه ويعاقبه بهذه المخالفة، فابتلاه الله بشدة الضيق والحبس، والتقمه الحوت في البحر، فنادى ربه في ظلمات الليل والبحر وبطن الحوت تائبًا معترفًا بظلمه؛ لتركه الصبر على قومه قائلا: ﴿...لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فوحد ربه ﷻ ونزهه تعالى

---

[1] تفسير المراغي – للمراغي – ج17/ص60 – 61

[2] في ظلال القرآن – ج4/ص2392

أن يكون ظلمه،ونسب الظلم إلى نفسه، فاستجاب الله تبارك وتعالى له دعاءه، ونجاه من بطن الحوت...الخ[1]

فبعدما ترك يونس عليه السلام قومه وعوقب من الله تعالى بأن التقمه الحوت، سرعان ما تاب وآب وعاد إلى الله عز وجل مثنياً عليه بتوحيده، وتقديسه وتعظيمه، وتنزيهه عن الظلم، حيث قال تعالى على لسانه:﴿ ...لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

ويبين الإمام ابن عجيبة معنى هذه الآية الكريمة المتضمنة معنى الثناء على الله تعالى حيث يقول: "والمعنى أنزهك تنزيها لائقا بك من أن يعجزك شيء...إني كنت من الظالمين لنفسي بخروجي عن قومي قبل أن تأذن لي، ولأنفسهم بتعريضها للهلكة...

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾أي: أجبنا دعاءه الذي دعا في ضمن الاعتراف بالذنب على ألطف وجه وأحسنه...﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾أي الذلة والوحشة والوحدة، وذلك بأن قذفه الحوت إلى الساحل بعد أربع ساعات، وقيل: بعد ثلاثة أيام،﴿ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾أي: مثل ذلك الإنجاء الكامل ننجي المؤمنين من غمومهم، إذا دعوا الله، مخلصين فى دعائهم."[2]

كما ويبين النبي ﷺ عظم وأهمية وفضل هذا الدعاء، حيث جاء عن سَعْدِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه،[3] قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: "**هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى؟ الدَّعْوَةُ الَّتِي دَعَا بِهَا يُونُسُ حَيْثُ نَادَاهُ فِي الظُّلُمَاتِ الثَّلَاثِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**" . فقالَ رجلٌ: يا رسولَ اللهِ، هلْ كانتْ لِيُونُسَ خَاصَّةً أَمْ للمؤمنينَ عامةً؟ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "**ألا تسمعُ قولَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ:﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾** {الأنبياء/88} " وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "**أَيُّمَا مُسْلِمٍ دَعَا بِهَا فِي**

---

[1] انظر: (تفسير مقاتل بن سليمان) – لمقاتل بن سليمان – ج3/ص90 ، (بحر العلوم) – للسمرقندي – ج2/ص438

[2] البحر المديد – ج3/ص493

[3] هو سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، يكنى أبا إسحاق، كان سابع سبعة في الإسلام، وروي عن عائشة بنت سعد، عن سعد، قال: أسلمت وأنا ابن تسع عشرة سنة، وروي عنه أنه قال: أسلمت قبل أن تفرض الصلوات، وشهد بدرا، والحديبية، وافتتح القادسية، واختط الكوفة وشهد سائر المشاهد، وأخبر أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راض، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وكان مجاب الدعوة مشهورا بذلك، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وذلك في سرية عبيدة بن الحارث. انظر:(الاستيعاب في معرفة الأصحاب – ليوسف القرطبي – 2ج/ص606 – 607 ، موطأ الإمام مالك – ج6/ص52)

مَرَضِهِ أَرْبَعِينَ مَرَّةً فَمَاتَ فِي مَرَضِهِ ذَلِكَ أُعْطِيَ أَجْرَ شَهِيدٍ، وَإِنْ بَرَأَ بَرَأَ، وَقَدْ غُفِرَ لَهُ جَمِيعُ ذُنُوبِهِ"[1]

ويقول الإمام الزحيلي في قوله تعلى:﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾: "أي أجبنا له دعاءه بتلك الكلمات، بأن قذفه الحوت إلى الساحل بعد أربع ساعات مكث فيها في بطنه، وقيل: ثلاثة أيام، ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾أي من غمه بسبب كونه في بطن الحوت، وبسبب خطيئته..."[2]

وأيضاً من أمثلة عباد الله الصالحين الذين استجاب الله تعالى دعائهم، ورزقهم بالذرية الصالحة؛ ببركة ثنائهم عليه تعالى، هو زكريا عليه السلام، قال تعالى:﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ {الأنبياء/89 – 90}

والمعنى: واذكر يا محمد ﷺ قصة زكريا عليه السلام إذ دعا ربه:﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا ﴾ أي وحيدا لا وارث لي، فهب لي وارثاً يقوم بأمر الدين في الناس من بعدي، وأنت خير وأفضل الوارثين، فاستجبنا له دعاءه ووهبنا له على الكبر ابنه يحيى، وجعلنا زوجته صالحة في أخلاقها وصالحة للحمل والولادة، بعد أن كانت عاقرًا لم تلد قط، إنهم كانوا يبادرون في الطاعات – وهم زكريا وامرأته ويحيى عليهما السلام – ويدعوننا راغبين فيما عندنا من الثواب وهو الجنة، خائفين من عذابنا يوم القيامة، وكانوا لنا خاضعين متواضعين.[3]

فهذا الدعاء من زكريا عليه السلام يتضمن الثناء على الله عز وجل بأنه خير الوارثين، وهذا ما يوضحه الإمام الرازي بقوله: "إن زكريا عليه السلام أحب من يؤنسه ويقويه على أمر دينه ودنياه ويكون قائما مقامه بعد موته، فدعا الله تعالى دعاء مخلصٍ عارف بأنه قادر على ذلك، وإن انتهت الحال به وبزوجته من كِبر وغيره إلى اليأس من ذلك بحكم العادة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان سنه مائة، وسن زوجته تسعا وتسعين.

---

[1] المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري – كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر – ج1/ص685/ح1865، يقول الإمام الذهبي: صحيح.

[2] التفسير المنير – ج17/ص115

[3] بحر العلوم – للسمرقندي – ج2/ص440"بتصرف"

أما قوله تعالى: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ففيه وجهان:

أحدهما: أنه عليه السلام إنما ذكره في جملة دعائه على وجه الثناء على ربه ليكشف عن علمه بأن مآل الأمور إلى الله تعالى.

والثاني: كأنه عليه السلام قال: (إن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فإنك خير وارث)."[1]

ويبين الإمام المراغي صفات زكريا وامرأته ويحيى عليهما السلام، حيث يقوال:

"﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ أي لأن زكريا عليه السلام وزوجه ويحيى كانوا يسارعون في طاعتنا، والعمل بما يقربهم إلينا.

﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أي ويعبدوننا، رغبة منهم فيما يرجون من رحمتنا وفضلنا، وخوفا من عذابنا وعقابنا.

﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ أي وكانوا لنا متواضعين متذللين، لا يستكبرون عن عبادتنا ودعائنا. فإنهم نالوا من الله ما نالوا، لا تصافهم بتلك الخلال الحميدة."[2]

ويقول الإمام الزحيلي في قوله تعالى:﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ "أي فأجبنا نداءه ومطلبه، ووهبناه ولدا اسمه يحيى، وأصلحنا له امرأته بإزالة موانع الولادة، فولدت بعد العقم وفي حال الكبر."[3]

فالدعاء من أندى الثمرات الدنيوية، لما فية من الخير الكثير، فهو مفتاح النعم، وبه تزداد الصلة بالله تعالى، وبه تقضى الحاجات، بل وأمرنا الله تعالى أن ندعوه وحده فقط، وحذر الذين يتعاظمون عن دعائه بأنهم سيدخلون جهنم أذلاء صاغرين، حيث قال تعالى:﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾{غافر/60}

المطلب الثاني: الشعور بفضل الله تعالى ودوام شكره:

أنعم الله تبارك وتعالى على خلقه بالعديد من النعم، فمنهم الذاكر الشاكر لفضله تعالى، ومنهم الكافر المنكر، ومن النماذج الذاكرة لفضل الله ﷻ في معرض الثناء على إنعام المنعم بأعظم نعمة وهي التوحيد، حيث قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ

---

[1] التفسير الكبير – ج22/ص182

[2] تفسير المراغي – ج17/ص66

[3] التفسير المنير – ج17/ص122

﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ {يوسف/38}

تبين هذه الآية الكريمة جانباً من حوار يوسف عليه السلام مع صاحبيه في السجن؛ لترغيبهما إلى الإسلام.

والمعنى: واتبعت دين آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، لا دين أهل الشرك، فما جاز لنا أن نجعل لله ﷻ شريكا في عبادته وطاعته، بل يجب علينا إفراده بالألوهية والعبادة – فاتباعي ملة آبائي على الإسلام، وتركي ملة قوم لا يؤمنون بالله تعالى وهم بالآخرة كافرون – ذلك من فضل الله الذي تفضل به علينا، وذلك أيضا من فضل الله ﷻ على الناس، إذ أرسَلَنا إليهم دعاة إلى توحيده وطاعته، ولكن أكثر الناس لا يتلقون هذا الفضل بالشكر بل بالكفر؛ لأنهم يتعامون عن المنعم المتفضل عليهم.[1]

فيوسف عليه السلام يثني على الله ﷻ بأن هداه – ومن قبله آباءه – إلى الإسلام، فهذه الهداية من فضل الله تعالى عليه وعلى الناس، بأن كلفه بتبليغهم دين الإسلام، ولكن أكثر الناس لا يتلقون هذا الفضل بالشكر والثناء، بل يقابلونه بالكفر والجحود.

"فالشكر: عبارة عن معروف يقابل النعمة، سواء كان باللسان أو باليد أو بالقلب، وقيل: هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه، فالعبد يشكر الله، أي يثني عليه بذكر إحسانه الذي هو نعمة، والله يشكر العبد، أي يثني عليه بقبوله إحسانه الذي هو طاعته."[2]

ويبين الإمام الرازي وجه فضل الله تبارك وتعالى على يوسف عليه السلام وعلى الناس، من خلال العزو السليم لاسم الإشارة (ذلك) في قوله تعالى:﴿...ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ...﴾فهي إشارة إلى ما تقدم من عدم الإشراك، فهذا يدل على أن عدم الإشراك وحصول الإيمان من الله ﷻ، ثم بين أن الأمر كذلك في حقه بعينه، وفي حق الناس، ثم بين أن أكثر الناس لا يشكرون، ويجب أن يكون المراد أنهم لا يشكرون الله على نعمة الإيمان، فترك الإشراك من فضل الله تعالى.

وأما صرف قوله تعالى:﴿...ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ...﴾ إلى النبوة فبعيد؛ لأن اللفظ الدال على الإشارة يجب صرفه إلى أقرب المذكورات، وهو هاهنا عدم الإشراك.[3]

---

[1] جامع البيان – للطبري – ج16/ص103"بتصرف"

[2] التعريفات – للجرجاني – ص/128

[3] التفسير الكبير – ج18/ص457"بتصرف"

ويؤكد الإمام المراغي على ذلك الفضل حيث يقول: "إن عدم الإشراك من فضل الله ﷻ علينا، إذ هدانا إلى معرفته وتوحيده في ربوبيته وألوهيته، بوحيه وآياته في الأنفس والآفاق، وعلى الناس بإرسالِنا إليهم، ننشر فيهم الدعوة، ونقيم عليهم الحجة، فنرشدهم سبيل الرشاد، ونبين لهم الصواب، ونبعدهم عن طرق الغواية والضلال، ولكن أكثر الناس لا يشكرون نعم الله ﷻ عليهم، فيشركون به أربابا وآلهة من خلقه، يذلون أنفسهم بعبادتهم، وهم مخلوقون لله مثلهم أو أدنى منهم."[1]

كما ويؤكد الإمام السعدي على هذا المعنى حيث يقول: "إن هذا من أفضل مننه وإحسانه وفضله سبحانه علينا، وعلى من هداه الله ﷻ كما هدانا، فإنه لا أفضل من مِنَّة الله ﷻ على العباد بالإسلام والدين القويم، فَمن قَبلَه وانقاد له فهو حظه، وقد حصل له أكبر النِّعم وأجل الفضائل، ولكن أكثر الناس لا يشكرون، فلذلك تأتيهم المنة والإحسان، فلا يقبلونها ولا يقومون لله ﷻ بحقه، وفي هذا من الترغيب للطريق التي هو – يوسف ﷺ – عليها ما لا يخفى، فإنه لما تقرر عنده أن– صاحبيه في السجن – رأياه بعين التعظيم والإجلال – وأنه محسن معلم – ذكر لهما أن هذه الحالة التي أنا عليها، كلها من فضل الله ﷻ وإحسانه، حيث منَّ عليّ بترك الشرك وباتباع ملة آبائي، فبهذا وصلت إلى ما رأيتما، فينبغي لكما أن تسلكا ما سلكت."[2]

ومن الآيات الكريمة التي تظهر بعض ثمرات الثناء في الدنيا، وهو الشعور بفضل الله سبحانه، قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ ﴾ {النمل/40}

تبين هذه الآية الكريمة جانباً من حوار سليمان ﷺ مع من سَخَّرهم الله له من الجن والإنس، فبعدما عرض العفريت الجني إحضاره للعرش، تقدم من آتاه الله علم من الكتاب – وكأنه استبطأ العفريت الجني – فقال: أنا آتيك بهذا العرش قبل ارتداد أجفانك إذا تحرَّكَتْ للنظر في شيء، فأذن له سليمان ﷺ، فلما رأى العرش مستقرا عنده حاصلا بين يديه، قال تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله تعالى: هذا من فضل ربي، تفضل به علي من غير استحقاق، حيث تم إحضار العرش في مدة إرتداد الطرف من مسيرة شهرين؛ ليختبرني أأشكر بذلك اعترافًا بنعمته تعالى عليَّ أم أكفر بترك الشكر؟ ومن شكر فإنَّ نَفْعَ ذلك يرجع إليه؛ لأنه

---

[1] تفسير المراغي – ج12/ص147

[2] تيسير الكريم الرحمن – ص/398

يستجلب دوام النعمة ومزيدها، ومن جحد النعمة وترك الشكر فإن ربي غني عن شكره، كريم بالإنعام عليه ثانياً.[1]

فسليمان عليه السلام يثني على الله ﷻ بأن يسر له إحضار العرش في أقرب من طرفة عين، فهذا من فضل الله تعالى المستحق لجزيل الشكر وهو ثمرة من ثمرات الثناء على الله تعالى في الدنيا.

ويبين الإمام المراغي وجه فضل الله تبارك وتعالى على سليمان عليه السلام حيث يقول: "فلما رأى سليمان عليه السلام العرش ساكنا ثابتا على حاله لم يتبدل منه شيء ولم يتغير وضعه الذي كان عليه، قال: هذا تفضل من الله ومنّة؛ ليختبرني: أأشكر بأن أراه فضلا منه سبحانه بلا قوة منى، أم أجحد فلا أشكر بل أنسب العمل إلى نفسي؟

وإن النعم الجسمية والروحية والعقلية كلها مواهب يمتحن الله بها عباده، فمن ضل بها هوى، ومن شكرها ارتقى، فمن شكر ففائدة الشكر إليه؛ لأنه يجلب دوام النعمة، ومن جحد ولم يشكر فإن الله غنى عن العباد وعبادتهم، كريم بالإنعام عليهم وإن لم يعبدوه، كما قال:﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ {فصلت/46}"[2]

ويقول الإمام السعدي في شأن سليمان عليه السلام الذاكر المثني على الله ﷻ بما تفضل عليه: "فلم يغتر عليه السلام بملكه وسلطانه وقدرته كما هو دأب الملوك الجاهلين، بل علم أن ذلك اختبار من ربه فخاف أن لا يقوم بشكر هذه النعمة، ثم بين أن هذا الشكر لا ينتفع الله ﷻ به وإنما يرجع نفعه إلى صاحبه فقال: ﴿ ...وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ غني عن أعماله، كريم كثير الخير يعم به الشاكر والكافر، إلا أن شكر نعمه داعٍ للمزيد منها، وكفرها داعٍ لزوالها"[3]

ويؤكد الإمام سيد قطب على المعنى السابق حيث يقول: "لقد لمست هذه المفاجأة الضخمة قلب سليمان عليه السلام وراعه أن يحقق الله ﷻ له مطالبه على هذا النحو المعجز، واستشعر أن النعمة- على هذا النحو- ابتلاء ضخم مخيف يحتاج إلى يقظة منه ليجتازه، ويحتاج إلى عون من الله ﷻ ليتقوى عليه، ويحتاج إلى معرفة النعمة والشعور بفضل المنعم، ليعرف الله سبحانه منه هذا الشعور فيتولاه، فالله تعالى غني عن شكر الشاكرين، ومن شكر فإنما يشكر

---

[1] أنوار التنزيل وأسرار التأويل – للبيضاوي – ج4/ص161"بتصرف"

[2] تفسير المراغي – ج19/ص141

[3] تيسير الكريم الرحمن – ص/605

لنفسه، فينال من الله ﷻ زيادة النعمة، وحسن المعونة على اجتياز الابتلاء، ومن كفر فإن الله ﷻ غني عن الشكر، كريم يعطي عن كرم، لا عن ارتقاب للشكر على العطاء."[1]

ويقول الإمام الطاهر بن عاشور: "ولما ذكر الفضل إضافة إلى الله بعنوان كونه ربه؛ لإظهار أن فضله عليه عظيم إذ هو عبد لربه، فليس إحسان الله ﷻ إليه إلا فضلا محضا، ولم يشتغل سليمان عليه السلام حين أحضر له العرش بأن يبتهج بسلطانه، ولا بمقدرة رجاله، ولكنه انصرف إلى شكر الله تعالى على ما منحه من فضل، وأعطاه من جند مسخرين بالعلم والقوة، فمزايا جميعهم وفضلهم راجع إلى تفضيله تعالى.

وضرب حكمة خلقية دينية وهي: من شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم، فكل متقرب إلى الله ﷻ بعمل صالح يجب أن يستحضر أن عمله إنما هو لنفسه يرجو به ثواب الله تعالى ورضاه في الآخرة، ويرجو دوام التفضل من الله ﷻ عليه في الدنيا، فالنفع حاصل له في الدارين ولا ينتفع الله سبحانه بشيء من ذلك."[2]

المطلب الثالث: سعة الرزق:

فالإنسان الذاكر الشاكر المتقي لله تعالى، يوسع له في رزقه من الرزاق ذي القوة المتين، فيرزقه بغير حساب ومن حيث لا يحتسب، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ {إبراهيم/7}

تأتي هذه الآية الكريمة بعدما ذَكّر موسى عليه السلام قومه من بني إسرائيل، بالنعم التي أنعمها الله ﷻ عليهم حين أنجاهم من فرعون وأتباعه، فقد قال لهم موسى عليه السلام: واذكروا حين أذن ربكم إيذاناً مؤكَّداً، لئن شكرتم يا بني إسرائيل ما أنعمت عليكم من نعمة الإنجاء وغيرها من النعم بالإيمان الخالص والعمل الصالح، لأزيدنكم نعمة إلى نعمة، ولأضاعفن لكم ما آتيتكم، ولئن كفرتم ما أنعمت به عليكم إن عذابي لشديد لمن كفر نعمتي.[3]

ويقول الإمام البقاعي: "ولما ذَكرهم موسى عليه السلام بنعمة الأمن، رغبهم فيما يزيدها، ورهبهم مما يزيلها فقال:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ﴾ أي واذكروا إذ أعلم المحسن إليكم إعلاماً بليغاً ينتفي عنه

---

[1] في ظلال القرآن – ج5/ص2642

[2] التحرير والتنوير – ج19/ص272

[3] انظر: (الكشاف) – للزمخشري – ج2/ص541 ، (أنوار التنزيل) – للبيضاوي – ج3/ص193

الشكوك قائلاً: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ وأكده لِما للأنفس من التكذيب بمثل ذلك، لاعتقادها أن الزيادة تكون بالسعي في الرزق والنقص بالتهاون فيه ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ من نعمي، فإن الشكر قيد الموجود وصيد المفقود."[1]

ويَخلص الإمام المراغي إلى أنَّ: "من شكر الله على ما رزقه وسَّع عليه في رزقه، ومن شكره على ما أقدره عليه من طاعته زاد في طاعته، ومن شكره على ما أنعم عليه من صحة زاده الله صحة، إلى نحو أولئك من النعم...وأن منافع الشكران ومضار الكفران لا تعود إلا إلى الشَاكِر أو الكَافِر بتلك النعم، أما المَعْبُود المَشْكُور فهو مُتعال عن أن ينتفع بالشكر أو يَضُرُهُ الكفر."[2]

وذهب الإمام سيد قطب إلى أن حقيقة (زيادة النعمة بالشكر، والعذاب الشديد على الكفر) تطمئن إليها قلوبنا من أول وهلة؛ لأنها وعد من الله صادق، فلا بد أن يتحقق على أية حال، فإذا أردنا أن نرى مصداقها في الحياة، ونبحث عن أسبابه المدركة لنا، فإننا لا نبعد كثيرا في تلمس الأسباب، فهي كالتالي:

1 – إن شكر النعمة دليل على استقامة المقاييس في النفس البشرية، فالخير يُشكر؛ لأن الشُكر هو جزاؤه الطبيعي في الفطرة المستقيمة.

2 – إن النفس التي تشكر الله ﷻ على نعمته، مراقبة في التصرف بهذه النعمة، بلا بطر، وبلا استعلاء على الخلق، وبلا استخدام للنعمة في الأذى والشر والدنس والفساد.

فتلك الأسباب تزكي النفس، وتدفعها للعمل الصالح، وللتصرف الصالح في النعمة، بما ينميها ويبارك فيها، ويرضي الناس عنها وعن صاحبها، فيكونون له عونا، ويصلح روابط المجتمع فتنمو فيه الثروات في أمان.[3]

ويبين الإمام الشعراوي الأصل اللغوي لكلمة (تأذن) وما يترتب عليها من معنى حيث يقول: "ونلحظ أن الآية تبدأ بكلمة (تأذن) وأصلها من (الألف والذال والنون) مأخوذة من الأذن، والأُذُن آلة السماع، والأذان إعلام، وآذنهم أي أعلمهم، وتأذن أي: أعلم بتوكيد، وهكذا يكون معنى الآية: أني أعلمكم بتوكيد من ربكم، أنكم إن شكرتم ليزيدنكم من نعمه وعطائه؛ لأن الشكر

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – ج10/ص384

[2] تفسير المراغي – ج13/ص130

[3] في ظلال القرآن – ج4/ص2088 – 2089"بتصرف"

دليل ارتباط بالواهب، وأنكم منعتم أنفسكم من الاعتزاز بما أوتيتم، وعلمتم أنه هو وحده الوهاب."[1]

فالشكر ثناء على المُنعِم،[2] لذا فعلى الإنسان المسلم أن يكون شاكراً لله تعالى، الذي أنعم علينا بالنعم العديدة المفيدة، بل وهذا ما حث عليه سيد الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ الصادق المصدوق الأمين حيث جاء عن صهيبٍ الرومي ﷺ، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "**عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ**"[3]

وفي المقابل فإنَّ الإنسان الجاحد المنكر لهذه النعم، سيعاقب أشد العقاب في الدنيا والآخرة، وهذا ما ذهب إليه الإمام الزحيلي عند بيان معنى قوله تعالى:﴿ ...**وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾ "أي: ولئن جحدتم النعم وسترتموها، فلم تؤدوا حقها من الشكر، فإن عقابي أليم وقعه، شديد تأثيره وألمه، في الدنيا بزوال تلك النعم، وسلبها عنهم، وفي الآخرة بالعقاب على كفرانهم."[4]

فالرزق بيد الله تعالى لا بيد أحد من خلقه، والله تعالى جعل علاقة طردية بين الرزق والشكر، فكلما زاد الشكر زاد الرزق، والعكس صحيح.

---

[1] تفسير الشعراوي – ج12/ص7446 – 7447

[2] سبق بيان معنى الشكر ص138

[3] صحيح مسلم – كتاب الزهد والرقائق – باب المؤمن أمره كله خير – ج4/ص2295/ح2999

[4] التفسير المنير – ج13/ص211

المبحث الثاني

ثمرات الثناء الأخروية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: طمأنة الملائكة للمؤمنين وبشارتهم بالجنة.

المطلب الثاني: نزع الغل من صدور المؤمنين ووراثتهم للجنة.

المبحث الثاني

ثمرات الثناء الأخروية

إن من فضل الله على عباده أن أوجد الدار الآخرة، وجعل فيها العديد من النعم الجليلة التي لا عد لها ولا حصر، ففيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، جميعها أعدها الله تعالى لعباده الصالحين الشاكرين نعمه، المثنين على ذاته المقدسة.

وسوف يتحدث الباحث في هذا المبحث عن نموذجين من الثمرات الأخروية، ويتمثل ذلك في مطلبين.

المطلب الأول: طمأنة الملائكة للمؤمنين وبشارتهم بالجنة:

فمن الثمرات الندية، لمن يثني على رب البرية، أن ينال الحماية الربانية، والبشارة الملائكية، بالخلود في الجنان الأبدية، وذلك بما أقروه من توحيد الألوهية، وطبقوه في الحياة العملية، حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾{فصلت/30}

والمعنى: "إن الذين قالوا ربنا الله وحده لا شريك له، ثم استقاموا على توحيد الله، ولم يخلطوا توحيد الله بشرك غيره به، وانتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى."[1]

ونحو ذلك ورد في الحديث النبوي عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ،[2] قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ"[3]

ويعرف الإمام القشيري الاستقامة بقوله: "هي الثبات على شرائط الإيمان بجملتها، من غير إخلال بشيء من أقسامها."[4]

---

[1] جامع البيان – للطبري – ج21/ص463

[2] يكنى أَبَا عَبْد الرَّحْمَنِ، وقد نسبه بعضهم فِي بني سَلَمَة بْن سَعْد بْن علي...وقيل: لم يبق من بني أدي أحد، وعدادهم فِي بني سَلَمَة، وَكَانَ آخر من بقي منهم عَبْد الرحمن بن معاذ بن جبل، مات بالشام فِي الطاعون فانقرضوا. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب – ليوسف القرطبي – ج3/ص1402 – 1403)

[3] المستدرك على الصحيحين – للحاكم النيسابوري – كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر – ج1/ص678/ح1842، يقول الإمام الذهبي: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه

[4] لطائف الإشارات – ج3/ص328

ثم يقول: من كان له أصل الاستقامة، وهي التوحيد، أمِنَ من الخلود في النار، ومن كان له كمال الاستقامة أمِنَ من الوعيد، من غير أن يلحقه سوء بحال.[1]

كما وجاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلتْ هذهِ الآيةُ في أبِي بكرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ وذلكَ أنَّ المشركينَ قالُوا: رَبُّنَا اللهُ والملائِكَةُ بناتُهُ وَهَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عندَ اللهِ فلمْ يستقِيمُوا، وقالتِ اليهودُ: رَبُّنَا الله وَعُزَيْرٌ ابْنُهُ وَمُحَمَّدٌ ﷺ ليسَ بنبيٍّ فلمْ يستقِيمُوا، وقالَ أبو بكرٍ ﷺ رَبُّنَا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، واستقام."[2]

"وقال ابن عباس في بعض الروايات هذه الآية نزلت في أبي بكر ﷺ؛ وذلك أنه وقع في أنواع شديدة من البلاء والمحن، ولم يتغير البتة عن دينه، فكان هو الذي قال: ربنا الله وبقي مستقيما عليه لم يتغير بسبب من الأسباب."[3]

فمقالة الذين قالوا﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾تعتبر عين الثناء، فهي بمثابة كلمة التوحيد "**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**" المنزهة المادحة لله ﷻ، فلا معبود يعبد بحق إلا الله تبارك وتعالى.

بل ويعتبر الإمام الرازي أن هذه المقالة تمثل أعلى وأشرف المقامات وهي الكمال النفسي؛ وذلك لأنها تتكون من نوعين:

1 – العلم اليقيني: وهو معرفة الله ﷻ.

2– العمل الصالح: وهو الاستقامة في الوسط، وعدم الميل إلى طرفي الإفراط والتفريط.[4]

ومما يزيد الأمر رونقاً وجمالاً، أن هذه المقالة لم تقتصر على الإقرار بوحدانية الله تعالى، بل ترجمت واقعاً عملياً، حيث استقاموا على شريعته ﷻ، فكان لهم الجزاء الحسن، بأن تتنزل عليهم الملائكة...الخ

ويبين الإمام ابن عجيبة ماهية وكيفية وفضيلة هذا التنزل حيث يقول: "تتنزل عليهم الملائكة عند الموت، وفي القبر، وعند البعث، أو في الدنيا بإلهام الخير وشرح الصدر، وإعانتهم على الأمور الدينية... بأن لا تخافوا ما تقدمون عليه، ولا تحزنوا على ما خلفتم، فالخوف: غم يلحق لتوقع مكروه، والحزن: غم يلحق لفوات نافع، أو حضور ضار؛ فالله تعالى كتب لكم الأمن من كل غم، فلن تذوقوه أبدا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على ألسنة

---

[1] انظر: (لطائف الإشارات) – ج3/ص328

[2] أسباب النزول – للواحدي – ص/373

[3] التفسير الكبير – للرازي – ج27/ص560

[4] المرجع السابق – ج27/ص560"بتصرف"

الرسل...وعليه فالذين أقروا بقهرية الربوبية، وقاموا بوظائف العبودية، تتنزل عليهم الملائكة بالبشارة الأبدية."[1]

كما ويؤكد الإمام المراغي على هذا المعنى حيث يقول: "تتنزل عليهم الملائكة من عند الله سبحانه بالبشرى التي يريدونها، من جلب نفع، أو دفع ضر، أو رفع حزن، أي بكل ما يعنهم من الشئون الدنيوية والدينية، مما يشرح صدورهم، ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الإلهام... لذا لا تخافوا مما تقدمون عليه من أمور الآخرة، ولا تحزنوا على ما فاتكم من أمور الدنيا من أهل وولد ومال... وأيضاً أبشروا بالجنة التي وعدتم بها على ألسنة الرسل في الدنيا، فإنكم واصلون إليها، مستقرون بها، خالدون في نعيمها."[2]

ويضيف الإمام الطاهر بن عاشور مزية وكرامة جديدة لهؤلاء المؤمنين حيث يقول: "وذكر التنزل هنا للتنويه بشأن المؤمنين، أن الملائكة ينزلون من علوياتهم لأجلهم...فللمؤمنين بهذا كرامة ككرامة الأنبياء والمرسلين، إذ يُنزل اللهُ عليهم الملائكةَ."[3]

لذا يجب على الإنسان المسلم أن يستقيم على توحيد الله ﷻ وأن يثني عليه أجل الثناء؛ كي ينال طمأنة الملائكة والبشارة بالجنة.

المطلب الثاني: نزع الغل من صدور المؤمنين ووراثتهم للجنة:

فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، فمن أحسن لنفسه بعبادة ربه، وعدم إنكار فضله، والثناء عليه بما أنعم من نعمة الإسلام وغيرها من النعم، فإن الله تبارك وتعالى يكافئ هذا العبد بالعديد من النعم، ويدخله الجنة برحمة وهبة منه لا مقارنة بالعمل، حيث يقول تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾{الأعراف/43}

ففي هذه الآية الكريمة يذكر الله ﷻ بعضاً من نعمه على أهل الثناء، وذلك أنه يخرج من قلوبهم الحقد وأسبابه، فلا يحسد بعضهم بعضا في تفاضل منازلهم، فلا يكون بينهم إلا التواد والمحبة، بل ومن كمال إنعامه عليهم، أنه تجري من تحتهم الأنهار، وقال أهل الجنة حينما دخلوها: الحمد لله الذي هدانا لهذا ووفقنا لتحصيل هذا النعيم الذي صرنا إليه بالإيمان والعمل

---

[1] البحر المديد – ج5/ص176

[2] تفسير المراغي – ج24/ص128

[3] التحرير والتنوير – ج24/ص284

الصالح والثناء على المنعم، إذ هو نعمة عظيمة يجب عليهم بها حمده والثناء عليه تعالى، فما كنا لنوفَّق إلى سلوك الطريق المستقيم، لولا أَنْ هدانا الله سبحانه لسلوك هذا الطريق، ووفَّقنا للثبات عليه، لقد جاءت رسل ربنا بالوحي الحق فاهتدينا بإرشادهم، فحينها تناديهم الملائكة، أن هذه الجنة أعطيتموها برحمة من الله تعالى، وبما قدَّمتموه من الإيمان والعمل الصالح والثناء.[1]

فبهذا الثناء الجليل، استحق الذين آمنوا دخول الجنان، فالحمد ثناء، وهذا ما بينه الإمام الراغب الأصفهاني حيث يقول في تعريفه للحمد: "الحَمْدُ لله تعالى: الثناء عليه بالفضيلة."[2] كما ويعرفه الإمام الجرجاني بقوله: "هو الثناء على الجميل من جهة التعظيم من نعمة وغيرها."[3]

ويذكر الإمام السعدي مقالة وحال الحامدين المثنين على الله ﷻ حيث يقول: "لما رأوا ما أنعم الله ﷻ عليهم وأكرمهم به ﴿...وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا...﴾ بأن من علينا وأوحى إلى قلوبنا، فآمنت به، وانقادت للأعمال الموصلة إلى هذه الدار، وحفظ الله علينا إيماننا وأعمالنا، حتى أوصلنا بها إلى هذه الدار، فنعم الرب الكريم، الذي ابتدأنا بالنعم، وأسدى من النعم الظاهرة والباطنة ما لا يحصيه المحصون، ولا يعده العادون، ﴿...وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ...﴾"[4]

كما ويؤكد الإمام الزحيلي على هذا المعنى حيث يقول: "وقال المؤمنون شاكرين نعمة الله وفضله: الحمد الله الذي هدانا في الدنيا للإيمان الصحيح والعمل الصالح، الذي كان جزاؤه هذا النعيم، وما كان من شأننا ومستوى تفكيرنا أن نهتدي إليه بأنفسنا، لولا هداية الله وتوفيقه إيانا لاتباع رسله، وقالوا أيضا حين رأوا مطابقة كل شيء لما أخبر به الرسل: ﴿...لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ...﴾وهذا مصداق وعد الله ﷻ على لسان رسله، ونادتهم الملائكة: سلام عليكم طبتم، فادخلوها خالدين، هذه الجنة التي أورثكم الله إياها جزاء أعمالكم الصالحة."[5]

---

[1] انظر: (الجامع لأحكام القرآن) – للقرطبي – ج7/ص208 ، (أنوار التنزيل) – للبيضاوي – ج3/ص13 ، (البحر المحيط) – لأبو حيان الأندلسي – ج5/ص53 ، (البحر المديد) – لابن عجيبة – ج2/ص217

[2] المفردات في غريب القرآن – ص/256

[3] التعريفات – ص/93

[4] تيسير الكريم الرحمن – ص/289

[5] التفسير المنير – ج8/ص210

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله خاتم النبوات والرسالات، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

فإني أحمد الله ﷻ أن أعانني على اختيار موضوع من موضوعات كتابه العزيز، ووفقني إلى الوصول لنهايته وخاتمته، بعد أن يسر لي جمع معلوماته، فلله الحمد في الأولى والآخرة، وله الثناء من قبل ومن بعد.

لقد توصل الباحث من خلال هذا الجهد المتواضع إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، والتي تعد ثمرة البحث وخلاصته، وسأقتصر على ذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر.

أولاً: أهم النتائج التي توصلت إليها:

1 – وردت كل من لفظة(المدح والثناء) في القرآن الكريم بالمعنى ولم ترد صريحة.

2 – تبين للباحث أن المعاني اللغوية للثناء أشمل وأعم من المعاني اللغوية للمدح، أما بالنسبة للمعاني الاصطلاحية فلم يجد الباحث فرقاً بينهما، فالثناء بمعنى: المدح بمحامد الصفات، والمدح بمعنى: الثناء، فهما قريب من قريب.

3 – إن الله تعالى وحده المتفرد بالكمال، حيث أثنى على نفسه بما اتصف به من الكمال في الصفات والأفعال.

4 – إن الله ﷻ أثنى على نفسه في السور المكية أكثر من السور المدنية؛ وذلك ليبين لأهل مكة أنه هو الإله الحق القاهر فوق عباده، وأن تلك الآلهة الباطلة التي كانوا يعبدونها من دونه لا تستحق العبادة، كما أثنى على أنبيائه السابقين، ونبيه محمد ﷺ؛ لأن أهل مكة كانوا يؤمنون بهم وخاصة إبراهيم عليه السلام الذي كانوا يَسِيرون على ملته الحنيفية السمحة، وهذه رسالة لأهل مكة بأن هذا الرسول الذي تكذبونه وتصدون دعوته هو امتداد للرسل السابقين ورسالته امتداد للرسالات السابقة.

5 – إن الله ﷻ أثنى على الملائكة في السور المكية أكثر من السور المدنية؛ ولعل السبب في ذلك أن الله ﷻ أراد أن يصحح لمشركي قريش عقيدتهم الفاسدة القبيحة الزاعمة أن الملائكة إناث وأنهم بنات الله ﷻ.

6 – إن الله ﷻ أثنى على المؤمنين في السور المدنية أكثر من السور المكية؛ لقلة عدد المسلمين في مكة المكرمة وذلك بسبب التكذيب والتعذيب والقتل، ولتثبيت قلوب كلٍ من المهاجرين والأنصار، فجميعهم ضحى لأجل الإسلام العظيم، فالمهاجرون تركوا الأموال والأولاد والبيوت لنصرة الإسلام، والأنصار آووا ونصروا إخوانهم المهاجرين فكانت هذه الآيات الكريمة إيذاناً بضرورة توحيد هذه القلوب المضحية في سبيل الله ﷻ، وبيان أن هؤلاء يستحقون المدح والثناء من الله ﷻ.

7 – إن ثناء الأنبياء على الله ﷻ في كلٍ من السور المكية والمدنية متساوٍ؛ ولعل السبب في ذلك هو أن كلاً من الرسل والأنبياء من العارفين بالله ﷻ، ويعلمون أنه تبارك وتعالى مستحق للمدح والثناء في كل وقت وحين، دون تمييز بين مكان وآخر أو زمان وآخر.

8 – إن ثناء المؤمنين على الله ﷻ في السور المدنية أكثر من السور المكية؛ ولعل السبب في ذلك كثرة عدد المسلمين في المدينة المنورة وإقامة المجتمع الإيماني الذي يعرف لله قدره.

9 – إن لله تعالى عباداً مقربين وطائعين، لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم، ولا يعملون عملا حتى يأذن لهم، ألا وهم الملائكة.

10 – إن الله ﷻ أثنى على جميع كتبه، بما اشتملت عليه من حق وخير وصلاح ورشاد لجميع البشرية.

11 – يجوز للصديق أن يثني على صلاح صديقه الصالح، بشرط عدم التزكية.

12 – يجب إنزال الناس منازلهم، وعدم إبخاسهم حقوقهم، كما فعلت ابنة شعيب عليه السلام مع موسى عليه السلام.

13 – إن من يطلب العزة من غير الله تعالى يذل، ولا يجد العزة.

ثانياً: التوصيات:

1 – أوصي طلاب العلم والمعرفة عامة، والدراسات العليا خاصة، بمواصلة الاهتمام بموضوعات القرآن الكريم المختلفة، ومحاولة ربطه بالواقع الذي نعيشه ما أمكن، فإن القرآن الكريم زاخر بالحلول القرآنية الشافية، وفيه حل لكل القضايا الإنسانية والبشرية، ولقد آن الأوان لأن يعود الإسلام إلى قيادة البشرية، وأن يبقى القرآن دستوراً شاملاً لكل مناحي الحياة، لتحيا به نفوسنا، وتطمئن به قلوبنا، وينعم به كافة الناس.

2 – كما وأوصي كل إنسان مسلم بضرورة الثناء على الله تبارك وتعالى، وشكره على جميع ما أنعم علينا من نعم، كي ننال سعادة الدارين، الدنيا والآخرة.

3 – كما وأوصي المجتمع المسلم بضرورة نشر الألفة والمحبة؛ ليكون بيننا الثناء لا العداء، وأن نثني على بعضنا البعض بالخير وبما اتصفنا به من الصفات الحميدة، لكن دون تزكية أو تعظيم.

وأخيراً فهذا جهد متواضع أضعه بين أيديكم، راجياً من العلى القدير أن أكون قد أحطت بالموضوع من جوانبه المرجوة، ووفقت في جمع شتاته، ولمِّ شمل أفكاره، فإن كنتُ قد وفقتُ في ذلك، فما توفيقي إلا بالله وله الفضل والمنة في الأولى والآخرة، وإن كنت قد قصرت في شيء، فأستغفر الله العظيم من كل خلل، وأتوب إليه من كل تقصير وزلل، كما وأسأله ﷻ أن ينفعني بهذا البحث وطلاب العلم في الحياة الدنيا، وأن يبقي ثوابه ونفعه لي بعد الممات.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون

وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين

الباحث: أحمد طلال السَّموني

الفهارس

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

م.	الآية	رقمها	الصفحة
.1	﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِ ... ﴾	2	58
.2	﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ... ﴾	34	44
.3	﴿ ...وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ... ﴾	251	121
.4	﴿ ...وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾	152	ج
.5	﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ... ﴾	255	18

سورة آل عمران

	الآية	رقمها	الصفحة
.6	﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾	2	19
.7	﴿ ...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾	9	30
.8	﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ... ﴾	18	42 – أ
.9	﴿ ...قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ ... ﴾	37	85
.10	﴿ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ... ﴾	42	84
.11	﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ ... ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا ... ﴾	46 – 45	98
.12	﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ ... ﴾	195	68

سورة النساء

	الآية	رقمها	الصفحة
.13	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ... ﴾	43	23
.14	﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ... ﴾	69	110

.15	﴿ ...وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾	113	103
.16	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ... ﴾	116	24
.17	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ... ﴾	125	92
.18	﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾	139	25،26
.19	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾	174	55

سورة المائدة

	الآية	رقمها	الصفحة
.20	﴿ ...وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ... ﴾	42	31
.21	﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ... ﴾	44	59
.22	﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ... ﴾	46	61
.23	﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ... ﴾	48	59
.24	﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾	50	31،30

سورة الأنعام

	الآية	رقمها	الصفحة
.25	﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ... ﴾	12	22
.26	﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾	18	32
.27	﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ... ﴾	61	33
.28	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ... ﴾	84	114
.29	﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾	103	34
.30	﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ ... ﴾	147	21

سورة الأعراف

	الآية	رقمها	الصفحة
.31	﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾	12	45
.32	﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ... ﴾	43	155
.33	﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ... ﴾	144	95
.34	﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ... ﴾	145	122
.35	﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ... ﴾	156	21
.36	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴾	206	48

سورة التوبة

	الآية	رقمها	الصفحة
.37	﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ... ﴾	40	78
.38	﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ... ﴾	100	64
.39	﴿ ... فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾	108	14
.40	﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن ... إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾	114،113	94

سورة يونس

	الآية	رقمها	الصفحة
.41	﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ... ﴾	38	56
.42	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ ... ﴾	57	55
.43	﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾	109	32

سورة هود

	الآية	رقمها	الصفحة
.44	﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ ... ﴾	13	56
.45	﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ... ﴾	123	27

سورة يوسف

	الآية	رقمها	الصفحة
.46	﴿ ... وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ ... وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	22-21	138،116
.47	﴿ ...كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾	24	135،117
.48	﴿ ...إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ ... فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	27-26	135
.49	﴿ ...وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴾	29	135
.50	﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ ... ﴾	31	130
.51	﴿ ... فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ... ﴾	32	135،132
.52	﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ... ﴾	36	128
.53	﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ... ﴾	38	146
.54	﴿ ... إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ... ﴾	40	32
.55	﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ... ﴾	43	129
.56	﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ... ﴾	46	129
.57	﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ... ﴾	50	135،133،132
.58	﴿ ...ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	51	134،133،135

سورة الرعد

	الآية	رقمها	الصفحة
.59	﴿ ...وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾	41	32

سورة إبراهيم

	الآية	رقمها	الصفحة
.60	﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ... ﴾	7	149
.61	﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ... ﴾	23	46
.62	﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾	48	34

سورة الحجر

	الآية	رقمها	الصفحة
.63	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	9	61،58
.64	﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾	42	64
.65	﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾	87	4

سورة النحل

	الآية	رقمها	الصفحة
.66	﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ ... ﴾	32	45
.67	﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ ... ﴾	77	27

سورة الإسراء

	الآية	رقمها	الصفحة
.68	﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ... ﴾	1	122
.69	﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾	3	91
.70	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ ... ﴾	61	44
.71	﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ... ﴾	88	56

سورة مريم

	الآية	رقمها	الصفحة
.72	﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ...﴾	12	122
.73	﴿...إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾	18	86
.74	﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ... وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾	33-30	100
.75	﴿...لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا... سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓ...﴾	47-46	95
.76	﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١...وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾	52-51	96
.77	﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ...وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾	55 -54	112
.78	﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا﴾	57-56	109
.79	﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾	61	29
.80	﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا﴾	81	26

سورة طه

	الآية	رقمها	الصفحة
.81	﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾	41	97
.82	﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا﴾	111	19
.83	﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾	122	108

سورة الأنبياء

	الآية	رقمها	الصفحة
.84	﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ... يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾	20-19	48
.85	﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥ...وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾	27-26	42
.86	﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗ...وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾	73-72	115
.87	﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ...رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾	84 -83	141

.88	﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ... إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	86–85	111
.89	﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا... وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	88–87	142
.90	﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	88	143
.91	﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ... وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾	90–89	144

سورة الحج

	الآية	رقمها	الصفحة
.92	﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾	75	47

سورة النور

	الآية	رقمها	الصفحة
.93	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ... ﴾	11	80
.94	﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ... وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	22	80

سورة الفرقان

	الآية	رقمها	الصفحة
.95	﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾	1	55
.96	﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ... ﴾	63	118

سورة الشعراء

	الآية	رقمها	الصفحة
.97	﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ ... قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴾	20–18	97
.98	﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	83	121

سورة النمل

	الآية	رقمها	الصفحة
.99	﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾	16	125
.100	﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ...﴾	40	147

سورة القصص

	الآية	رقمها	الصفحة
.101	﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾	17	97
.102	﴿...قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾	23	138
.103	﴿...رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾	24	136
.104	﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ...﴾	25	136
.105	﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾	26	138،136
.106	﴿...وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ...﴾	77	21

سورة الروم

	الآية	رقمها	الصفحة
.107	﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	6	30

سورة الأحزاب

	الآية	رقمها	الصفحة
.108	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ...﴾	7	90
.109	﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾	33	85
.110	﴿...وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾	43	22
.111	﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ ...﴾	56	52
.112	﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾	62	36

سورة سبأ

	الآية	رقمها	الصفحة
.113	﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ... ﴾	2	24
.114	﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ... ﴾	39	38

سورة فاطر

	الآية	رقمها	الصفحة
.115	﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ ... ﴾	1	47
.116	﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ... ﴾	10	26
.117	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾	15	19
.118	﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ ... ﴾	45	22
.119	﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ... ﴾	43	37

سورة يس

	الآية	رقمها	الصفحة
.120	﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾	58	46

سورة الصافات

	الآية	رقمها	الصفحة
.121	﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾	40	64
.122	﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ... إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	81-78	91
.123	﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	100	115
.124	﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾	101	114
.125	﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ ... ﴾	102	113،112

سورة ص

	الآية	رقمها	الصفحة
.126	﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾	17	122
.127	﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ٣٠ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ... ﴾	31-30	124
.128	﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴾	40	125
.129	﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ ... إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾	44-41	119
.130	﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾	76	44
.131	﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾	83-82	118

سورة الزمر

	الآية	رقمها	الصفحة
.132	﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴾	17	64
.133	﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ... ﴾	23	4
.134	﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	53	24
.135	﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ ... ﴾	73	46
.136	﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ ... ﴾	74	29
.137	﴿ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ ... ﴾	75	49

سورة غافر

	الآية	رقمها	الصفحة
.138	﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ... ﴾	7	49
.139	﴿ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾	16	34
.140	﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾	19	28

.141	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ... ﴾	60	145
.142	﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	65	20

سورة فصلت

	الآية	رقمها	الصفحة
.143	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ... ﴾	30	153
.144	﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾	42	16،58
.145	﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾	46	148

سورة الشورى

	الآية	رقمها	الصفحة
.146	﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴾	19	36

سورة الزخرف

	الآية	رقمها	الصفحة
.147	﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾	67	127
.148	﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾	68	64

سورة الأحقاف

	الآية	رقمها	الصفحة
.149	﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ ... ﴾	35	90

سورة الفتح

	الآية	رقمها	الصفحة
.150	﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ... ﴾	18	76
.151	﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ... ﴾	29	66

سورة الحجرات

	الآية	رقمها	الصفحة
.152	﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ ...إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾	40–39	135

سورة الذاريات

	الآية	رقمها	الصفحة
.153	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾	58	40

سورة الطور

	الآية	رقمها	الصفحة
.154	﴿ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴾	34–33	56

سورة الواقعة

	الآية	رقمها	الصفحة
.155	﴿ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ﴿٧﴾ ...وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾	11–7	98
.156	﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴾	77	4

سورة الحشر

	الآية	رقمها	الصفحة
.157	﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ ... ﴾	8	70
.158	﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ ... ﴾	9	72
.159	﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ ... ﴾	21	57

سورة الصف

	الآية	رقمها	الصفحة
.160	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ ... ﴾	3–2	113

سورة الجمعة

	الآية	رقمها	الصفحة
.161	﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ ... ﴾	11	39

سورة المنافقين

	الآية	رقمها	الصفحة
.162	﴿ ... وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	8	26

سورة التحريم

	الآية	رقمها	الصفحة
.163	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ... ﴾	6	42، 51
.164	﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ... ﴾	11	83، 87
.165	﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ... ﴾	12	86

سورة الملك

	الآية	رقمها	الصفحة
.166	﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾	14	35

سورة القلم

	الآية	رقمها	الصفحة
.167	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	4	102
.168	﴿ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُۢبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	49–50	120

سورة المدثر

	الآية	رقمها	الصفحة
.169	﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾	3	18

سورة البروج

	الآية	رقمها	الصفحة
.170	﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴾	21	4

سورة الغاشية

	الآية	رقمها	الصفحة
.171	﴿ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴾	25	122

سورة الشرح

	الآية	رقمها	الصفحة
.172	﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴾	4	105

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

م	الحديث	الراوي	الحكم	الصفحة
1	أَحَبُّ الصَّلاَةِ إِلَى اللَّهِ صَلاَةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ...	البخاري	صحيح	123
2	أُذِنَ لي أن أحدث عن ملكٍ من ملائكةِ اللهِ من حملةِ العرشِ...	أبو داود	صحيح	50
3	أَنْتُمُ اليوْمَ خيرُ أهلِ الأرضِ ...	مسلم	صحيح	77
4	الأنْصَارُ لا يُحِبُّهُمْ إلا مُؤمِنٌ، ولا يُبْغِضُهُمْ إلَّا مُنَافِقٌ...	البخاري	صحيح	75
5	الكريم بن الكريم بن الكريم بن الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ...	ابن حبان	حسن	95
6	إِنَّ أَفْضَلَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ...	البخاري	صحيح	86
7	إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ...	مسلم	صحيح	82
8	إن أول ثُلَّةٍ تدخل الجنة الفقراءُ المهاجرونَ...	الحاكم	صحيح	71
9	إني أرى ما لا ترونَ، وأسمعُ ما لا تسمعونَ...	الترمذي	حسن	42
10	ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ...	مسلم	صحيح	111
11	ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ...	مسلم	صحيح	132
12	عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ...	مسلم	صحيح	151
13	فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى.	مسلم	صحيح	109
14	قَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَبِّ أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ...	الحاكم	صحيح	123
15	كانتِ امرأةُ فرعونَ تُعذبَ بالشمسِ...	الحاكم	صحيح	84
16	كَلَّا مَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ بِهِ، ودعوتُمُ اللهَ لَهُمْ...	أحمد	صحيح	74
17	كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا ...	البخاري	صحيح	86
18	لا أحد أغيرُ من الله، ولذلكَ حرم الفواحشَ...	البخاري	صحيح	18
19	لا تسبُّوا أصحابي، لا تسبُّوا أصحابي، فوالَّذي نفسي بيده...	مسلم	صحيح	68
20	لَا يَدخُلُ النَّارَ، إِنْ شاءَ اللهُ، مِنْ أصحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ...	مسلم	صحيح	78
21	لا يشكر الله من لا يشكر الناس.	أبو داود	صحيح	ج
22	لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ – أَوْ ضَحِكَ – مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةَ...	البخاري	صحيح	73
23	للمهاجرين مَنَابِرُ من ذَهَبٍ يجلسونَ عليهَا يومَ القيامةِ...	الحاكم	صحيح	72
24	للهُ أرحمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا.	مسلم	صحيح	22
25	لو أن الأنْصَارَ سلكوا وَادِياً، أَوْ شِعْباً، لسلكتُ في وَادِي...	البخاري	صحيح	75
26	مَا أَبْدَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي...	أحمد	صحيح	127

م	الحديث	الراوي	الحكم	الصفحة
27	مَا هَذَا الطُّهُورُ الَّذِي أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِهِ.	الحاكم	صحيح	15
28	مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ بِهِ...	أبو داود	حسن	127
29	مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ...	الحاكم	صحيح	153
30	مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ...	البخاري	صحيح	105
31	هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ...	الحاكم	صحيح	143
32	يَا أَبَا بَكْرٍ، أَعْطَاكَ اللَّهُ الرِّضْوَانَ الْأَكْبَرَ...	الحاكم	صحيح	82
33	يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا...	مسلم	صحيح	80
34	يَا عَائِشَةُ احْمَدِي اللَّهَ، فَقَدْ بَرَّأَكِ اللَّهُ.	البخاري	صحيح	80

فهرس الأعلام المترجم لهم

م	الأعلام	الصفحة
1	أبي الدَّرْدَاءِ	123
2	أبي ذر	42
3	أم سلمة	69
4	أم مبشر	78
5	البَرَاءِ بن عَازِبٍ	75
6	الجرجاني	2
7	جابر بن عبد الله	39
8	دحية الكلبيّ	40
9	سفيان الثوري	119
10	سَعدِ بن مالكٍ	143
11	سعد بن هشام	103
12	عبدِ الرحمنِ بن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ	72
13	عروة بن الزبير بن العوام	105
14	عويم بن ساعدة	14
15	الكفوي	3
16	مسطح بن أثاثة	81
17	معاذ بن جبل	153
18	مقاتل بن حيان	39
19	النووي	78

خامساً: فهرس المصادر والمراجع

1. **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:1، 1408هـ - 1988م.
2. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (تفسير أبو السعود)، دار إحياء التراث العربي.
3. **أسباب نزول القرآن**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام، ط:2،1412هـ - 1992م.
4. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط:1، 1412هـ - 1992م.
5. **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية،ط:1،1415هـ - 1994م.
6. **الإصابة في تمييز الصحابة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط:1، 1415هـ.
7. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان 1415هـ-1995م.
8. **الأعلام** (قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين- بيروت، ط:15، 2002م.
9. **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس - عمان.

10. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (تفسير البيضاوي)، ناصر الدين بن محمد البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1، 1418هـ.

11. **بحر العلوم** (تفسير السمرقندي)، أو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ود. زكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط:1، 1993م.

12. **البحر المحيط**، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط: 1420هـ.

13. **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ط: 1419هـ.

14. **بدائع الفوائد**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان

15. **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار المعرفة – بيروت.

16. **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة

17. **تاريخ ابن الوردي**، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي، دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، ط:1، 1417هـ - 1996م.

18. **التحرير والتنوير**، الإمام الشيخ: محمد الطاهر، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر- تونس، 1984م.

19. **التعريفات**، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط: 1، 1403هـ -1983م.

20. **تفسير أسماء الله الحسنى**، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: العدد 112 – السنة 33 –1421هـ.

21. **تفسير الجلالين**، للإمامين: جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي، دار الحديث– القاهرة ط:1.

22. **تفسير الحسن البصري**، جمع وتوثيق ودراسة الدكتور: محمد عبد الرحيم، دار الحديث، مصر.

23. **تفسير الشعراوي** – الخواطر، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.

24. **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990م.

25. **تفسير القرآن العظيم**، الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الصفا، ط:1، 1423هـ–2002م.

26. **التفسير القرآني للقرآن**، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.

27. **التفسير الكبير** (مفاتيح الغيب)، الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 3، 1420هـ.

28. **تفسير المراغي**، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباب الحلبي وأولاده بمصر، ط:1، 1365هـ– 1946م.

29. **تفسير مقاتل بن سليمان**، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط:1،1423هـ.

30. **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، للدكتور: وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط:2، 1418هـ.

31. **التفسير الميسر**، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، ط:2، 1430هـ – 2009م.

32. **التفسير الواضح**، الحجازي محمد محمود، دار الجيل الجديد – بيروت، ط:10، 1413هـ.

33. **التفسير الوسيط**، للدكتور: وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر – دمشق،ط:1، 1422هـ.

34. **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، للدكتور: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط:1، فبراير 1998.

35. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: 1 ،1420هـ – 2000م.

36. **تهذيب التهذيب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند،ط:1، 1326هـ.

37. **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط:1، 1400هـ – 1980م.

38. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** (تفسير الطبري)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1420هـ – 2000م.

39. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه** (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ط: 1، 1422هـ.

40. **الجامع لأحكام القرآن** (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط:2 ، 1384هـ – 1964 م.

41. **الجامع الكبير** (سنن الترمذي)، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: 1998م.

42. **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط:1، 1418 هـ

43. **الحجة في القراءات السبع**، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق– بيروت، ط:4، 1401هـ.

44. **الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، حقق أصله، وعلق عليه: أبو اسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية – الخبر، ط:1،1416هـ – 1996م.

45. **ذيل (طبقات الحفاظ للذهبي)**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية.

46. **رجال صحيح مسلم**، أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر ابن مَنْجُويَه، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة – بيروت،ط:1، 1407هـ.

47. **روح البيان**، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء، دار الفكر – بيروت.

48. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:1، 1415 هـ.

49. **زاد المسير في علم التفسير**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط:1،1422هـ.

50. **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

51. **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الحديث– القاهرة، 1427هـ–2006م.

52. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط:4، 1407هـ-1987م.

53. **الصحيح المسند من أسباب النزول**، مُقْبلُ بنُ هَادِي بنِ مُقْبِلِ بنِ قَائِدَةَ الهَمْدَاني الوادعِيُّ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط:4، 1408هـ- 1987م.

54. **صفوة التفاسير**، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط:1، 1417هـ - 1997م.

55. **طبقات الأولياء**، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري،تحقيق: نور الدين شريبه من علماء الأزهر، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، ط:2،1415 هـ - 1994 م

56. **الغرر البهية في شرح البهجة الوردية**، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي، المطبعة الميمنية، بدون طبعة وبدون تاريخ

57. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، سنة الطباعة: 1379هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، علق عليه العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

58. **فتح القدير**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط:1 ، 1414 هـ.

59. **فقه الأسماء الحسنى**، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، المدينة المنورة، ط: 1431هـ-2010م.

60. **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية**، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان، دار ركابي للنشر – الغورية- مصر، ط:1، 1419 هـ - 1999م.

61. **في ظلال القرآن**، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق – بيروت- القاهرة، ط: 17، 1412 هـ.

62. **قصص الأنبياء**، الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق، إسماعيل إبراهيم متولى، مكتبة سمير منصور، غزة فلسطين، ط: 1، 1428هـ-2007م.

63. **قصص القرآن دروس وعبر**، سعد يوسف أبو عزيز، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط:1، 1420هـ-1999م.

64. **الكامل في التاريخ**، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط:1، 1417هـ / 1997م.

65. **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط:1، 1409هـ.

66. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: 3 ، 1407 هـ.

67. **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ط:1، 1422، هـ – 2002م.

68. **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

69. **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:1415،1هـ.

70. **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، دار صادر– بيروت، ط: 3، 1414هـ.

71. **لطائف الإشارات** (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط: 3.

72. **متن القصيدة النونية** (نونية بن القيم=الكافية الشافية)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط:2، 1417هـ.

73. **محاسن التأويل**، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:1، 1418هـ.

74. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية– بيروت، ط:1، 1422هـ.

75. **المختصر في أخبار البشر**، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة، المطبعة الحسينية المصرية، ط:1.

76. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**= تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرَّج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدَّم له: محيي الدين مستو، دار الكلم الطيب– بيروت، ط:1، 1419هـ–1998م.

77. **المراسيل**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط:1، 1408هـ.

78. **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت،ط:1، 1411هـ – 1990م.

79. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

80. **مسند الإمام أحمد، الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط: 1، 1418هـ–1997م، بدون ناشر.

81. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، (أبو العباس)، المكتبة العلمية – بيروت.

82. **معجم البلدان**، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت،ط:2، 1995م.

83. **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، عالم الكتب، بيروت، ط:3، 1403هـ.

84. **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

85. **معجم المؤلفين**، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي- بيروت

86. **معرفة الصحابة لابن منده**، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي، حققه وقدم له وعلق عليه: الأستاذ الدكتور/ عامر حسن صبري، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، ط:1، 1426هـ - 2005م.

87. **مفردات ألفاظ القرآن**، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم- دمشق، الدار الشامية- بيروت، ط:3، 1423هـ-2002م.

88. **مقدمة فتاوى النووي** المسماة بالمسائل المنثورة

89. **المنتخب في تفسير القرآن الكريم**، لجنة من علماء الأزهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر، طبع مؤسسة الأهرام، ط: 18، 1416هـ - 1995م.

90. **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1412هـ - 1992م.

91. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 2، 1392هـ.

92. **الموطأ**، الإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي - الإمارات، ط:1، 1425هـ - 2004م.

93. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط:1، 1382هـ - 1963م.

94. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

95. **النكت والعيون**، تفسير الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

96. **الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد**، أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، أبو نصر البخاري الكلاباذي، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة – بيروت، ط:1،1407هـ.

97. **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط: 1، 1415 هـ.

98. **وَفَيَات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، تحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت،ط: 1900م

سادساً: فهرس الموضوعات

الإهداء..... ب
شكر وتقدير..... ج
المقدمة..... د
أولا:أهميـة الموضـوع..... هـ
ثانيا:أسباب اختيار الموضوع..... هـ
ثالثا:أهداف البحث وغاياته ..... هـ
رابعا:الدراسات السابقة..... و
خامسا:منهج البحث..... و
سادسا: خطة البحث..... ز

التمهيد:
المدح والثناء بين المعاني اللغوية والاصطلاحية

أولا: معنى المدح والثناء لغة واصطلاحاً.....2
ثانيا: نماذج المدح والثناء في السياق القرآني.....6
ثالثا: العلاقة بين المدح والثناء.....14
رابعا:علاقة الحمد بالمدح والثناء والشكر.....14

الفصل الأول
وجوه مدح الله وثناؤه في السياق القرآني

المبحث الأول: ثناء الله على نفسه.....18

المطلب الأول: بيان وحدانيته وقيومته.....18
المطلب الثاني: إظهار سعة رحمته.....20
المطلب الثالث: التنبيه على عظيم عفوه ومغفرته وقدرته.....23
المطلب الرابع: بيان أن العزة والقوة له جميعاً.....25

المطلب الخامس: التأكيد على أن لله غيب السماوات والأرض ومقاليدهما.....27
المطلب السادس: بيان أن وعد الله حق.....28
المطلب السابع: إثبات أنه سبحانه أحسن الحاكمين.....30
المطلب الثامن: التنبيه على أن الله تعالى هو القاهر فوق عباده.....32
المطلب التاسع: إبراز أنه سبحانه لطيف بعباده خبير بأحوالهم وأعمالهم.....34
المطلب العاشر: التأكيد على أن سنة الله لا تتبدل ولا تتحول.....36
المطلب الحادي عشر: بيان أنه سبحانه خير الرازقين.....38

المبحث الثاني: ثناء الله على ملائكته.....42
المطلب الأول: إقرار شهادتهم بالوحدانية بشهادة الله وأولي العلم..... 42
المطلب الثاني: سجودهم لآدم عليه السلام.....43
المطلب الثالث: سلامهم على المؤمنين وتبشيرهم بالجنة.....45
المطلب الرابع: اصطفاء الرسل منهم.....47
المطلب الخامس: تسبيحهم بحمد ربهم من حول العرش.....49
المطلب السادس: أنهم غلاظ شداد لايعصون الله.....50
المطلب السابع: صلاتهم على النبي صلى الله عليه وسلم.....52

المبحث الثالث: ثناء الله تعالى على كتبه.....55
المطلب الأول: ثناء الله تعالى على القرآن.....55
المطلب الثاني: ثناء الله تعالى على التوراة.....59
المطلب الثالث: ثناء الله تعالى على الإنجيل.....61

المبحث الرابع: ثناء الله على عباده المؤمنين.....64
المطلب الأول: ثناء الله على أصحاب النبي ﷺ عامة.....64
المطلب الثاني: ثناء الله على المهاجرين.....68
المطلب الثالث: ثناء الله على الأنصار.....72
المطلب الرابع: ثناء الله على أهل العقبة.....76
المطلب الخامس: ثناء الله على أبي بكر الصديق ﷺ 78
المطلب السادس: ثناء الله على امرأة فرعون.....83
المطلب السابع: ثناء الله على مريم ابنة عمران.....84

الفصل الثاني
نماذج من المدح والثناء في السياق القرآني

المبحث الأول: ثناء الله على أولي العزم من الرسل.....90
المطلب الأول: ثناء الله على نوح عليه السلام.....91
المطلب الثاني: ثناء الله على إبراهيم عليه السلام.....92
المطلب الثالث: ثناء الله على موسى عليه السلام.....95
المطلب الرابع: ثناء الله على عيسى عليه السلام.....98
المطلب الخامس: ثناء الله على محمد عليه السلام.....102

المبحث الثاني:أمثلة ثناء الله على رسله من غير أولي العزم.....108
المطلب الأول: ثناء الله على آدم عليه السلام.....108
المطلب الثاني: ثناء الله على إدريس عليه السلام.....109
المطلب الثالث: ثناء الله على إسماعيل عليه السلام.....112
المطلب الرابع: ثناء الله على اسحق ويعقوب عليهما السلام.....114
المطلب الخامس: ثناء الله على يوسف عليه السلام.....116
المطلب السادس: ثناء الله على أيوب عليه السلام.....118
المطلب السابع: ثناء الله على يونس عليه السلام.....120
المطلب الثامن: ثناء الله على داود عليه السلام.....121
المطلب التاسع: ثناء الله على سليمان عليه السلام.....124

المبحث الثالث: ثناء العباد على بعضهم.....127
المطلب الأول: ثناء صاحبي يوسف عليه في السجن.....128
المطلب الثاني: ثناء النسوة على يوسف عليه السلام قبل دخوله السجن وخروجه منه.....130
المطلب الثالث: ثناء امرأة العزيز على يوسف وهو في السجن.....134
المطلب الرابع: ثناء ابنة شعيب عليه السلام على موسى عليه السلام.....136

الفصل الثالث

ثمرات الثناء في الدنيا والآخرة

المبحث الأول: ثمرات الثناء الدنيوية.....141
المطلب الأول: استجابة الدعاء وتفريج الكربات.....141
المطلب الثاني: الشعور بفضل الله تعالى ودوام شكره.....145
المطلب الثالث: سعة الرزق.....149

المبحث الثاني: ثمرات الثناء الأخروية.....153
المطلب الأول: طمأنة الملائكة للمؤمنين وبشارتهم بالجنة.....153
المطلب الثاني: نزع الغل من صدور المؤمنين ووراثتهم للجنة.....155

الخاتمة.....157
أولا: أهم النتائج التي توصلت إليها.....157
ثانيا: التوصيات.....159

الفهارس.....160
أولاً: فهرس الآيات القرآنية.....161
ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.....175
ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.....177
رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.....178
خامساً: فهرس الموضوعات.....188
ملخص الدراسة باللغة العربية.....192
ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية.....2- 1

ملخص الرسالة

هذه الرسالة تبحث في موضوع هام من موضوعات القرآن الكريم، وهي بعنوان:

المدح والثناء " دراسة قرآنية موضوعية "

تطرق الباحث فيه إلى تعريف المدح والثناء والعلاقة بينهما، وذكر بعضاً من نماذج المدح والثناء في السياق القرآني، وتحدث الباحث عن وجوه مدح الله وثنائه في السياق القرآني، مبيناً أنَّ الله تعالى قد أثنى على نفسه ببيان وحدانيته وقيوميته، وقوته وعزته، فهو القاهر فوق عباده، الحاكم بينهم بالحق، علام الغيوب، بيده مقاليد السماوات والأرض، متصف بسعة رحمته وعفوه ومغفرته وقدرته، لطيف بعباده، خبير بأحوالهم وأعمالهم.

كما وأثنى تبارك وتعالى على ملائكته، الذين شهدوا بوحدانيته تعالى، وسجدوا له طاعة لأمره، وسبحوه وحمدوه، فاصطفى منهم الرسل، وكلف منهم من يسلم على المؤمنين ويبشرونهم بالجنة، ومنهم من يصلون على النبي محمد ﷺ، وأيضاً منهم الزبانية الغلاظ الشداد الذين لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

كما وأثنى تبارك وتعالى على كتبه المنزلة على رسله، فهي كتب هداية وإرشاد، لتعريف العباد على رب العباد.

كما وأثنى ﷻ على عباده المؤمنين الطائعين العابدين، حيث أثنى على أصحاب النبي الأمين من المهاجرين والمناصرين والمبايعين، وأول من آمن من الرجال القريشيين أبي بكر الصديق، ومن ضُرب بهم مثل المؤمنين، من امرأة فرعون ومريم ابنة عمران.

وأيضاً ذكر الباحث نماذج من المدح والثناء في السياق القرآني، حيث تطرق إلى ذكر: ثناء الله على أولي العزم من الرسل وهم: (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد) عليهم السلام، وأيضاً ذكر الباحث ثناء الله على رسله من غير أولي العزم، على سبيل المثال لا الحصر، وهم: (آدم وإدريس وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب ويونس وداود وسليمان) عليهم السلام.

كما وذكر الباحث بعض النماذج من ثناء العباد على بعضهم، كثناء صاحبي يوسف عليه في السجن، وثناء النسوة على يوسف عليه السلام قبل دخوله السجن وخروجه منه، وأيضاً ثناء امرأة العزيز على يوسف عليه السلام وهو في السجن، وكذلك ثناء ابنة شعيب على موسى عليه السلام، و ثناء الأبناء البررة على آبائهم.

وختم الباحث بحثه ببيان أندى ثمرات الثناء في الدنيا والآخرة، ومنها استجابة الدعاء وتفريج الكربات، والشعور بفضل الله تعالى ودوام شكره، وسعة الرزق، ذلك في الدنيا أما في الآخرة فينال المثني طمأنينة الملائكة وبشارتهم بالجنة، ونزع الغل من صدور المؤمنين ووراثتهم للجنة.

وختم الباحث بحثه بخاتمة اشتملت على أهم النتائج والتوصيات، وقام بإعداد مجموعة من الفهارس المتمثلة في:
فهرس الآيات القرآنية، وفهرس الأحاديث النبوية، وفهرس الأعلام، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

كما وحرص الباحث على إعداد ملخص للرسالة باللغتين العربية والانجليزية.

Thesis summary

This thesis is studying an important issue of the topics the Quran, which is entitled:

Praise and Commendation "an objective Quranic study"

In his research, the researcher turned to the definition of praise and commendation and the relationship between them, and mentioned some samples of praise and commendation in the context of the Qur'an. Also the researcher talked about the types to praise Allah and praise in the context of the Qur'an, noting that almighty Allah has paid tribute to himself by showing his oneness, self- subsisting, strength and pride, omnipotent over his slaves, ruling of right among them, knower of the unseen, with his hand the reins of the heavens and the earth, described with a capacity of mercy, pardon and forgiveness, the gentle with his slaves, knower of their status and their deeds.

The almighty also praised o his angels who witnessed his oneness, worshiped him in obedience to his command, glorify him and thanked him. Thus, he chose apostles, commissioned them to deliver the believers and announce to them heaven, from whom blessings on the Prophet Muhammad (pbuh), and also of them angels of punishment repayment who don't disobey what God them and they do what they are commanded.

His almighty praised on his books revealed to his Messengers, they are books of guidance and counseling, to identify the subjects on the Lord of mankind.

The almighty Allah praised on his believing slaves the obedient worshipers, the Companions of the Prophet of immigrants and supporters who swore allegiance, the first man to believe from Quraysh "Abu Bakr", and whom who were as examples of believers, like the wife of Pharaoh and Mary daughter of Imran.

The researcher besides mentioned samples of praise and commendation in the context of the Qur'an, whereas he turned to:

Allah's praise on the apostles of inflexible purpose: Noah, Ibrahim, Moses, Jesus and Muhammad, peace be upon them. The researcher also mentioned Allah's praise on the other apostles, for example but not limited to, namely: (and Idris Adam, Ishmael, Isaac and Jacob and Joseph and Job and Jonah and David and Solomon), peace be upon them.

The researcher in addition talked about slaves' praise to each other, such as the praise of Joseph's (pbuh) two friends in prison, and the women's praise for Joseph (pbuh) before entering prison and out of it, and also the praise of Al-Aziz's woman for Joseph (pbuh) while in prison, as well as praise the daughter of Shoaib (pbuh) to Moses (pbuh), and the praise of the righteous children for their fathers.

The researcher concluded his research stating the dewiest fruits of praise in this world and hereafter, including the response to prayer and relieve distress, and a sense of the grace of Allah the almighty and the perpetuation of thanks, breadth of provision, that in this world but in the Hereafter. Then the praiseful will receive tranquility of angels and announce them Paradise, and remove rancor of the issuance of the faithful and inheriting Paradise.

The researcher concluded his research conclusion included the most important findings and recommendations reached by the researcher through the research, as the researcher developed a set of indexes such as: Index of Quranic verses, hadiths of the Prophet, famous names, sources, references and topics.

The researcher was careful to prepare a summary of the message in Arabic and English.